

مكتبة لسان العرب  
www.lisanarb.com  
lisanerab.com رابط بديل

# المختار في القراءة

السنة الثالثة الثانوية



(المعهد العربي للطباعة - المخزن)

# مَكْتَبَةُ لِسَانُ الْعَرَبِ

أ. علاء الدين شوقي

lisannerab.com رابط بديل

[www.lisanarab.com](http://www.lisanarab.com)



twitter



facebook



مكتبة لسان العرب



مكتبة لسان العرب



الجمعية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

# المختار في القراءة

للسنة الثالثة الثانوية

المفتش العام

إشراف وإدارة :

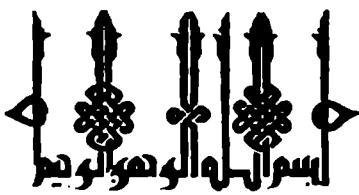
عبد الرحمن شيبان

أعد

حسين أبو شعيب      مصطفى فاخوري  
محمد حسن الصائم      فهيم أبو ججازي



المعهد العربي للعلوي - الجزاير



## مقدمة :

يسراً أن نضع بين أيدي أبنائنا ، تلميذ السنة الثالثة الثانوية ، كتاب القراءة ذات الموضوعات المتعددة ، عاقدين العزم ، بعون الله ، على أن تتبعه بكتابين للستين الأولى والثانية ، وثلاثة كتب في القراءة ذات الموضوع الواحد للسنوات الثانوية الثلاث .

ولا يخفى ما للقراءة من أهمية في إثراء معارف التلميذ ، وتعزيز انكاره ، وتنمية ملكته ، فهي النافذة التي يطل منها على ما يدور في مجتمعه من نهضة علمية واقتصادية ، وما يجري في العالم من تيارات فكرية واجتماعية .

ولتحقيق هذه الأغراض حرصنا على أن تكون نصوص الكتاب متعددة في أغراضها وأساليبها ، مندرجة في محاور أساسية تعالج موضوعات مختلفة في الثقافة والحضارة والاقتصاد ، وغيرها ، مما يحسن أن يعرفه التلميذ من شؤون الحياة الفكرية والعملية .

وقد اعتمدنا في معالجة نصوص الكتاب المراحل الآتية :

1 - مع النص : وهي مرحلة تهدف إلى فهم مضمون النص ، بواسطة أسئلة متدرجة ، تفضي الإجابة عنها إلى استيعاب النص وتحديد عناصره .

2 - تقويم النص : وهي مرحلة تهدف إلى تعزيز فهم التلاميذ وتدريبهم على التدوق وابداء الرأي ، واصدار الاحكام بحرية واستقلال .

3 - استثمار النص : وهي مرحلة تمكّن التلميذ من استغلال الجهد المبذول في المرحلتين السابقتين ، وذلك بقيامه بأنماط مختلفة من التمارين التي تبني ملكته في اللغة والتعبير ، وهي تقوم على العناصر الآتية :

أ) سجل في كراسك الخاص : والغاية منه انتقاء بعض المباريات الثرية في النص ، وتسجيل بعض الحكم المأثورة المتصلة بموضوعه ، يجد فيها التلميذ سندا لقلمه ولسانه .

ب) لاحظ : وفيه يوجه انتباه التلميذ الى بعض كلمات النص واستعمالها في أوجه مختلفة .

## ج) طبق : وهو

- (1) مطالبة التلميذ بالكشف عن معانٍ بعض الكلمات الواردة في النص ، وبيان وجوه استعمالها المختلفة ، اثراء لماتته اللغوية .
- (2) انسج على منوال العبارة الآتية : والمراد منه تدريب التلميذ على تأليف عبارات جيدة مضموناً وشكلًا ، يحاكي بها نماذج معينة في النص .
- (3) حرد : والغرض منه تمية ملحة التلميذ في التعبير ، وذلك بتدريبه على تحرير موضوعات انشائية يستغل فيها حصيلة دراسته للنص ، على أن تكون هذه الموضوعات متصلة بالغرض العام الذي يعالجها النص ، أو ببعض أفكاره الأساسية .

هذا ، ونظراً لضيق الوقت ، مهدنا بإيجاز لكل محور ، وأتبعناه بأسئلة ، واقتصرنا على معالجة نص منه أو اثنين كنموذج يحتذيه الاستاذة في معالجة بقية النصوص .

ولكي تؤتي دروس القراءة ثمارها يحسن العمل بالتوجيهات التربوية الآتية :

  1. عنابة الاستاذ بتحضير الدرس والتعمق له نفسياً وثقابياً وتربوياً ، وذلك بالتفاعل مع موضوع النص ، والسيطرة على عناصره ، واحكام طريقة معالجته مع تلاميذه .
  2. تكليف التلاميذ اعداد النص ، قبل دراسته ، بتدريبهم على أدائه ، ومحاولة الوقوف على لغوياته وأفكاره ، مما يدفعهم الى المشاركة في مناقشة مادته بحيوية وبصر ، في نطاق الوقت المحدد للحصة وخاصة حين يكون النص طويلاً .
  3. التمهيد للمحور بما يلقى أضواء على الفرض العام الذي تعالجه النصوص الواردة فيه .
  4. تمهيد فصیر للنص يعين التلميذ على ادراك غرضه الخاص ومعرفة مناسبته .
  5. قراءة نموذجية معبرة للنص ، او لاجزاء منه تساعده التلميذ على جودة الاداء ، وحسن الفهم وحب القراءة .

٦. قراءة التلميذ بالتناوب ، قراءة معبرة .
٧. تحديد الفكرة العامة للنص بأسئلة دقيقة محكمة .
٨. السير في معالجة النصوص حسب الخطة التي انتهجها الكتاب في النص الأول من كل محور ، بيد أنه من الممكن اختصار أو طي احدى مراحل هذه الخطة ، للتركيز على مرحلة أخرى تكون حاجة التلميذ إليها أمس ، على أن لا يخل ذلك بفهم مضمون النص ، وتسلسل أفكاره ، وادرارك أغراضه .
٩. الربط - ما أمكن - بين درس القراءة ، وبين الفروع الأخرى للفة ، باعتبار أنها وحدة متكاملة ، يكمل بعضها ببعض .
١٠. تخصيص حصة عقب دراسة كل محور - لمناقشة الأسئلة العامة ، لادرارك العلاقات التي تربط نصوص المحور .
١١. العناية بتدريب التلميذ على حسن استعمال المعاجم اللغوية ، على اختلاف مناهجها ، وتمكينهم من استغلال كل كتاب أو مرجع يعينهم على وعي ما يقرأون .
١٢. قد تكون الحصص المقررة للقراءة لا تسع كل نصوص الكتاب ، فللاستاذ أن يختار النصوص التي يراها أكثر ملاءمة لحاجات التلاميذ ومداركم .
- هذا وإن الاستاذ المستدير هو الذي يعرف كيف يفرس في نقوش تلاميذه حب القراءة والتنقيف الذاتي .

والله ولي التوفيق

# عبد الرحمن شيبان

المفتش العام للغة والأدب العربي

# 1

## محمد رسول الله<sup>(١)</sup> (صلى الله عليه وسلم)

« يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ، وَدَاعِيًّا  
إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ، وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنْ  
اللَّهِ فَضْلًا كَيْرًا ». .

« سورة الأحزاب - الآيات 45 - 47 »

النص :

ولدت ستتنا الهجرية الجديدة وأسفاء في هذه الأيام التي اختبل فيها  
إنسان الغرب فزلزل جواب الأرض على نفسه . وأبكم في فمه حجة العقل  
ووحي الضمير . فلا يتكلم الا بلسان النار ولا يصلول الا يأس الحديد .  
وراحت المنايا الرواعد تدكك المدن والناس في فجوات القنابل ، فلا ترى  
اليوم في بلاد الحرب غير مقبور أو منتظر ، ولا في بلاد العياد غير مذعور  
أو حذر . ومفزع الشعوب في غشية هذه الخطوب الزعماء والقادة . فليت  
شعري الى من ينزع العرب والمسلمون من حول هذه الساعة ؟ لم يتح الله  
لهم بعد محمد وخلفائه زعيمًا تجتمع عليه القلوب وترجع اليه الأمور في  
أقطارهم البعيدة ووجوههم المختلفة ، وإنما ابتلاهم بالانقسام حين ضلوا  
الطريق ، فكان في كل قطعة من الوطن الأكبر سرير وأمير ، أو رئيس ،  
وتوزعت زعامة محمد في كل جيل وفي كل قبيل بين عشرات من الرجال  
العجاف ، فكانت كالشعلة العظيمة الوهاجة تقطعت أقباساً كثسموع الأطفال  
لا تقوى على نسم الريح ولا تظهر في حلك الليل .

(١) أحمد حسن الزيات - بتصريف .

تعالوا يا زعماء اليوم عاذن خاشعين ألق عليكم درسا من زعامة محمد .  
إن فيكم زعماء أحزاب ، وليس فيكم زعيم أمة . أما هو فكان زعيم  
الإنسانية جماء .

بلغتم مكان الزعامة الإقليمية عن طريق العزيمة أو الثروة أو القوة ،  
ثم لم تستطعوا أن تتسوا ضعف القمي ، الصغير الذي ارتفع على كواهل  
غيره ، أما هو فقد بلغ الزعامة العالمية عن طريق الألم والفقير والغربة والجهاد ،  
ثم جعل في عشر سنين من الرعاية الجفاقة المشتبئ على رمال الفقر ، أمة  
متماستكة الأجزاء متحدة الأهواء ، متساندة القوى ، متباشسة الطباع بلّمت  
رسالة الله وحكمت عامر الأرض ، ومدّفت أكثر العالم .

إنكم تكونون قبل الزعامة ناسا كالناس ، ثم تصبحون بعدها آلهة  
كالآلهة ، تتکرون الخاصة ، وتزدرون العامة ، ثم تمتازون فتتدخلون بفضل  
المبادئ المزورة والمناصب المسخرة في دنيا البلاء والاغنياء . وماذا بعد  
هذا ؟ أما هو فقد ملك الحجاز واليمن ، والعجزة كلها وما دانها من  
العراق والشام ، وظل ينام على فراش من أدم حشو ليف ، وبيت هو  
وأهله الليلي طاوين لا يجدون العشاء ، ويمکثون الشهر لا يستوقدون  
نارا . إن هو الا التمر والماء ، ويلبس الكسأ الخشن والبرد الفليظ ويقسم  
على الناس أقبية الدياج المخوص بالذهب ، فإذا أقبل على أصحابه فقاموا  
إجلالا له قال لهم : «لَا تَقُومُوا كَمَا تَقُومُ الْأَعْجَمُونَ يُعَظِّمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . إِنَّمَا  
أَنَا عَبْدٌ أَكُلُّ الْعَبْدًا ، وَأَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ» . وكان ذات مرة  
في سفر فأمر أصحابه باصلاح شاة . فقال له رجل : على ذبحها وقال ثان :  
علي سلخها ، وقال ثالث : على طبخها ، فقال الرسول صلوات الله عليه :  
وعلى جمع الحطب . فقالوا : يا رسول الله نكفيك العمل . فقال : علمت  
أنكم تکفوتي إيه ولکني أکره أن أتبیز عليکم .

ولَا استعِزَّ اللَّهُ بِقَاسِمِ الْفَيْءِ زَعِيمِ الْجَزِيرَةِ وَسَيِّدِ الْمُلُوكِ كَانَتْ دَرِعَهُ  
مَرْهُونَةُ عِنْدِ يَهُودِيٍّ فِي نَفْقَةِ عِيَالِهِ .

إِنَّكُمْ حِينَما تَنْزَعُونَ لَا تَفْكِرُونَ إِلَّا فِي مَثْوَيِ الصَّدِيقِ وَعَقْوَبَةِ الْعَدُوِّ ،  
ثُمَّ لَا تَخْرُجُ أَعْمَالَكُمْ وَآمَالَكُمْ عَنْ دَائِرَةِ الْحَزَبِيَّةِ الصَّغِيرَةِ الْحَقِيرَةِ ، فَالْمُنْفَعَةُ  
تَقَاسُ بِسَقِيَّاسِ الْحَزَبِ وَالسِّيَاسَةِ تَتَلَوَّنُ بِلُونِ الْمُنْفَعَةِ ، أَمَّا هُوَ فَكَانَ يَعْادِي  
فِي اللَّهِ وَيَصَادِقُ فِي اللَّهِ . اشْتَطَطَ فِي أَذَاهِ الْمُشَرِّكُونَ فِي مَكَّةَ وَالْمَنَافِقُونَ فِي  
الْمَدِينَةِ ، فَلِمَا أَمْكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُمْ بَسْطَ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ عَفْوِهِ ، وَقَالَ لِقَرِيشٍ يَوْمَ  
الْفَتْحِ : يَا مَعْشِرَ قَرِيشٍ . مَا تَرَوْنَ أَتَّيْ فَاعْلَمُ بِكُمْ ؟ قَالُوا : خَيْرًا . أَخْ كَرِيمٌ  
وَابْنُ أَخْ كَرِيمٍ . قَالَ : اذْهَبُوا فَأَتَنِمُ الظَّلَّاءَ .

ثُمَّ كَانَتْ سِيَاسَتُهُ كَنُورُ اللَّهِ لَا تَعْرِفُ الْحَدُودَ وَلَا الْخَصُوصَ وَلَا الزَّمْنَ ،  
إِنَّمَا هِيَ سُرُّ الْخَالِقِ الْعَظِيمِ اسْتَعْلَمُ فِي سُكُونِ الصَّحَراءِ عَلَى لِسانِ الرَّسُولِ  
الْعَظِيمِ ، ثُمَّ دَوَّيَ فِي غِيَابِ الْأَفَاقِ وَمَجاَهِلِ الْأَبَدِ لِيَكُونَ الشَّعَاعُ الْهَادِي  
لِكُلِّ ضَالٍ وَالنَّدَاءُ الْمُوقَظُ لِكُلِّ غَافِلٍ .

إِنَّكُمْ تُسَيِّرُونَ الْجُنُودَ إِلَى الْخَنَادِقِ وَتَبِيتُونَ عَلَى حَشَابِيَا الْدِيَاجِ ،  
وَتَرْسِلُونَ الْعِصَالَ إِلَى الْمَهَالِكِ وَتَظْلِلُونَ فِي أَبْرَاجِ الْعَاجِ ، أَمَّا هُوَ فَكَانَ يَقَاتِلُ  
مَعَ الْجَنْدِيِّ حَتَّى يَدْمِي ، وَيَعْمَلُ مَعَ الْعَامِلِ حَتَّى يَنْصَبِ . وَكَانَ صَبْجُهُ إِذَا  
احْتَدَمَ الْبَأْسُ وَاحْمَرَتِ الْحَدَقَ ، اتَّقَوْا بِهِ فَمَا يَكُونُ أَحَدٌ أَقْرَبُ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ .  
ذَلِكَ مُحَمَّدٌ يَا زَعْمَاءِ الْيَوْمِ وَهُؤُلَاءِ أَتْمٍ . فَهُلْ تَحْسُونُ بِيَنْكُمْ وَيَنْهِ  
صَلَةً ، أَوْ تَجِدُونَ بَيْنِ سِيَاسَتِكُمْ وَسِيَاسَتِهِ مَشَابِهَةً ؟

لَا تَقُولُوا إِنَّهُ الْوَحْيُ ، فَمَا كَانَتْ حَيَاةُ الرَّسُولِ كُلُّهَا وَلَا سِيَاسَتُهُ كُلُّهَا  
مِنْ هَدِيِّ الْوَحْيِ وَلَكِنْ قُولُوا إِنَّهَا الرَّجُولَةُ الْكَامِلَةُ وَالْخُلُقُ الْعَظِيمُ وَالْعَبْرِيَّةُ  
الْفَدَدَةُ ، وَالشَّخْصِيَّةُ الْقَوِيَّةُ ، وَوَصَفَ شَخْصِيَّةَ الرَّسُولِ بِالْقُوَّةِ لَا يَدْلِلُ عَلَى شَيْءٍ  
لَأَنَّ هَذِهِ الْقُوَّةِ لَمْ تَظْهُرْ فِي أَحَدٍ قَبْلِهِ وَلَا بَعْدَهُ حَتَّى يَقُومُ بِهَا وَصَفُ . وَمَا  
فَلَكُمْ بِشَخْصِيَّةٍ تَحْضُرُ لِلْيَتَمِ الْزَّارِيِّ عَلَى الْآتِيَّةِ وَالسَّادِةِ الرَّؤُوسِ

الطاغية والنفوس العاتية والقلوب الغلاظ ، فيسمتون سنته في الخلال ، وينهجون نهجه في العيش وياخذون أخذه في المعاملة ، ويُجتمعون على جبه وطاعته وتقديته إجماعا لا يخرقه إلا الكفر بالله . فأقواله سنن تُسبّع ، وأعماله عهود تحفظ ، وآراؤه أوامر تطاع ، وأحكامه أقضية تنفذ . فعليكم يا زعماءنا بسيرة محمد وسياسة محمد فلعل فيكم من تدرّك نفحة من نفحاته القدسية فيجدد ما رث من دعوته ، ويجمع ما شتت من وحدته ، ويصلح ما فسد من أمته ! «قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فِي نَفْسِهِ ، وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>

[ احمد حسن الزيات ]  
«وحي الرسالة»

(١) سورة الانعام - الآية : 104 .

## «١» الاسرة والتربية

إن الأسرة هي البيئة الصالحة ل التربية  
للاجيال الناشئة ، واعدادهم  
للتكيف مع الحياة الاجتماعية ، يوحي  
ناضج ، وفکر منفتح ، حتى يتمكنا  
من المشاركة في اعلاء صرح نهضتنا  
الحاضرية ، وبناء حضارتنا المنشودة .

ولا مفر لنا - وأمتنا العربية تمر  
بمرحلة الوعي الثاني في خضم التطور  
الحضاري المعاصر - من اقتباس  
المعرف العلمية والتكنولوجية في كل  
ميدان من ميادين الحياة ، مما  
يدفعنا الى دراسة اتجاهات الحضارة  
الحديثة واهدافها ودوافعها .

ومما لا شك فيه أن العناية  
بال التربية الرشيدة ، في الأسرة  
والمجتمع ، هي التي ستمكننا من  
استثمار الطاقات البشرية والطبيعية ،  
التي تملكتها أمتنا ، ونوجيهها لبناء  
الحضارة على أساس من العلم والإيمان.

## المراة بين حضارتين<sup>(١)</sup>

**فهميد :**

من ثالث الرجل والمرأة ، تتكون الأسرة ، نواة المجتمع ، وطبعي أن تكون المرأة عباد الأسرة ، وذريتها الدائمة ، فمن خلال حنان الأمومة ، ورعايتها ، تتوالد قوافل من الأجيال ، وتتوالى مسيرة البشرية عبر الزمان ، تضع الرقي الاجتماعي ، وتبني نهضة الأمة ، وتقيم الحضارة .

ولعلك مدرك أن التكامل ، بين الرجل والمرأة ، والتعاون بينهما ، هو السبيل إلى تحقيق هذه الفانية الإنسانية البليدة ، التي زيفها التطور الحضاري الحديث ، وجعل منها فقبة مطبلية ، فقدت بدورها علينا وغرست في مجتمعاتنا النامية ، ودعى باسم مشكلة المرأة ، فما أسباب هذه المشكلة ؟ وما الوسائل التي تعزز أواصر الأسرة وتقلل سلطتها ؟

إنما النص الآتي ، بعد تحليله لهذه القضية الاجتماعية البارزة .

**النص :**

ان مشكلة المرأة والأسرة ، وتوزع الأعمال بين الرجل والمرأة ، ومسلك كل منهما في الأسرة ، وخارج الأسرة ، هي في الواقع من أكبر المشكلات ، التي نجدها في العصر الحاضر ، وهي من نواحي الحياة التي جرتنا فيها تيار جديد ، افقدنا الكثير من خصائصنا ، العربية والاسلامية في آن واحد .

ان مباحث علم النفس ، وعلم الاجتماع ، وعلم الاحياء ، في العصر الحديث ، اثارت بعض جوانب مسألة المرأة والأسرة ، واظهرت ضعف كثير من الآراء التي روجت في القرنين الشامن عشر والتاسع عشر في اوروبا ، باسم التجدد ، والحركة النسائية ، وراجت بعد ذلك ولا تزال في مجتمعنا ، وأبرزت سطحية كثيرة من هذه الأفكار ، وضلالتها ، وخطأها الفاسد .

(١) من كتاب «الفكر الاسلامي الحديث في مواجهة الافكار الغربية» - دار الفكر - بيروت ط 3 سنة 1973 ، للاستاذ محمد المبارك ، وهو مفكر عربي معاصر وعضو بالمجمع «اللغوبي» بدمشق .

نجد هذا الاتجاه الجديد في معالجة هذه المشكلة وتحليلها في ضوء المباحث النفسية ، والاجتماعية ، والبيئية ، عند المفكر الكبير الدوس هسكلي ، والطبيب الكيماوي ألكسيس كاريل ، والكاتب الاجتماعي أندره موروا ، وغيرهم ، وسأرسم فيما سأكتبه في كلماتي التالية بعض خطوط هذا الاتجاه ، وأنقل بعض هذه الأفكار ، لعلها تحرر بعض المفتوتين باسم التجدد من سطحيتهم ، وسيرهم مع القطيع ، ومجاراتهم للتيار ، ولو كان منحرفا ، ضالا طريق الصواب .

إن تطور الحضارة وارتفاعها من بعض الجوانب ، يسير في اتجاه إظهار الفروق ، بين الأفراد ، وازدياد التخصص والتنوع ، وبالتالي اختلاف توزيع الأعمال ، بحيث إن المجتمع أي مجتمع كان ، كلما كان أرقى ، كان الأفراد فيه أبعد عن التماثل والتشابه ، وأقرب إلى تنوع الشخصية ، واختلاف الاختصاص ، بحيث إن تضامن المجتمع وتكماله ينشأ من اختلاف الصفات والمزايا ، فلكل فرد مزية ، ليست في الفرد الآخر ، وكل واحد يتم الآخر ويكمله ، ولو كانا متماثلين لما احتاج أحدهما للأخر ، ولا كان مكملا له بل مكررا .

وعلى هذا الأساس العام نفسه يقوم التعاون بين الرجل والمرأة في المجتمع ، بل إن مبدأ التكامل ، المتولد عن التنوع والتخصص أظهر هنا ، منه في أي مجال آخر . فالبشرية تتكون من مجموع (أزواج) لا من (أفراد) ، والمجتمع الذي يتساوى فيه جميع الأفراد ، في المزايا والخصائص ، وفي الخبرة والمعلومات ، وبوجه خاص يتساوى فيه الرجل والمرأة ، في نوع العمل والخبرة ؛ هو مجتمع ابتدائي ، وكلما كان التنوع في الخبرة ، والمزايا ، والخصائص ، والمعلومات أكثر وأعمق ، كان ذلك المجتمع أرقى . «والحقيقة أن المرأة مختلفة اختلافا عيناً عن الرجل فكل خلية في جسمها تحمل طابع جنسها ، وكذلك الحال بالنسبة إلى أجهزتها العضوية ، ولا سيما

الجهاز العصبي ، وأن القوانين العضوية (الفيزيولوجية) كقوانين العلم الفلكي ، لا سبيل إلى خرقها ، ومن المستحيل أن يتبدل بها السمات الإنسانية ، ونحن مضطرون لقبولها كما هي فالنساء يجب أن ينمن استعداداتهن في اتجاه طبعتهن الخاصة ، دون أن يحاولن تقليد الذكور ، فدورهن في تقدم المدنية أعلى من دور الرجال ، فلا ينبغي لهن أن يتخلين عنه»

— «يفعل الناس عادة شأن وظيفة الولادة بالنسبة إلى المرأة ، مع أن هذه الوظيفة ضرورية لكمال نموها ، ولذلك كان من الحق والسفه صرف المرأة عن الأمومة ، فلا ينبغي أن يتلقى الفتيان والفتيات ثقافة واحدة ، ولا أن يكون لهم أسلوب واحد في الحياة ، ولا مثل أعلى والحادي ، وعلى المربيين أن يعتبروا الفروق الجسمية والعقلية ، بين الذكر والأثني ، وما بين دوريهما الطبيعي . وبين الجنسين فروق لا يمكن أن تزول ، ومن الواجب اعتبارها في بناء العالم المتmodern ».<sup>(٣)</sup>

إن الدعوة إلى المساواة المطلقة ، بين الرجل والمرأة ، تؤدي إلى التزاحم والتنافس ، والصراع بين الجنسين ، والدعوة إلى التكامل ، بسبب الاختلاف ، وإنفراد كل جنس بمزايا وخصائص ، تؤدي إلى التعاون والاعتزاف .

— إن الأسرة هي مظهر تعاون الجنسين ، وفي داخلها يتكون الحب من جانب الأم للطفل والزوج ، ومن جانب الأب للزوجة وللطفل . والأمومة صفة أساسية فطرية في المرأة ، سواء أكانت أمما بالفعل أم لم تكن ، بل سواء وكانت متزوجة أم لم تكن ، وهي ضرب من الحنان والحب والرعاية ، تشعر

---

<sup>(٣)</sup> الكبس كاربل — في كتابه : «الإنسان ذلك المجهول».

بها المرأة شعورا فطريا ، و اذا لم يكن لها ولد انصرف هذا الشعور الى قرب تعطف عليه ، بل أحيانا الى غريب تتخذه ولدا لها .

والأسرة هي البيئة الصالحة الطبيعية ، المادية والمعنوية ، لتكوين العواطف الطبيعية في الانسان . والمرأة لها فيها دورها الخاص ، فهي العنصر الثابت ، والركيزة الدائمة وهي المنبع الطبيعي لعواطف الود والحنان ، في حين أن الرجل هو عامل الارتباط ، مع ما هو خارج الأسرة ، مع المجتمع ، وهو الذي يمارس الصراع في الخارج ، الصراع مع الطبيعة ، أو مع المجتمع ، سواء أكان صراعا ماديا لكسب العيش ، أو معنويا في سبيل عقيدة أو دعوة ، أم كان مجتمعا منهما ، فالرجل تبني طبيعته على الصراع القاسي ، والمرأة قوام طبيعتها إشعار الحب والحنان ، ولذلك كانت الأسرة أو الزوجة بوجه خاص البيئة التي يجد فيها أفراد الأسرة من زوج وأولاد السكينة والطمأنينة ، ويجد الرجل من تبادل الود ، ما لا يجده في الخارج .

ذلك هو جوهر الأسرة ، وهو ما أشارت اليه الآية الكريمة ( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ) .<sup>(١)</sup>

ومن أروع وأجمل ما قيل في تلخيص وظيفة المرأة الأساسية الحديث الوارد في الصحيحين : ( خَيْرٌ نِسَاءٌ رَبْنَ إِلَيْلَ ، صَالِحٌ نِسَاءٌ فَرِيشٌ ، أَحَنَاهُ عَلَى وَلَدِهِ فِي صَغِيرِهِ ، وَأَرْعَاهُ عَلَى زَوْجِهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ ) .

إن السكينة أو الطمانينة ، والمودة والرحمة ، المتباينة بين الزوجين ، وحنون الأم على الصغير ، ورعايتها لمال الزوج و بيته ، هي العناصر الأساسية التي أوردتها الآية والحديث ، على أنها قوام الحياة الزوجية ، المشتركة بين المرأة والرجل .

---

<sup>(١)</sup> سورة الروم : 21 .

إن سلامة هذه البيئة الطبيعية ، التي يتكون فيها الإنسان تكونا طبيعيا سليما ، وهي الأسرة ، لا تكون إلا بقوية أواصر الأسرة ، وجعلها المتنفس الطبيعي الوحيد للحياة العاطفية والجنسية المشتركة ، سواء بالنسبة للمتزوجين الذين كونوا هذه الخلية الأساسية ، أم بالنسبة لغير المتزوجين ، وإن الخلل إلى المجتمع يأتي من خرق هذا الجدار ، ومن نشوء علاقات جنسية خارج الأسرة . وشيوع ذلك سواء بالنسبة إلى حياة ما قبل الزواج ، أم بالنسبة إلى فترة الحياة الزوجية هو إضعاف للأسرة وإفساد لتكوينها ، وخرق لجدرانها ، وإن المجتمع كُلّ واحد ، وإن أي حادثة في هذا المجتمع تؤثر في كيان الأسر التي يتكون منها ، ولو لم يكن لهذه الأسر علاقة مباشرة بالحادثة أو الظاهرة .

إن قيام المجتمع على أساس العفة والاحسان ، وسلامة الأسرة والحياة الزوجية ، يستلزم اتخاذ تدابير عملية من جهة ، والقيام بتهذيب خلقي من جهة أخرى ، ولابد من اجتماع الأمرتين معاً .

يتبين مما تقدم من أفكار أن موضوع الرجل والمرأة ليس في اختيار أحدي فكرتين : التفضيل ، أو المساواة ، وإنما هو موضوع اختلاف في الخصائص ، يقتضي اختلافاً في التخصص والعمل ، ويقتضي توزيع الاعمال بحسب الاستعدادات والخصائص ، وذلك ما أخذ به الاسلام ، فهناك من جهة مساواة كاملة في الانسانية ، وما يتفرع عنها من كرامة أخلاقية ، وتکلیف ومسئوليّة ، فالنساء شقائق الرجال . «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا»<sup>(١)</sup> ، «هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَقْرِينٍ وَاحْدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِتَسْكُنَ إِلَيْهَا»<sup>(٢)</sup> .

<sup>(٣)</sup> سورة النحل : 72 .      <sup>(٤)</sup> سورة الاعراف : 189 .

وهناك من جهة أخرى تفاوت واختلاف . اختلاف في التركيب العضوي ، واختلاف في التكوين النفسي ، ينشأ عنهم اختلاف في الصفات والخصائص والمزايا ، وهذا التفاوت في الخصائص يقتضي توزيع الأعمال في الحياة ، بين الرجل والمرأة ، توزيعاً يتناسب مع هذه الخصائص المتنوعة المختلفة .

وكذلك الناحية الحقوقية ، فالحق هو ممارسة لوظيفة اجتماعية ، وينشأ بنشوئها ، ولذلك كانت الحقوق المتعلقة بالصفة الإنسانية ، للرجل والمرأة متساوية ، وأما الحقوق المتعلقة بالأعمال الموزعة بينهما ، توزيعاً متناسباً مع الخصائص ، فهي مختلفة ومتناسبة مع توزيع الاعمال ، وهذه قاعدة مطبقة في المجتمع اليوم ، فحقوق الناس تختلف باختلاف مؤهلاتهم المكتسبة ، نتيجة لاستعداداتهم الفطرية ، فحملة الشهادات العليا من أطباء ومهندسين وحقوقيين ، وحملة الشهادات الثانوية العامة والمهنية ، وحملة الشهادات الابتدائية كل هؤلاء يشتغلون في الحقوق الإنسانية ولكنهم يتفاوتون في الحقوق الناشئة عن شهاداتهم ومؤهلاتهم وكفایاتهم العلمية والعملية ، فليس للطبيب أن يدافع أمام المحاكم ، ولا للمحامي أن يمارس الطب ، وقد يعطى للأطباء أو المهندسين أو المحامين حقوق انتخابية في تكوين بعض المجالس لا تعطى لغيرهم ، كذلك موضوع الرجال والنساء مساواة إنسانية خُلُقية معنوية ، وتفاوت وتنوع في الأعمال وأنواع المشاطط ، تنشأ عنه إنسانية كاملة راقية متخصصة . هي نوع واحد يتكون من جنسين كلاهما يعمل لخير النوع كله بتحقيق إمكانيات جنسه ، ونموه في إطار جنسه ، واستعداده ووظيفته .

محمد المبارك

## مع النص

- 1 - ما المشكلة التي يعالجها هذا النص ؟ وما الاسباب التي أدت الى اثارتها ؟
- 2 - ما اثر الحضارة المعاصرة على تقاليد المرأة والاسرة في المجتمعات النامية ؟
- 3 - أكدت مباحثات علوم : النفس ، والاجتماع ، والاحياء ، ان هناك فروقاً بين الجنسين ، فما هي هذه الفروق ؟ وماذا يتربى عليها من واجبات ؟
- 4 - ما العوامل التي جعلت الاسرة منبها للتعاون الاجتماعي ؟
- 5 - ما ابرز مظاهر التعاون بين الرجل والمرأة ؟
- 6 - اشار الكاتب الى الدعائم التي ترتكز عليها الحياة الزوجية ، فما هي ؟
- 7 - برأي الوسائل نحافظ على سلامة الاسرة والمجتمع ؟

## تقويم النص

### ا - الأفكار :

- + 1 - يعالج هذا النص مشكلة ثار حولها كثير من الجدل فيما مظاهرها في مجتمعنا الحديث ؟ وما رأيك فيها ؟
- + 2 - اقترح ما تراه من الوسائل التي يمكن المرأة من القيام بواجباتها داخل الاسرة ، والمشاركة في النهضة الاجتماعية الحديثة .
- + 3 - يرى الكاتب ان هناك اعمالاً تناسب طبيعة تكوين المرأة ، واستعداداتها الفطرية . ناقش هذه الفكرة مبينا وجهة نظرك .
- + 4 - دعا بعض المفكرين الى المساواة الكاملة بين الجنسين ، ورأى آخرون أن الرقي الاجتماعي يكمن في الدعوة الى التعاون والتكميل بينهما فاي الرأيين تفضل ، ولماذا ؟

### ب - الأسلوب :

- 1 - به يتميز اسلوب الكاتب في عرض افكاره ؟
- 2 - عزز الكاتب افكاره بوسائل متعددة للافتاع . اذكرها مبينا مدى توفيق الكاتب في اختيارها
- 3 - استخرج من النص اوضاً العبارات التي تروقك ، وبين سبب اختيارك لها .

## استثمار النص

### أ - سجل في كراسك الخاص :

- الأمومة صفة أساسية فطرية في المرأة ، سواء أكانت أما بالفعل أم لم تكن .
- ان موضوع الرجل والمرأة ليس في اختيار إحدى فكريتين : التفضيل أو المساواة ، وإنما هو موضوع اختلاف في الخصائص ، يقتضي اختلافاً في التخصص والعمل .
- النساء سقائق الرجال

### ب - لاحظ :

- لاحظ كلمة «ينشأ» في عبارة : . . . إن تضامن المجتمع وتكامله ، ينشأ من اختلاف الصفات والمزايا . . . ، الواردة في النص ، وقارن بينها وبين الكلمات الواردة من مادة «نشأ» فيما يأتي :

- نشا الصبي نشأة حسنة ،
- انشأ الله الخلق ،
- انشأ الكاتب مقالة .

مبينا معنى كل منها ، في السياق الذي وردت فيه

### ج - طبق :

(1) بين ما يلي :

- تدل كلمة «النشاء» على الإيجاد والتربية .
  - هات مرادفا لها ، واستخدام كلا من الكلمتين في عبارة أدبية بليفة .
  - بين مدلول كلمة «الإنشاء» من الناحية البلاغية ، ومن الناحية الأدبية .
- (استرشد فيما سبق ، بالقاموس اللغوي)

### 2 - انسج عدة عبارات ، على منوال العبارة الآتية :

ان المجتمع كلما كان أرقى ، كان الأفراد فيه أبعد عن التمايل والتشابه ، وأقرب إلى تنوع الشخصية واختلاف الاختصاص .

### 3 - حسرد :

مشكلة المرأة والاسرة من القضايا التي أثارت اهتمام المفكرين والأدباء ، قدימה وحديثا .

ناقش هذه القضية ، مستعيناً بدراساتك السابقة .

النص :

كنت يوماً أتحدث مع صديق من صحفيينا الناشئين مليء بالحماس والجرأة والاندفاع والذكاء وشيء من جدّة الأعصاب ، صفات يتحلى بها الكثير من شبابنا . فقلت : أنا أعتقد أن شعبنا في حاجة إلى أن نربيه لا لعلمه كيف يشتم ويسب . إن هذه الناحية فيه بالغة أوجهها من «الكمال». يكفي أن تستمع إلى أطفالنا كيف يتطابلون في الشوارع أن بلاغتهم تدعو إلى الاعجاب في هذا الفن ، بعبارة أخرى هناك فرق بين مفهوم التربية والتكتوين ومفهوم الاثارة والاستفزاز . وهذا أيضاً يصلح أن نجد له مكانه في ميدان معركة المفاهيم . اتنا على ما يظهر مازلنا نفرق تماماً بين الحرية والمسؤولية . أو بالأحرى لا نتصور مدى ارتباط الحرية بالمسؤولية . نكثر من الحديث عن حرية المرأة . ولكننا لا نتحدث إلا قليلاً عن المسؤولية التي تاجر لها من هذه الحرية ، وتشير في المرأة غريزة حب المطالب ولكننا لا نحدثها عن جانب العطاء والدفع مقابل هذه المطالب . أتعترف أن مشكلة الحرية والمسؤولية من أعوص القضايا الفلسفية في مادة الأخلاق وحتى في ميدان ما وراء الطبيعة ، والنقطة الإيجابية المنطقية التي يمكن أن نخرج بها من هذه المعركة هي أن الإنسان لا يمكن أن يكون ذا مسؤولية ما لم يكن يشعر بأنه حر فيما يأبه وما يدعه من أعمال . والعكس أيضاً صحيح أو هو أكثروضوحاً : إذا كنت حرًا في عمل من الأعمال فانك لا تستطيع أن تتصل من مسؤولية أعمالك وتصرفاتك . والتربيـة الانجليزية الحديثة بالنسبة للأطفال أنفسهم تقوم على هذا الأساس : يتركون مجالاً كبيراً من

(١) الدكتور عبد الله شريط كاتب جزائري معاصر ، وهو استاذ علم الاجتماع بجامعة الجزائر . من آثاره : «معركة المفاهيم» و «من وائع الثقافة الجزائرية» .

الحرية في تصرفات الطفل وأفعاله وعندما يقع في أخطاء تسبب له في أضراراً ، يفهمونه بأنه هو المسؤول عما حصل له من ضرر ويتركون الحوادث تطه وتكون فيه الشعور بالمسؤولية عما فعل ويفضلون ذلك على الدروس الكلامية والتوجيه النظري .

وحرية المرأة عندنا ماذا تفهم منها ؟ حرية الخروج والتزين واضاعة الوقت عند الجارة وأمام وجهات الدكاكين ، تفهم الحرية على أنه من حقها أن تشتري ما يعجبها . ولكنها لا تربط هذه الحرية بأنه من واجبها أن تعمل وتتوفر الدخل الذي تشتري به ما تشاء .

هذا النص ليس موجوداً عند نسائنا فحسب . هو أفح منه عند شبابنا ، يستكشف الشاب عندنا عن ليس ثياب متوسطة النوع متواضعة الشمن ويريد نعالاً من الطراز الأول ولكنه يتوجه إلى أبيه أو أخيه ليدفع الشمن لأنـه – هو حضرة الشاب – عاطل لم يجد عملاً . وعندما تقترح عليه عملاً تجده في الحقيقة يرغـب في وظيفة بدون عمل . أجـرـتها عـالـيـةـ وـمـجـمـودـاتـهاـ لا تـجـاـوزـ رـقـةـ أـنـامـلـهـ الـلـطـيفـةـ وـرـأـسـهـ الـفـارـغـ .

هذا مرض عام ، عند نسائنا وشبابنا ، بل وحتى عند الكبار من المسؤولين في مختلف مجالات حياتنا الوطنية : الراحة الواسعة والنفقات الباهظة . أما العمل والاتاح فتتركه للآخرين من الأمم الأخرى : الفلاح الروسي يحصل ويكتـدـ ويدخل الأموال والأرزاق لدولـهـ . ونـأـيـ نـحـنـ فـنـمـدـ أـيـدـيـنـاـ طـالـبـيـنـ قـرـضاـ بـدـوـنـ فـائـضـ وـبـدـوـنـ شـرـوـطـ سـيـاسـيـةـ إـلـىـ آـخـرـ الـأـغـيـةـ !ـ والمعلم الفرنسي يسمـرـ اللـيلـ وـيـتـكـونـ ثـقـافـيـاـ وـأـخـلـاقـيـاـ فـيـكـونـ مـعـلـماـ مـثـالـياـ وـمـوـظـفـاـ كـامـلاـ وـخـبـيرـاـ مـنـتـجـاـ ، وـتـقـدـمـ نـحـنـ لـدـوـلـهـ أـنـ تـرـسـلـهـ إـلـيـنـاـ لـأـنـ مـعـلـمـنـاـ مـسـكـيـنـ – لـيـسـ لـهـ هـذـهـ الـعـبـرـيـةـ ، وـنـظـلـ مـنـهـ أـنـ تـرـسـلـهـ بـعـنـوانـ التـعاـونـ . التـعاـونـ الـشـرـكـيـ فـيـ الـمـيـدانـ الثـقـافـيـ ، كـمـاـ لـوـ كـانـ تـعـيـنـنـاـ فـرـنـسـاـ وـنـحـنـ أـيـضاـ نـعـيـنـاـ فـيـ هـذـاـ الـمـيـدانـ !!ـ وـهـكـذـاـ يـتـسـعـ الـآـخـرـونـ وـنـسـتـهـلـكـ نـحـنـ .

عنوان ماذا ؟ بعنوان نفسية المطالب والاستهلاك وعدم الالتفات الى الاتاج . نفسية الحرية المهمة بدون الالتفات الى ما يترتب عنها من المسئولية .

ان المرض عام ، وموضع المرأة ليس الا جزءا من اعراضه ، لذلك أعتقد اتنا عندما نقصر الحديث عن المرأة ، ثم عندما نأتي لموضوع المرأة نفسه فنتحدث عن جانب منه فقط : جانب الطاء واستهلاك الحرية ونغفل جانب الدفع نكون في الواقع قد شوهنا الموضوع وقطعنا إحدى رجليه . قال أخي الكاتب : «إن مجتمعنا لا يدخل رحاب التقدم الا ماشيا على رجلين من حديد هما الرجل والمرأة».

وهذا صحيح . ولكنني أحب إلا نظر الى الموضوع على أنه مشكلة الرجل والمرأة بل هو مشكلة «المواطن». سواء كان رجلا أو امرأة شابا أو فتاة . هو مشكلة الحرية مع المسئولية . المرأة يجب أن تكون حررة في تصرفاتها ولكن ينبغي أن تشعر بمسؤولية هذه الحرية ، حررة في أن تسير في الشارع . ولكنها حررة في أن تسير الى العمل لا الى مجرد التفاصح . حررة في أن تلهم ولا تقضي حياتها بائسة حزينة . ولكن الأرجل التي تتقن الرقص يجب أن تحمل رأسا متعلما وصدرها مفعما بالمواطنة النبيلة . يجب أن تشتري امرأتنا الملابس الجميلة - لا الفاخرة - ولكن ينبغي أن تعرف كيف تأتي بالأموال التي تزين بها عن طريق العمل والاتاج - يجب أن تشعر بأنها سعيدة في بلادها الحرية السعيدة . ولكنها الحرية المسئولة عن مصير بيتها وأبنائها ووطنهما .

كلا ! اتنا لا نستطيع أن نفصل مفهوم الحرية عن مفهوم المسئولية اللهم الا اذا كنا نريد أن نبحث - والحرية تعني الاتاج قبل أن تعني الاستهلاك .

عبد الله شريط

## هذا أَن تكون طفلاً في سن الخمسين !<sup>(١)</sup>

النص :

أعظم ما يدل على أن الإنسان ناضج وأنه قد بلغ سن الرشد النفسي أن يكون قد تخلص من عادات الطفولة السيئة ، وأنه قد مرن على التغيير بحيث يرضي بأن يتكييف للوسط الجديد ، فيبدل بعاداته الذهنية والنفسية والجسمية عادات أخرى تتفق ومصلحته ومصلحة المجتمع الذي يعيش فيه .

ونحن تسامح مع الأطفال في استجابات نفسية كثيرة لأننا نعتقد أنهم عندما يبلغون الشباب سيقلعون عنها باعث من أنفسهم ، وهذا هو ما يحدث بالفعل ، ولكن هناك من التسامح المسرف ما يجعل هذه الاستجابات ثابتة ، وذلك مثلاً حين ندلل الطفل فلا نزجره بتاتاً عن أي خطأ يقع منه . وحين ينشأ فإذا بجد من يزجره من أب أو معلم أو زميل أو رئيس فثبتت فيه العادات الطفولية ويندفع المسكين بعواطف قهقرية لا يعرف كيف يضبطها حتى حين يبلغ العشرين أو الخمسين من العمر .

ـ تصور طفل تركه أبواه يعاشه وهو في الثانية أو الثالثة من العمر ويصر على عناده بشأن هذا اللون من الطعام او تلك القطعة من الحلوى أو على أن يخرج من البيت أو يبقى فيه ، فان هذا التصرف لا يلفتنا كثيراً لأننا نعتقد أن عادات الطفولة هذه ، سوف تتغير ولكننا نفاجأ بعد سبع أو ثمان سنوات حين نجد أن هذا الطفل يعصي أبيه في الذهاب إلى المدرسة ويصر على الإضراب عن الدراسة إلا اذا اشتريا له حذاء جديداً أو بدلة جديدة ،

<sup>(١)</sup> من كتاب «محاولات» للكاتب سلامة موسى بنزان : أطفال في سن الخمسين .

ثم هو قد يبلغ الرجلة فإذا خاصم أحدا استحال خصومته إلى عناد بحيث يقضي كل أيامه وهو يجتر هذه الخصومة ويتحدث عنها ويتورط في قضايا بسيبها .

أو تصور مثلا هذا الطراز الآخر ، فقد عرفت رجلا يبلغ الخمسين ومع ذلك عمد في يوم شم النسيم <sup>(1)</sup> الماضي إلى دعوة سبعة أو ثمانية من أصدقائه كي يقضوا معه هذا العيد في طرب ، فلما كان صباح هذا اليوم بكر إليه هؤلاء الأصدقاء . ولكن ما كان أعظم دهشتهم حين وجدوا باب مسكنه مقفل بقفل ضخم والبيت فارغ . فقد سافر داعيهم هو وأهله إلى بلدة أخرى .

وهذه النكتة العملية يضحك منها طفل ، وهي تسق وألعابه وطفولته ولكن الرجل الناضج يشمئز من هذا السلوك لأن كلمة الوعد هي كلمة الشرف .

﴿ وهذا الطفل كان أيام طفولته يؤذى بهذه الألعاب فيجد التسامح المسرف فلا نصيحة ولا توبیخ ولا عقوبة . وها هو ذا قد شب فبقي فيه هذا المزاج السخيف يؤذى به أصدقائه حتى وهو في الخمسين من عمره وшибه بهذا السلوك ما يفعله طفل أو طفلة في سن الثلاثين أو الأربعين حين يرسل إليك برقية يوم أول أبريل <sup>(2)</sup> عن نعي فلان من أصدقائك أو أقاربك .

وكلنا يعرف تلك الشخصية الأنانية ، رجل في الخمسين أو الستين من العمر ، لا يزال ينظر إلى الدنيا والى زملائه وأعضاء عائلته والى وطنه بتلك الأنانية الاقتنائية <sup>(3)</sup> إذ يريد أن يقتني ويخطف وينهب ، وشعاره في الحياة : أنا وحدي .

(1) يوم شم النسيم : هو أول يوم في الربع .

(2) أول أبريل : أشاره الى كذبة أول أبريل المروفة عالميا .

(3) اقتني المال : جمعه . والروح الاقتنائية هي الجماعة لكل شيء فهو من مال وغيره .

وعندما تتأمل هذا الانسان نجد أنه آذى نفسه آذى عظيمًا وأن عواطفه جفت فلست تجد له صديقة ، بل لست تجد له من أسرته من يحب أن يجالسه فضلاً عن أن يصادقه إذ هو قد برهن في تصرفاته المختلفة على أنه خلو من العطف والحنان والشرف . لأن جميع هذه الفضائل اجتماعية وهو في صميمه انفرادي أناي . بل انه يحتقر الثقافة ويأبى أن ينفق قروشا على شراء كتاب لأن الثقافة في صميمها اجتماعية . وإذا لم يكن الانسان مهتماً بل مهموماً بالمجتمع فإنه لا يثقف ذهنه ولا يبالي كيف كان يفكر الفراعنة أو الاغريق أو ماذا يكتب الالمان والأنجليز في عصرنا ...

ـ ومعظم ما تراه من شقاء في العلاقات يرجع الى أن الابن البكر قد دُرِّلَ كثيراً وترك لأنانيته بلا تنقيح أو اصلاح فنشأ اقتئانياً صائلاً يخطف ويسرق أمه وإخوته كما لو كان طفلاً في الثالثة من العمر ، وأحياناً تتأمل هؤلاء الأطفال الكبار في تصرفاتهم الصغيرة على المائدة أو وقت المخالفات في الحديث فأجد أخلاق الأطفال واضحة ، فهم يأكلون بنهم يشبه الخطف ، وهم يصخبون في الجدال حتى يضرموا الأرض بأقدامهم ، وهم يضحكون عندما يسمعون بنكبة وقعت باحد الناس . لأن النكبة نكتة . وهم يعيرون المعioهين بعاهاتهم ، فالأخسحون عندهم «أعور» والأصم أو من به صمم أطروش الخ .

ـ وقلَّ أن ينبع الأناني في الحياة لأنَّه في الأغلب يتطرح في لأنانيته الاقتئانية إلى السرقة التي تسلمه إلى السجن . والارتقاء الذاتي يحتاج إلى صفات اجتماعية كثيرة ، لأننا في النهاية لا نرتقي لأنفسنا وإنما نرتقي للمجتمع ، إذ نحن ننشد من هذا الارتقاء شرفاً ووجاهة ومقاماً ، وهذه الغايات تثير في أنفسنا عواطف اجتماعية حسنة .

وكلنا الى حد ما أطفال ولو بلغنا السبعين من العمر ، فاننا حين نغضب وثور تفوح أفواهنا على الرغم منا بكلمات ناوية مؤذية ، وهذه الكلمات من آثار الطفولة ، بل إن عواطف الطفولة تثار أيضا لأننا في مثل هذه الظروف قد نهب الى ضرب الخصم أو ركله .

بل هناك العلماء الذين يخترعون القنبلة الذرية أو الايدروجينية لمحو أمة كاملة وهم فرحون كالأطفال بقنبلتهم أو لعبتهم ، إذ هي صاروخ عظيم يقعقع ولا يبالون قتل الأطفال والأمهات والمسنين والشباب والقتيات لأنهم ، أي هؤلاء العلماء ، لم ينضجوا .

أيها الشباب ... لا تتركوا الأنانية تتمرر نفوسكم ، وحذر أن تسيحوا لها الطريق فتكونوا أطفالا في سن الخمسين ...

#### اسئلة حول المحـدـ

- 1 - ما الفكرة الأساسية التي تربط بين موضوعات هذا المحور ؟
  - 2 - ما رأيك في معالجة هذه الفكرة ؟ وضح على ضوء ما درست
  - 3 - قارن بين ماورد حول قضية المرأة في نص « بين الحرية والمسؤولية » ، وبين الأفكار التي تعالج هذه القضية ، في موضوع : « المرأة بين حضارتين » ، مبينا وجهة نظرك .
  - 4 - ما مدى ارتباط الحرية بالمسؤولية ؟ وما اثر ذلك على العمل والانتاج ؟
  - 5 - للتربية الخاطئة اعراض سيئة ( كالعناد والأنانية ، والسلبية ) ، ولها آثار خطيرة على العلاقات الاجتماعية .
- ناقش هذه القضية موضحا دور الأسرة في معالجتها .

## «ب») السياسة والمجتمع

أصبحت شؤون السياسة والمجتمع من أبرز شوافل هذا العصر ومن أهم ميادين البحث والدرس فيه . وفي النصوص التالية صور وواقع تلامس جوانب متعددة من حاليتنا السياسية وأوضاعنا الاجتماعية ، في أكثر من عصر ، وهي في جملتها تتجه الى الكشف عما يتضطرب به حياة مجتمعنا العربية من هموم ومشكلات ، وما يمس علاقات افرادها وجماعاتها في شتى المجالات ، كشأن الامصار والتجارة ، وأوضاع الحكم والادارة ، وادوار الفردية الانثرو ، والمصلحة المعرفة ، الى غير ذلك مما نعرف له فصول هذا الباب ..

## الحل البارع والحل المفيد

تمهيد :

الحياة تحلو وتكمel في مجتمع يسمى فيه الفكر ويستقيم السلوك ، وتنمو وتسعد في مجتمع تخيم عليه النقاوش والسلبيات ، والنفس الذي بين يديك يعرض عليك بعض الأمراض التي يجب أن تتخلص منها لتعيش حياة خصبة كريمة .

النص :

لم أتصور بعد بوضوح ، كيف أن واقعنا شيء وال تعاليم التي تسمىها (نظيرية) في ديننا شيء آخر . فهل تنفصل باز عاج نفسك وتضرب لي أمثلة على ذلك ؟ .

— أولاً أطلب منك أن تعدل تعبيرك هذا : (ال تعاليم التي تسمى نظيرية). فأنا لم أسمها نظيرية إلا بعد أن صررتها نحن نظرية بحثة . أما هي في ذاتها فأعترف أنها حاولت أن تكون عملية إلى أقصى حدود المحاولة التي نطيقها نحن البشر . حتى إن القرآن صور لنا الجنة في صورة حسية نكاد نلمسها لمسا . وجعل عينا الذي تقوم به في هذه الحياة من أجل الدخول إلى الجنة عملية تجارية : تفعل الخير في هذه الحياة لتحصل على الجزاء في الآخرة . وأعترف أيضاً أن ذلك متناسب تماماً مع طبيعة البشر .

إننا لا نفعل شيئاً ولا تقنه — بالخصوص — إلا إذا كانت لنا فيه منفعة ملموسة . ولعل هذا التصوير الناجح الذي نجده في القرآن لخيرات الجنة هو الذي جعل المؤمنين الأولين يتسابقون إلى الاستشهاد ويفبط الأحياء منهم الأموات حتى أصبح قادتهم يهددون القاهرة والملوك بقولهم : (إنا أتيناكم بقوم يحبون الموت كما تحبون الحياة) وهذه نتيجة حية من تأثير تلك التعاليم (العملية) التي جاء بها الإسلام . وأظنك لست في حاجة لأن أسرد لك التاريخ، وكيف تحجرت فيما بعد — تلك التعاليم العملية وأصبحت (قواعد) صيرت المسلمين — كما يقول الشيخ باديس — (قواعد) من النساء .

هذه — إذن ملاحظة على الهاشم . أما المثل فهو الآتي : لا تذهب بعيدا . أنا وأنت الآن نبحث في هذه الأحاديث أوضاعنا الفاسدة ونحاول أن نرجعها إلى أسبابها ، ونفتح أمامها مخارج إلى آفاق مفتوحة . أليس هذا هو غرضنا ؟ .

— نعم .

— ولكن ألم تشعر بأننا نفعل ذلك بعقلية نظرية بحتة ؟ أعني أنا (تحلث) ولا (نحلل) . تحليث عن مبادئ عامة أو ذكر مات في التاريخ أو نستشهد بتصرف فلان أو قوله فلان . ولكننا قليلا ما نحلل أوضاعنا القائمة أو نربط ظواهرها الاجتماعية بأسبابها النفسية كما يفعل الأوروبيون : تهم تجارنا مثلا بأنهم يغتنمون فرصة رمضان أو جائحة سنوية ليحتكروا المواد ويرفعوا أسعارها ، وكذلك يفعل الصناع وغيرهم . ثم نقف عند هذا الحد . أما الأوروبيون فيتناولون هذه الظاهرة بتحليل من نوع آخر ويطلقون عليها — في علم الاقتصاد — مصطلحا خاصا يسمونه (بالقيمة الذاتية) .

— ما معنى هذا المصطلح الغريب ؟

— معناه أن الأوروبيين يحددون أسعار بضائعهم تحديدا (موضوعيا) .  
ونحن نحددها تحديدا (ذاتيا) .

— لم أفهم بعد .

— أعرف أنك لا تفهم مصطلحات القرن العشرين : التاجر أو الصانع أو المنتج على العموم في أوروبا يحدد أسعار بضائعه بعد أن يقوم بعملية حسابية مضبوطة تتناول ثمن الشيء وهو مادة خام ، قبل أن يصنعه ، ثم أجرة العمل الذي أنفقه في تحويله إلى بضاعة مصنوعة ثم يضع هامشا للربح تمشي مساحته مع التكاليف العامة أي أنه يحدد ثمن التكاليف العامة ثم يضيف إليه ما يناسبه من ربح ، ثم يضع ثمنه عليه كحق من حقوقه

المشروع لا ينزعه فيه أحد ، وسواء اشتريته منه أم غيرك فالثمن لا يتغير ، ولا ينزل أو ينخفض بحسب الوجه الذي يشتري .

وهذا ما يسمى بالتحديد الموضوعي : يتناول موضوع الثمن لاحالة من يشتري البضاعة .

أما عندنا نحن فالامر يختلف عن ذلك . التاجر أو الصانع قل أن يعرف بالضبط ثمن التكاليف التي ينفقها على الشيء وماذا كانت هذه التكاليف قبل أن يصنعه وبعد أن يعيشه للبيع أو قبل أن يشتريه وبعد أن يعرضه بدوره على المشتري . وتأتي مرحلة البيع فتبدأ المعركة بين البائع والمشتري : معركة المساومة التي لا حد لها والتي لا يعرف فيها المشتري أبدا اذا كان البائع قد غشى في الثمن أم لا . كما لا يعرف البائع أبدا هل حق هامشا من الربح يتمشى تماما مع التكاليف أم ان الثمن الذي باع به بضاعته ليس فيه هامش ربح على الاطلاق وانما هو باعه (برأسماله) أو دونه بقليل أو كثير .

يقول هنا علماء الاقتصاد الأوربيون إن تاجرنا أو صانعنا يحدد سعر بضاعته لا حسب تكاليفها المضبوطة ، بل حسب وجه المشتري الذي يقصده : ان كان وجه مغفل لا يعرف الأسعار فالثمن يرتفع بصورة آلية الى حد مخيف . وان كان وجها تبدو عليه علامات الفطنة والتجربة كان الثمن - بعد المساومة طبعا - منخفضا الى حد مدهش وهذا هو التحديد الذاتي : لا يتناول الشيء نفسه بل يتلون حسب حالة المشتري . وهكذا أصبحت كل عملية تجارية - عظيمة كانت أم صغيرة - تجري في أسواقنا ، هي في الواقع عملية مراهنة أو قمار أو سرقة أو احتلال أو كلمة أخرى من كلمات التحايل والكذب ، ولكنها ليست عملية تجارية طبيعية يعرف فيها البائع ثمن تكاليفه وهامش ربحه ، ويعرف المشتري أنه سواء اشتراها من هذا التاجر أو ذاك ، وسواء كان التاجر مصليا أو خمارا فذلك لا دخل له في التجارة أو الصناعة ، والمشتري اذن مطمئن على أنه لم يخدع فيها . وإذا

قت بعملية احصائية لوقتنا الذي نضيعه – باعة ومشترين – في المساومة والتحايل والاصطياد تدرك مبلغ الخسارة التي تتعرض لها في استنزاف أوقاتنا وأعمالنا في هذه العملية التافهة ولكننا لا نشعر بذلك لأن الوقت عندنا من رمل وليس من ذهب .

الآن فداحة الخطب تسرى الى ميدان آخر ، وهو أن تكرار هذه العمليات في حياتنا عدة مرات في اليوم ومشاركة الطبقات والفئات الاجتماعية فيها من أطفال ونساء ورجال وشباب – يجعلها تنتقل من المحيط الخارجي الى المحيط النفسي ، الداخلي ، وترسخ فينا بحكم التكرار وتتندّ طابعاً من العمق والتأصل حتى تصبح عادية لا تلفت الاظار ، وتتسرب الى مختلف مجالات حياتنا النفسية فتصبح أخلاقاً يتعامل بها الأب مع أبنائه وزوجته ، والطالب مع معلمه والشعب مع الحكومة والحكومة مع الشعب . ويصبح مجتمعنا يعيش بالشذوذ ولكنه يراه طبيعياً ، وهذا ما يسمى بالمجتمع المفسخ : لا من الناحية الأخلاقية فحسب بل من ناحية التكوين ذاته .

تفسخ الألوان في نظرنا ويصيغنا ما يسمى في علم النفس بعمى الألوان – فلا تفرق بين الأبيض والأسود ، ولا بين الريح المشروع والسرقة المقنعة ، ويختلط الذكاء بالحيلة ، والعجرفة بالشجاعة ، والخبث بالدبلوماسية ، والجشع بالطموح ، والغرور بالحيوية ، والفوضى بالنشاط ، والتدجيل والتدين والبلاغة بالأخلاق ، وتنطمس معالم الاشياء والقيم ويستوي الماء والخشب ، والحب والمنفعة ، والفن والتجارة ، والعلم والمكر ، والطبيعي والمفتعل ، وتتدخل الحدود بين الاخوة والمراؤحة ، والحق والسلط ، ويصبح الواجب هو براعة القرار منه .

– وأخيراً هل ستقف عند حد في سرد هذه السلسلة ؟ وما هو الحل ؟

– نعم ، سأقف ، الأحسن أن أقف . أما الحل فهو سهل : لماذا تزعج أنفسنا بالحديث عن هذه المأساة ونحن في شهر رمضان الكريم ومقبلون على عيده الكريم أيضاً ؟ أليس من الأفضل أن نعود الى طبيعتنا : طبيعتنا

السمحة المتسامحة ونعدل عن محاسبة أنفسنا بهذه الطريقة المؤلمة التي يعاملنا بها أولئك الأوربيون الكفار؟ إن الحل الذي أعرف أنك ترغب فيه تجده في هذه القصة : سأله معلم تلميذه في عملية حسابية على الشكل الآتي : خرج شيخ أعمى في ليلة مظلمة تراكمت فيها الثلوج . فكان يضع عصاً في الثلوج وهو يمشي فتفوض ربع متر . وطول العصا متراً واحداً . فكم يبقى من العصا خارج الثلوج؟ فبقي الطفل ساكتاً . فقال له المعلم تكلم . فيهم تفكير؟ (قال التلميذ : انتي أفكرا لماذا خرج هذا الشيخ الملعون في هذه الليلة الملعونة حتى أوقعنا في هذه المشكلة).

-

ـ يا له من شيطان بارع هذا التلميذ .

ـ بالضبط أنك تعجب ببراءته وحياته في التهرب من التهرب من الحل أما حل المشكلة الحسابية فقد نسيته . أنك ترغب في الحل (البارع) لا في الحل (المفید). وهذا ما يجعلك ـ دون أن تشير ـ تلجاً في حل مشاكلنا الى التعاليم النظرية غافلاً عن الحل المفید .

عبد الله شريط  
كتاب : معركة المفاهيم

## مع النص

- 1) وازن الكاتب بين سلوكنا وسلوك الأوروبيين في الحياة الاجتماعية والاقتصادية ، وضح هذه الموازنة .
- 2) ما المعنى الذي قصد اليه الكاتب من مصطلح القيمة «الذاتية» والقيمة «ال موضوعية » ؟
- 3) ما الذي يأخذة علينا علماء الاقتصاد الأوروبيون في عملياتنا التجارية ؟ وفيما يمثل ذلك ؟ وما نتائجه في حياتنا ؟
- 4) ما العواقب التي تنجم عن تكرار هذه العمليات في حياتنا ؟
- 5) ذكر الكاتب الطريقة التي نحاسب بها انفسنا ، والاسلوب الذي نحل به مشاكلنا . وضھما .

## نقويم النص

### \* - الأفكار :

- ١) أورد الكاتب مقارنة بيننا وبين الأوروبيين في اختلاف النظرة الى الحياة الاقتصادية والتجارية ، ما منشأ هذا الاختلاف ونتائجها في نظرك ؟ وأي المنهجين اقرب الى قيمنا واخلاقنا الاسلامية ؟
- 2) يتحدث علماء الاقتصاد الأوروبيون عن ظاهرة تطبع حياتنا التجارية والاقتصادية بطابع الفوضى والازرجال ، ما رأيك في هذه الظاهرة ، والآثار التي تنتج عنها ، والوسائل التي تقتربها لتخلص مجتمعنا منها ؟
- 3) يرى الكاتب ان نفوسنا واخلاقنا تعاني مرضًا على مستوى الفرد والمجتمع والدولة ، وأن هذا المرض أصبح متفشياً بيننا مالوفاً لدينا ، ما علاقة هذه الظاهرة - في رأيك - بالمرحلة التاريخية التي يمر بها مجتمعنا ؟ وما الوسائل التي تقتربها لخلص المجتمع منها ؟
- 4) يقول الكاتب : إننا أصبحنا نلجأ في حل مشاكلنا الى الحلول النظرية البارعة ، ونهرب من الحلول العملية المفيدة ، ما رأيك في تعميم هذا الحكم واطلاقه على هذه الصورة ؟

### ب - الأسلوب :

- 1) عمد الكاتب في نشر آرائه على القراء - الى الاسلوب الحواري ، فما السر في ذلك ؟
- 2) من مميزات الكاتب الجلاء والوضوح ، فلما ترد ذلك ، الى بساطة افكاره ؟ أم الى طريقة عرضها بيسر ووضوح ؟

## استثمار النص

### ١ - سجل في كراسك الخاص :

- «إِنَّا أَتَيْنَاكُم بِقَوْمٍ يَحْبُّونَ الْمَوْتَ كَمَا تُحَبُّونَ الْحَيَاةَ».
- «رَحْمَ اللَّهِ أَمْرُءٌ سَمِحَ أَذًا بَاعَ ، سَمِحَ أَذًا اشْتَرَى ، وَسَمِحَ أَذًا قَضَى ، وَسَمِحَ أَذًا تَقاضَى».
- «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مَنَا».

### ب - لاحظ :

لاحظ كلمة «الرفع» الواردة بصيغة المضارع في النص «ليحتكروا المواد ويرفعوا أسعارها» وما لها من وجوه استعمال متعددة : رفع القضية الى المحاكم : قدمها . رفع الحديث : سلسله الى قائله الاول . ومنه «الحديث» المرفوع الى النبي صلى الله عليه وسلم . رفع الكلمة : الحقها علامة الرفع . ومنه ارفع النهار : امتد وطال . ورافعه الى الحاكم : شكاه اليه . وفي المثل : أقر الخصم وارتفاع النزاع : انتهى .

### طبق :

(١) بين معنى كلمة «نازع» الواردة في النص بصيغة المضارع ، والفرق بينها وبين «نزع» وما لهما من وجوه استعمال اخرى في جمل من عندك (مستعينا بالمعاجم).

(٢) انسج على منوال احدى العبارتين الآتيتين :

- لم اسمها نظرية الا بعد ان صيرناها نحن نظرية .
- انا لا نفعل شيئا ابدا الا اذا رأينا فيهفائدة ملموسة .

(٣) حرر :

اكتب مقالا تحاور فيه زميلا لك حول الحكمة المأثوره «من تقم داهه قتله».

تمهيد :

البيروقراطية - او الحكم المكتبي - علة تعاني منها شعوب كثيرة ، باقدار متفاوتة بينها قلة او كثرة .. ولا شك انك قرات او سمعت اطرافا عنها تناول اليك مما تطالعه في الصحف نارة ، او يليفك من اخبار الناس واحاديثهم ، نارة اخرى ، وكلها مجتمعة على الشكوى منها والتبه على خطورتها ، وقد تكون انت ايضا من عانوا بها على قلة ما قد يعرض لك من شؤون عملية في هذا الطور البالغ من حيالك .

والكاتب هو أحد الذين شقوا بضم هذه الثمرة المقيدة ، وابتلوا بمر مذاقها فابى عليه قلمه الا أن يجري بهذه السطور اللاهبة .

النص :

ابتليت هذه الأيام بأن اختللت الى بعض الوزارات في شأن من شؤون «الرسالة»<sup>(1)</sup> وأشد الأمور على نفسى أن أغنى دواعين الوزارة أو أقسام الادارة ، لأنى أعتقد كما يعتقد أمثالى من السوق الأحرار أن الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد ، فيه التفكير والتدبر والقيادة ، وليس فيه الاختيال والشموخ والسيادة ، ولكن الحكومة في أمم الشرق لا تزال تعتقد أن الرأس معناه أن يوضع فوق الجسم ليسمو على أعضائه ويعيش على غذائه . فإذا دخلت دورها لا تجد فيها الروح الوطنية التي تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاجتماعية التي تدير المنفعة المشتركة ، وإنما تجد بها مظاهر شتى للسلطان العجاري والبيروقراطية الصلفة<sup>(2)</sup> تعطل معنى الاصلاح وتبطل حقيقة العدالة .

<sup>(1)</sup> احمد حسن الزيات :

<sup>(2)</sup> الرسالة : مجلة أسبوعية أدبية كان يصدرها الكاتب .

<sup>(3)</sup> الصلف : الاعجاب والتكبر .

ترى أول ما ترى جيشا من الشرطة وكام السر والحجاب والسعاة  
يسد أبواب المكاتب ، ويسلام مدارج الطرق ، ويشغل فراغ الحجر . وهذا  
الجيش الذي يكلف الخزانة لا أدرى كم من المال ، لا عمل له الا بث  
الرهبة واظهار الأبهة وال Giulolle بين الناس وبين القائمين على «مصالحهم»  
من أولى الأمر . فإذا ساعدتك الفرصة أو ساعدتك الحاجة فنجوت من  
شراسة الشرطي أو العاجب ، وخلصت من غطرسة السكرتير أو الكاتب ،  
دخلت على الموظف الكبير بهوا كأبهاء القصور ، فرش بالطنافس ، وأثاث  
بالأرائك ، وزين بالتحف ، وأدفأ بالكمرباء وقام في صدره الحالي (3)  
ظرفة من طرف الأناث يقولون إنها مكتب .

ومن وراء هذا المكتب الفاخر كرسي وثير متحرك جلس عليه الموظف  
العظيم وبدلته تكاد تنشق من ورم الكبر ونفعحة السلطة ، فلا تستطيع أنت  
من رهبة السلطان أن تكلمه ، ولا يستطيع هو من عزة المنصب أن يكلسك .

هذه المظاهر القائمة على السرف والترف يجب أن تزول أو تخفف ،  
لأنها تحيط الموظف بجو من العظمة المستعارة تزور له ذاته ، وتفسد عليه  
حياته ، وتجعل ميزانه الاجتماعي منصوبا على ضميرين مختلفين : يزن في  
بيته ولنفسه بضمير ، ويزن في الديوان وللناس بضمير ويا ويل ذي الحاجة  
إذا دخل على الموظف مكتبه وليس منسوبا إليه ولا معروفا لدليه ولا موصى  
به ، انه لا يجد الا النظرة القاسية ، والكلمة الجاسية ، والاشارة المهينة ،  
والهيئة الوقحة التي تصرخ في وجهه بهذه الجملة :

يا بعد ما يبني ويئنك ، أنا حاكم وأنت محكوم ، وأنا «ميري» (4) وأنت  
«براني» (5) فإن احتمل المسكين الهون وقف على مضض ، وإذا ملكته الحية  
انصرف على شجار .

(3) الحالى : المردان (وتصدى لها العاطل). (4) ميري : لفظة عامية : «سيد».

(5) براني : لفظة عامية : «مسود».

لقيت منذ يومين في فناء الوزارة الفلانية صديقي فلانا المهندس المقاول  
يزجر من الغيط ويتفض من الغضب . فقلت له وأنا أربت على كفه :  
— كفاك الله الشر . ماذا بك ؟

قال بصوت يتفجر بالسطخ ويتهدج من التأثر :  
— والله يا أخي ما أدرني أنحن عبيد الموظفين ، أم نحن وهم عبيد القانون ؟  
هذا فلان (بك) (6) ..

— فلان بك ؟ انه الرجل الذي أقصده الساعة في مسألة عامة .  
— قال : تعال ! لا خير في لقائه اليوم . لقد تركته يفور على الكرسي  
فوران القدر على الموقد .  
— ولم كان ذلك ؟

— طلبت الاذن عليه لأشكو اليه خلل إدارته وإهماله مرءوسيه فان لي  
عملا يدخل في اختصاصه مضى عليه ستان ، وكان يكفي لانجازه  
يومان ، فأهملني عند سكرتيه ساعة ثم خرج من مكتبه غير آذن ولا  
معتذر . فانصرفت خجلان من سوء ما يظن بي كاتم سره . ثم عدت  
إليه يوما آخر وطلبت إذنه مع الطالبين ، وفيهم كما علمت النائب  
والصاحب والقريب ، فدخلوا وخرجوا ، ثم دخل قبلي من جاء بعدي ،  
حتى لم يبق في شرف الانتظار إلا أنا ورجلان من أصحاب العمل . حينئذ  
قال سكرتيه : إن (البك) مشغول بقية الوقت . فثار في وجهي الدم ،  
وطغى في رأسي الغضب فاقتحمت عليه الباب وقلت له من غير اعتذار  
ولا تحية : يا سيدي البك ربما كنت أنا الزائر الوحيد الذي زارك  
اليوم لعمل من الأعمال التي تجلس لها وتؤجر عليها فلم يكن من اللائق  
بأمانة المنصب أن تحبني مرة بعد مرة لستجيب الى طلاب الشفاعات  
والواسطات من ذوي الصدقة والقرابة .

---

6) بك : من الالقاب التركية . كان يمنح لذوي العظوة والجاه .  
ازالته ثورة يوليو 1952 .

فحملق (البك) في وقد استشاط وبربر وصاح : من أنت ومن أذن لك بالدخول ؟ فقلت له : أنا فلان سري من سراة البلد ، وثروة من ثروات الأمة ، نشأت في مهد العدم ، ثم تعلمت العمل الحر ، وضربت في سبيل العيش الكريم من أفق إلى أفق ، حتى أصبح عملي الناجع مرتفقاً لمنات من الأسر العاملة ، وأصبحت — وأنا لا أزال في شباب الكهولة — ذا خمسين ألف جنيه ورتبة . أما أنت فالكبير الصغير ! كبرك المنصب والمرتب اللذان أدركتهما بمضي المدة ، وصغرك العجز والكسيل اللذان كشفاك في إدارة العمل . إن سلطان الوظيفة يا سيدي عرض منفك ومتاع زائل . فإذا شئت أن تعرف أين أنت مني فدع منصبك الحصين وادخل معي في غمرة الدنيا وزحمة الناس ، ويومئذ ترى أينما يوطأ بالأقدام ، وأينما يرفع على الرؤوس .

وهنا رأيت الرجل يكاد يتمزق من الغيظ فأهوى بيده على أزرار الأجراس فصلصلت (7) جيعاً ، وقال لحجابه وسعاته : أخرجوا هذا .. من هنا . فأخرجوني على حال من الهوان لا يصبر عليها إلا رجل حازم أمام موظف أحمق .

فقلت له ونحن نمشي الهويني في طريقنا إلى البيت : هون عليك يا صديقي فإن أكثر الموظفين حالمهم مع الناس كحال هذا الموظف معك أيها القلم !

لشد ما أتمنى على الله أن يجعلك في يدي سناناً يخز ، ومعولاً يهدم ؛  
لقد عجزنا يا قلم وعجز اللسان .

[ احمد حسن الزيارات ]  
من « وحي الرسالة »

---

(7) صلصات : رجعت أصواتها .

## مع النص

- 1 - ما الفكرة العامة التي يعالجها النص ؟
- 2 - كيف صور الكاتب منزلة الحكومة من الامة ؟ وكيف كان يجدتها في الواقع ؟
- 3 - ما الذي يروع المواطن لدى اجتيازه أبواب المكاتب ؟
- 4 - ما المعنى الذي نفهمه من كلمة (بيروقراطية) ؟
- 5 - كيف وصف الكاتب محتويات المكاتب من الآثار ، ومن (الموظفين الكبار) المتصدرين لها ؟
- 6 - لم لا يملك كل من صاحب الحاجة والموظف ان يكلم الآخر ؟ وعلام يدل ذلك ؟
- 7 - ما رأي الكاتب في مظاهر (العظمية) هذه ؟ وما الذي يشفع لذوي الحاجات عند هذا (العظيم) ؟
- 8 - علام ينطوي التعليق الاخير للكاتب ؟ وهل تشاشه الرأي في عجز اولي الامر عن علاج هذا الداء ؟ .

## تقويم النص

### ا - الأفكار :

- 1 - ما هو - في رأيك - مصدر داء البيروقراطية ؟ وما اسباب تحكمه وشيوعه في الادارات والمكاتب ؟
- 2 - هل واجهتك مظاهر البيروقراطية عند زيارتك لبعض المصالح الادارية ؟ اذكر بعضا منها .
- 3 - احاول الكاتب تشخيص الداء ووصف الدواء ، ام اكتفى بعرض المشكك ؟ وضح ذلك .
- 4 - فرات - ولا شنك - ما كتبته الصحافة الوطنية وغيرها من وسائل الاعلام ، عن تشديد الحملة على البيروقراطية . ما المهدف من هذه الحملة ؟ وما هي في نظرك - الوسائل الناجحة للقضاء على هذا الداء المتفسخ ؟ وهل تقع تبعة القيام بها على المسؤولين وحدهم ؟

### ب - الأسلوب :

- 1 - «لا تجد فيها الروح الوطنية التي تبعث الحياة العامة ، ولا الفكرة الاجتماعية التي تدير المنفعة المشتركة».

- في الجملتين توازن هو من أبرز خصائص اسلوب الكاتب ، يلتزمه في معظم كتاباته . اختر عبارات مشابهة ، وبين رأيك في هذا الاسلوب .
- 2 - تتشابه معاني الجمل عند الكاتب ، حتى يبدو فيها شكل من اشكال الترافق في اجماليه ، ولكن حسن تصرف الكاتب فيها يجعلها تختلف في الاجزاء والتفاصيل ، كقوله :

«يسد أبواب المكاتب ، ويملاً دراج الطرق ، ويشغل فراغ العجر».

- اختر جملة أخرى مماثلة من النص ، ووضح وجوه الشبه بينها في المعنى .
- 3 - هل تجد لاسلوب الكاتب نظائر في أساليب كتاب العصر العباسي ، وبعض كتاب العصر الحديث ، وخاصة في المغرب العربي ؟ وما رأيك في هذا الاسلوب ؟

### **استئثار النص**

- ا - سجل في كراسك الخاص :**

  - الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد ، فيه التفكير والتدبر والقيادة ، وليس فيه الاختيال والشمعون والسيادة .
  - إن سلطان الوظيفة عرض منفك ومتاع زائل .

- ب - لاحظ :**

  - لاحظ كلمة «اختلف» في السطر الاول من النص - وما لها من وجود استعمال متعددة ، وبين المعنى الذي تنصرف اليه في كل جملة : «يختلف الى المدرسة - يختلف عن اقرانه - يختلف معه في الرأي».

- ج - طبق :**

  - 1 - بين ما لكلمة «يسد» الواردة في النص - من معان وجوه استعمال أخرى ، في جمل من عندك .
  - 2 - انسج على منوال العبارة الآتية :

**«الحكومة من الأمة بمثابة الرأس من الجسد».**

- 3 - حمرد :**

  - 1 - انشئ موضوعا توضح فيه مساوى البريقراطية واخطارها ، وطرق العلاجة منها .
  - 2 - اكتب قصة تكون انت احد شخصياتها ، في موضوع البريقراطية ، وأدر فيها قدرًا من العوار يساعد على ابراز المشكل وتجسيمه خطره .

# 8

## الفردية علينا الأصلية

لا تزال الفردية أَيْنَنِ الصفات المميزة للعرب وأَجْلَى ما تكون في عالمنا الثالث فان المرء ليغالي في فرديته حتى ليوشك أن يكون أمة وحده .

غابت هذه الشيمه (1) على العرب الأولين لقلة المرافق المشتركة ، وأثر الطبيعة الشحيحة ، ووحدة الحياة الريتية ، واستقلال النفس القوية ، فالرجل منهم كان يحصر الدنيا في خيمته ويجمع العالم في قبيلته . ثم يختصر القبيلة في نفسه فيجعلها قاعدة لتمثاله واطارا لصورته فهو لا يحيا حياة بهائم الأنعام تحمي ضعفها بالاجتماع ، وإنما يعيش عيش سباع الطير والوحش لا تُشَيَّل (2) على أفراخها وأجرائها الا ريشما ترقاش وتَضَرَّى .

فلما اختبروا للدعوة الكبرى استجابوا لقوة القوى ، واطمأنوا للألفة الروح ، واستجرروا (3) لحكم الجماعة ، حتى بلغوا رسالة الله . ثم تحرك فيهم الهوى الموروث وتيقظ الطبع الأثير ، فهمت الفردية تحل العقدة ، وتشتت الوحيدة ، حتى قسمت الوطن بلادا ، ومزقت الشعب أفرادا ، خضعوا لسلطان المغير ودانوا القوة الغاصب .

لاتزال هذه الفردية القبيحة وتوابعها من شهوة الرئاسة وحب الاستئثار ودناءة الحرص تنطع أوشاج (4) المجتمع في أقطار العرب ، فتفسد كل موضوع وتبطل كل مشروع وتشعب (5) كل ألفة .

---

1) الشيمه : الخلق والطبيعة والعادة 3) استجرروا : استجابوا لحكم الجماعة  
2) شبل : يقال : اشبت المرأة على 4) الاوشاج : الروابط المتصلة  
اولادها : قامت عليهم بعد وفاة المتشابكة .  
زوجها ولم تتزوج 5) تشصب : تفرق .

فالسياسة هنا وهناك لا تكاد أحزابها تقوم على فكرة جامعة ومبدأ متعدد ، إنما هي فرد يئس في الخير أو يتبئس في الشر ، فتختلف عليه الأفراد المختلفون فيكون منهم مكان النظام من العقد يمسكه مadam حيا قويا ، فإذا انقطع ذهب الحب أباديد . والاقتصاد هنا وهناك جهود فردية تخشى المنافسة وتعجل الربح وترضى بالنصيب الأحس ؛ لأن الفردية قتلت فيما الثقة فلا نساهم في رأس مال ، وأضعفت شعورنا بالخير العام فلا نشارك في مشروع ونشرت ييننا داء الحسد فلا تستقيم على رأي جميع . وما النهضة الاقتصادية الحديثة إلا نبوغ فرد أنّ الناس بناحته واطمأنوا إلى كفایته ، فأخلدوا إليه بالثقة وألقوا في يده المقاليد . والأدب هنا وهناك لازمال دوافعه فردية ومراميه خاصة ، فالقصيدة عواطف الشاعر لا تكاد تخرج عن دخائل نفسه ومدارج حسه ، والمقالة خواطر الكاتب لا تكاد ترمي إلى غرض محدد ولا تجري في مذهب معين ، والأغنية لوعاج المغني فلا تعبر عن المعانى العامة ولا تهتف بالأمانى المشتركة . أما الملائحة القومية والقصص الاجتماعية والأناشيد الشعبية فتلك أغراض لازمال منابعها فاضبة ودوافعها دخلة .

يأخذ الفرد حال من الوجد أو الشوق أو الطرف فيجد من القصائد والأناشيد ما يترجم عن هذه الحال فيندنن ويتغنى . وتكون الجماعة هنا في مجمع من الجامع أو مليء من الملاهي أو موكب من المراكب فيأخذها انفعال مشترك من ابهاج واحتجاج أو افتخار أو تحمس ، فتريد أن تعبر عن ذلك بقول واحد وصوت واحد ونغم واحد ، فلا تجد إلا خلجان تتوقف ، ونظرات تتردد ، ثم سكونا باردا كعرق المبهوت الخجل . حتى السلام الوطنى نعرفه نفما ولا نعرفه كلما ، كأنما وضعوه لأمة بكماء .

كذلك الفن هنا وهناك لا يوجد من حرج الفردية مكانا للتنوع ولا مجالا للتقدم . فالتصوير كالشعر قلما يتعدى صورة الفرد وعاطفته . والرقص حتى من الرجال لا يكون الا من فرد ، ولا يظهر من هذا الفرد

الا متعاقبا على اجزاء خاصة من جسمه كالعجز والبطن والثديين والعنق فهو حركات متقطعة مستقلة كآيات القصيدة في المصور الخالية لا تربطها علاقة ولا تجمعها وحدة . والفناء والموسيقى يقعان دائما على أصوات مفردة وتقسيم مرددة ، وفردیات (مونولوجات) متشابهة ، ومعان متكررة . فليس لنا – حتى ولا للقرويين – غناء جاعي ولا رقص جاعي يعبران عن شعور الجماعة ساعة الطلب أو الغضب أو النصر بكلمات موقعة وحركات موزونة . ولكل أمة من أمم الأرض أفنان شتى من ذلك حتى الزنوج .

إن الفردية تعلو فتكون الاستبداد ، وتسلل فتكون الأنانية ، وان الجمعية ترتفع فتكون الانسانية وتحفظ فتكون العصبية . وان بين الانسانية والعصبية شعبا يعز وأمة ترقى وذكرا يبقى وأثرا يخلد . ولكن بين الاستبداد والأنانية تحكم الهوى وشقاء العيش وذل الأبد . فاذا رأيت الأحزاب تتناقض وتنحل ، ومشروعات الشباب تضعف وتعتل ، وادارة الحكومة تسوء وتختل ، فارجع علل ذلك – غير مخطئ – الى هذه الفردية حين تعلق قفتستبد ، أو حين تتدلى قفتستائر ، فلو لا هذا الطبع الاصل الذي طفى على الشعور وبنى على الفطرة لتتبه فيما الضمير الاجتماعي فأخلصنا للأمة كما نخلص للأسرة ، وعملنا في الديوان كما نعمل في البيت ، وأحبينا لعامة الناس ما نحب لخاصة النفس ، ولكن الفردية داء دخيل لا يحسنه الا الدين الذي حسنه عن تفوس العرب حين اتبعوه . فهل الى رجوع اليه من سبيل ؟

•  
[ احمد حسن الزيات ]  
« وهي الرسالة »

## التعاون<sup>(١)</sup>

تمهيد :

« كليلة ودمنة » من القصص الحيواني الذي يهدف الى تهذيب النفس واصلاح الأخلاق ، ويعكس حكمة الشرق وثقافته ، وقد نقل الى كثير من اللغات الأجنبية .  
والبعض التالي ، من باب « الغراب والمطوقة والجرذ » ، وهو مثل الإخوان المتصلين بالولدة المعاونين في الفسيق .

النص :

« قال الملك لبيدا (١) : قد سمعت مثل المتحابين يقطع بينهما الخوؤن المحتال ، فاضرب لي مثل اخوان الصفا وكيف يكون بدء تواصليهم واستماع بعضهم من بعض .

قال العالم العاقل : انه لا يعدل بصالح الاخوان شيء من الاشياء لأن الاخوان هم الاعوان على الخير كله والمؤاسون عند الشدائد . ومن أمثال ذلك مثل الغراب والحمامة المطوقة والجرذ .

قال الملك : وكيف كان ذلك ؟

قال الفيلسوف : زعموا أنه كان بأرض من الأرضين مكان كثير الصيد يتصيد فيه الصيادون وكان في ذلك المكان شجرة عظيمة كبيرة الفصون ملتفة الورق وكان فيها وَكْر غراب . وبينما الغراب ذات يوم على الشجرة إذ أبصر رجلا من الصيادين قبيح المنظر سيء الحال على عاتقه شَرَك (٢) يحمله وفي يده عصاه مقبلا نحو الشجرة . فذعر منه الغراب وقال : لقد

(١) عبد الله بن المقفع من اكبر كتاب العربية . فارسي الاصل . مات في اوائل القرن الثاني المجري . 759 م كان مفكرا يخضع الفن للتفكير . واحتفاظه بالمعنى دفعه الى استخدام الاسلوب المنطقي في كتاباته . من آثاره : الادب الصغير والادب الكبير ، وكليلة ودمنة الذي ترجمه من الفارسية الى العربية ومنه اخذنا لك هذا النص .

(٢) بيدبا : الفيلسوف الهندي رأس الراهبة لدبشليم ملك الهند .

(2) الشَّرَك : جَ شُرُوك وأَنْزَاك : حبائل الصيد (الفخ) .

ساق هذا الرجل الى هذا المكان أمر فلاأنظر ماذا يصنع . فأقبل الصياد فنصب شركه وتر حبه وكن في مكان قرب فلم يلبث الا قليلا حتى موت به حمامه يقال لها المطوقة وكانت سيدة حمام كثير وهن معها . فأبصرت المطوقة وسرتها الحب ولم يصرن الشرك فوقعن فيه جميعا ، ثم أقبل الصياد اليهن مسرعا فرحا بهن وانفرد كل حمامه منهن عن ناحيتها تعالج نفسها لتمر . فقالت لهن المطوقة : لا تخاذلن في المعالجة ولا تكونن نفس واحدة منكن أهم اليها من نفس صاحبها ولكن لتعاونن جميعا لعلنا نقتلع الشرك فينجي بعضا . فعلن ذلك واقتلن الشرك فطرن به في السماء وتبعدن الصياد وظن أنهن لن يتجاوزن قريبا حتى يقللن الشرك فيقعن . فقال الغراب : لأتبعهن حتى أنظر الى ما يصير أمرهن وأمر الصياد . والتفت المطوقة فرأت الصياد يتبعهن لم ينقطع رجاؤه منهن فقالت لصواحبها : اني أرى الصياد جادا في طلبكن فان استقمن في الفضاء لن تخفين عليه ولكن توجهن الى العمران فانه لن يلبث أن يخفى عليه متنهن فينصرف ويأس منهن . وأنا أعرف فيما بلينا به مكانا قريبا من العمران والريف فيه جحر جرذ وهو صديق لي فلو اتيتنا اليه قطع عنا هذا الشرك وما عنفنا منه .

فتوجهن حيث قال المطوقة فخفين على الصياد وانصرف آيسا منهن . ولم ينصرف الغراب بل أراد أن ينظر هل لهن حيلة يحتلنها للخروج من الشرك فيتعلمنها وتكون له عدة لأمر إن كان .

فلما اتهت المطوقة بين الى الجرذ أمرت العمام بالوقوع فوقعن ووجدن حول جحر الجرذ مائة ثقب أعدها للمخاوف وكان مجريا للأمور داهية . فنادته المطوقة باسمه وكان اسمه إيزك فأجابها الجرذ من جحره فقال : من أنت ؟ قالت أنا خليلتك المطوقة فأقبل اليها مسرعا . فلما رأها في الشرك قال لها : ما أوقعك في هذه الورطة وأنت من الأكياس (3) \*

(3) الكيس : العاقل الحاذق .

قالت المطوقة : ألم تعلم ما يفعل الجهل في عقل المرأة فان الغواوة أوقعتي في هذه الورطة وهي التي رغبتني في الحب وأعمت بصري عن الشرك حتى لجئت فيه أنا وأصحابي . وليس أمري وقلة امتناعي من مصائب الدهر بعجيب فقد لا ينجو منها من هو أقوى مني وأعظم شأنًا . فقد تكسف الشمس والقمر اذا قضي عليهمما ذلك . وقد تصاد العيتان في الفجر (4) ويستنزل الطير من الهواء . والسبب الذي يدرك به العاجز حاجته هو الذي يحول دون العازم وطلبه .

ثم إن الجرد أخذ يفرض العقد التي كانت فيها المطوقة . فقالت له المطوقة : ابدأ بعقد صواحيبي ثم أقيل على عقدي . فأعادت عليه القول مرارا كل ذلك والجرذ لا يلتفت الى قولها ثم قال لها : قد كررت علي هذه المقالة كأنك ليست لك بنفسك رحمة ولا ترين لها حقا .

فقالت المطوقة : لا تلمني على ما أمرتك به فإنه لم يحملني على ذلك الا أنني تكفلت الرئاسة على جماعة هؤلاء الحمام فلذلك لهن علي حق وقد أدين إلي حقي في الطاعة والنصيحة وبطاعتهن وموعنون نجانا الله من صاحب الشرك . وتخوفت ان أنت بدأت بقطع عقدي أن تمل وتكسل عند فراغك من ذلك عن بعض ما بقي من عقدهن . وعرفت أنك إن بدأت بهن وكنت أنا الأخيرة أنك لا ترضى وان أدركك الفتور والملل أذ تدع معالجة قطع وثأقي عنني .

قال الجرد : وهذا مما يزيد أهل المودة لك والرغبة فيك رغبة وودا ثم أخذ الجرد في قرض الشبكة حتى فرغ منها وانطلقت المطوقة وحمامها الى مكانهن راجعات آمنات .

[عن: عبد الله بن المتف ]  
من كتاب : كليلة ودمنة

(4) الفجر : الماء الكثير .

# 10

## كيف احتال لنفسي ؟ (\*)

النص :

يَنِمَا الْمُنْصُورُ فِي الطَّوَافِ لِيَلَا ، إِذْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ : «اللَّهُمَّ ، إِنِّي أَسْكُو إِلَيْكَ ظَهُورَ الْبَغْيِ وَالْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ، وَمَا يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّعْمِ ! » فَخَرَجَ الْمُنْصُورُ ، فَجَلَسَ نَاحِيَةَ الْمَسْجَدِ ، وَأُرْسِلَ إِلَى الرَّجُلِ يَدْعُوهُ ، فَصَلَّى الرَّجُلُ رَكْعَتَيْنِ ، وَاسْتَلَمَ الرَّكْنَ ، وَأَقْبَلَ مَعَ الرَّسُولِ . فَسَلَمَ عَلَيْهِ بِالْخَلَافَةِ .

فَقَالَ الْمُنْصُورُ : «مَا الَّذِي سَمِعْتَ تَذَكَّرُ مِنْ ظَهُورِ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ فِي الْأَرْضِ ؟ وَمَا الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْحَقِّ وَأَهْلِهِ مِنَ الطَّعْمِ ؟ فَوَاللهِ لَقَدْ حَشِوتُ مَسَامِعِي مَا أَرْمَضَنِي (1) ».»

فَقَالَ : «إِنِّي أَمْتَسَّى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَعْلَمْتُكَ بِالْأَمْوَارِ مِنْ أَصْوَلِهَا . وَالا احْتَجَرْتَ (2) مِنْكَ ، وَاقْتَصَرْتَ عَلَى نَفْسِي ، فَلِي فِيهَا شَاغِلٌ».»

قَالَ : «فَأَنْتَ آمِنٌ عَلَى نَفْسِكَ . فَقَلَّ».»

فَقَالَ : «يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الَّذِي دَخَلَهُ الطَّعْمُ حَتَّى حَالَ بَيْنِهِ وَبَيْنِ مَا ظَهَرَ فِي الْأَرْضِ مِنَ الْفَسَادِ وَالْبَغْيِ لَأَنْتَ ! ».»

فَقَالَ : «فَكَيْفَ ذَلِكَ ، وَيَحْكُمُ ! يَدْخُلُنِي الطَّعْمُ ، وَالصَّفَرَاءُ وَالبَيْضَاءُ (3) فِي قَبْضِي ، وَالْحَلُوُ وَالْحَامِضُ عَنِّي ! ».»

\* من العقد الفريد لابن عبد ربه : وهو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه من أكبر من انجي THEM الاندلسي من العلماء والادباء ، كان متضالما في الادب والتاريخ والفقه والموسيقى والطب ، ولد بمدينة قرطبة سنة 860 م وتوفي سنة 940 م. من آثاره «العقد الفريد» ويعد من الامهات .

(1) ما أرمضني : ما جعلني احترق غيظا .

(2) احتجرت : دخلت حجرة تمنعك عنِّي .

(3) الصفراء والبيضاء : الذهب والفضة .

قال : «وهل دخل أحدا من الطعم ما دخلت ؟ إن الله استرعاك أمر عباده وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتمت بجمع أموالهم . وجعلت بينك وبينهم حجابا من العص (4) والآخر ، وأبوابا من الحديد ، وحراسا معهم السلاح ! ثم سجنت نفسك عنهم فيها ، وبشت عمالك في جماعة الأموال وجمعها . وأمرت أن لا يدخل عليك أحد من الرجال إلا فلانا وفلانا ، وتنفرا سميتهم . ولم تأمر بايصال المظلوم ، ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري إليك . ولا أحد إلا وله في هذا المال حق . فلما رأك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثركم على رعيتك ، قالوا : «هذا قد خان الله ، فما لنا لا نخونه !» فاعتبروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس شيء إلا ما أرادوا . ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا خونوه عندك ، ونقوه ، حتى تسقط منزلته عندك . فلما انتشر ذلك عنك وعنهم ، عظمم الناس وهابوهم وصانعوهم ، فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا والأموال ليقروا بها على ظلم رعيتك . ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك ، لينالوا ظلم من دونهم . فامتلأت بلاد الله بالطعم ظلما وبغيانا وفسادا . وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل . فان جاء متظلم حيل بينك وبينه . فان أراد رفع قضته إليك عند ظهورك ، وجدك قد نهيت عن ذلك . وأوقفت للناس رجالا ينظر في مظالمهم . فان جاء ذلك المتظلم فبلغ بطانتك خبره ، سألا صاحب المظالم أن لا يرفع مظلمته إليك . فلا يزال المظلوم يختلف اليه ، ويلوذ به ، ويشكو ، ويستفيث ، وهو يدفعه . فاذا أجهد وأخرج ، ثم ظهرت ، صرخ بين يديك ، فيضرب ضربا مُبِّئاً ليكون نكالا لغيره . وأنت تنظر فيما تنكر فما بقاء الاسلام على هذا ؟ «وقد كنت يا أمير المؤمنين ، أسافر الى الصين . فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكهم بسمعة . فبكى بكاء شديدا . فحثه جساؤه على الصبر . فقال : «أما إني لست أبكي للبلية النازلة . ولكنني أبكي لمظلوم يصرخ

---

4) البعض : ما يصير كالحجارة فيبني به .

باب الباب فلا أسمع صوته ». ثم قال : « أما إذ قد ذهب سمعي فان بصرى لم يذهب . نادوا في الناس ان لا يلبس ثوبا أحمر الا متنظم ! » ثم كان يركب الفيل طرفي النهار ، وينظر هل يرى مظلوما .

« فهذا ، يا أمير المؤمنين ، مشرك بالله بلغت رأفته بالشركين هذا المبلغ ، وأنت مؤمن بالله ، من أهل بيته ، لا تغلبك رأفتكم بال المسلمين على شح نفسك ! فان كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عبرا في الطفل يسقط من بطن أمه ما له على الأرض مال ، وما من مال الا ودونه يد شححة تحويه ، فما يزال الله يلطف بذلك الطفل حتى تعظم رغبة الناس اليه . ولست الذي تعطي ، بل الله يعطي من يشاء ما يشاء فان قلت إنما تجمع المال لتشديد السلطان ، فقد أراك الله عبرا فيبني أمية ، ما أغنى عنهم جمعهم من الذهب ، وما أعدوا من الرجال والسلاح والكراع (5) ، حين أراد الله بهم ما أراد . وان قلت إنما تجمع المال لطلب غاية هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه الا منزلة ما تدرك الا بخلاف ما أنت عليه ، يا أمير المؤمنين ! هل تتعاقب من عصاك باشد من للقتل ؟ ». فقال المنصور : « لا ».

فقال : « فكيف تصنع بالملك الذي خولك ملك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ، ولكن بالخلود في العذاب الأليم ! قد رأى ما عقد عليه قلبك ، وعملته جوارحك ، ونظر اليه بصرك ، واجترحته يداك ، ومشت اليه رجالك . هل يعني عنك ما شححت عليه من ملك الدنيا ، اذا اترعه من يدك ودعاك الى الحساب ؟ ».

قال : فبكى المنصور . ثم قال : « ليتني لم أخلق ! وبحك كيف أحتال لنفسي ؟ ».

---

5) الكراع : اسم يطلق على الخيل والبغال والحمير .

فقال : «يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاما يفزعون اليهم في دينهم ، ويروضون بهم في دنياهم ، فاجعلهم بطاتك يرشدوكم ، وشاورهم في أمركم يسددوك».«

قال : «قد بعثت إليهم فهربوا مني».

قال : «خافوك أن تحملهم على طريقتك ولكن افتح بابك ، وسهل حجابك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ الفيء<sup>(6)</sup> والصدقات على حلها ، وقسمها بالحق والعدل على أهلها ، وأننا ضامن عنهم أن يأتوك ويساعدوك على صلاح الأمة».

وجاء المؤذنون فآذنوه بالصلوة .. فصلى وعاد إلى مجلسه . وطلب الرجل فلم يوجد .

【ابن عبد ربه】  
من كتاب : «العقد الفريد»

### اسئلة حول المحور

- 1 - يتضح من النصوص السابقة ان ظاهرة «البيروقراطية» لا تختص بهذا العصر ، وإنها ظهرت على نحو ما في عصور سابقة ، ولكنها اتسعت وتفاهمت في عصرنا الحاضر .
  - وضع أهم أسبابها في كل عصر .
- 2 - تناول كل من (الزيارات) و ابن (القفع) موضوع الفردية ، وتبعات الرئاسة ، وصفة الاستئثار ، في نصيحتهما المتعاقبين .
  - وضع الجوانب التي تعرض لها كل منها .
- 3 - يلغا بعض الكتاب إلى أسلوب المقارنة بيننا وبين الغرب ، في أكثر ما يعرضون له من قضايا ومشكلات .
  - ما رأيك في هذا الأسلوب ؟ وهل يتحقق الغرض منه في كل الظروف والأحوال ؟
- 4 - ما رأيك في أسلوب النقد الصريح الذي انتهجه أكثر كتاب هذه النصوص ؟ وإلى أي مدى كانوا موضوعين وابحاثيين في هذا النقد ؟
- 5 - عالجت نصوص هذا الباب مشكلات وأمراضا اجتماعية وخلقية مختلفة، تنوّعت فيها أساليب العرض بين أسلوب الحكاية ، وأسلوب التقرير والتوصير ، وأسلوب آخر كان للحوار فيه نصيب ..
  - وزن بين هذه الأساليب ، مبيناً إليها أقرب إلى نفسك ، وأقوى إثرا .

6) الفيء : الفنية من حرب وأخراج .

## « ح » الحضارة

الحضارة علم وفن وادب ، وسیر  
حيث في طريق التطور والتقدم ،  
وهي مع ذلك كلها ، سلوكاً ومبداً  
اخلاقي ، وقيم روحية راسخة تنشد  
الحق والخير والجمال ، وقد اصاب  
من قال :

« الحضارة ان لم تكن في قلب الانسان  
فانها لن تكن في اي مكان » .

## خواطر في بناء الحضارة (\*)

تمهيد :

كيف يتم بناء الحضارة والتخطيط لها ؟ وكيف خطط لها غيرنا من الأمم التي  
لطم اشواطاً في هذا المجال ؟ وهل خططنا نحن لحضاراتنا منذ خطونا مع اليابان أول  
خطوة في هذا الطريق منذ أكثر من قرن ؟ ولماذا وصل اليابان وتاخرنا نحن ؟

دونك هذا التحليل القيم الذي تجد فيه الجواب عن هذه الأسئلة .

النص :

... اذا أردنا أن نبني مجتمعاً أفضل فهذا يعني أننا نبني مجتمعاً  
متاخراً ، وهو بدوره أيضاً يعني أنه لا بد أن نعمل لتكوين حضارة .

وإن نظرة واحدة الى نهضتنا البعيدة ، حينما نهضنا على صوت  
زعيمائنا الأقدمين كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده . حينما سمعنا هذه  
الأصوات الجليلة وأيقظتنا من سباتنا أين توجّهنا ؟ في طريق الحضارة طبعاً ،  
ولكن من غير أن نحدد المهد ونوضح معالم الطريق ؛ فلو أنتا قارنا سيرنا  
الحضاري بسير حضارة أخرى فسوف تشعر في عصر السرعة هذا ، في  
العصر الذي يخضع فيه التطور الاجتماعي لعوامل التاريخ ، عوامل  
«التسريع» ، بأننا نسير ببطء . وهذه الحقيقة تتجلّى بكل وضوح في مقارنة  
بسطة ، وحينما استمعنا لأول مرة لمنادي النهضة العربية الإسلامية وهو  
جمال الدين الأفغاني سنة 1858 نهضنا وببدأنا السير .

ولكن لنقارن سيرنا وتائجه الاجتماعي بسير مجتمع آخر استيقظ  
بعد عشر سنوات ، سنة 1868 ، وهو مجتمع اليابان . أيقظه الاستعمار  
كما أيقظنا نحن ، فقد دقت على بابه يد الاستعمار الحمراء وشعر بأنّ كيانته

\* من محاضرة القاما الاستاذ مالك بن نبي في طرابلس لبنان سنة 1959 . وهو مفكر جزائري  
معاصر ، اهتم بمعالجة قضيّاً الحضارة ، وحاول أن يجسّد أسباب ضعف المسلمين ، في  
هذا العصر ، ويدلّهم على الطريق الذي يخلّصهم من ذلك ، ومن مؤلفاته : «شروط الحضارة»  
و«الظاهرة القرآنية» .. الخ .

مهدد ففتح الأبواب له ولأفكاره الاستعمارية . غير أن الياباني أدرك أن واجبه أن ينهض وأن يقوم بدور حاسم قبل أن يسيطر عليه الاستعمار ويسمحو شخصيته . فقام وسار في الطريق نفسه الذي حاولنا أن نسير فيه ، والغريب أن هذا المجتمع الذي نهض بعدها بعشرين سنة سار إلى الحضارة ووصل إليها وأصبح في خلال أربعين سنة دولة قوية تناهض دولة من العصر الاستعماري وهي دولة روسيا في ذلك العين ، فلو قارنا ااتاجنا الحضاري سنة 1905 بالاتاج الحضاري للمجتمع الياباني ؛ فأنكم ستعرفون بأنه لا مجال للمقارنة ، وهذا يعني أن القانون الذي طبقه المجتمع الياباني في سيره ليس هو القانون الذي طبقناه في سيرنا .

فنحن قد مررنا في طريقنا من الكرام ، تستوقفنا الأزهار التي في جنباتها مرة ، وتسلى بالطيور أخرى ، ونصل إلى صوت أوروبا أحيانا ، ونشيد البلايل الأوربية أحيانا أخرى . أما الياباني فقد فكر في خطته تفكيرا علميا ، وخطط لها تحفيظا فنيا ، وبعث في الأنفس حقيقة عامة جعلت كل ياباني يتصل بالمجتمع الياباني كما تتصل النحلة بخليتها . فماذا فعلنا في الطريق وماذا فعلت اليابان ؟

إن اليابان قد بني مجتمعا متحضرأ ، فهو قد دخل الأشياء من أبوابها وطلب الأشياء ك حاجة . درس الحضارة الغربية بالنسبة إلى حاجته ، لا بالنسبة إلى شهواته ، فلم يصبح من زبائن الحضارة الغربية يدفع لها أمواله وأخلاقه . أما نحن فقد أخذنا منها كل رذيلة ، وأحيانا نأخذ منها بعض الأشياء الطيبة التي قدرها الله لنا .

فما معنى سيرنا ؟ وما معنى سير اليابان ؟

إذا عبرنا بالتعبير الصحيح ، أعني بمصطلح له معنى اجتماعي ، فاذ اليابان قد سارت في الطريق لعمل نسميه البناء . قامت بناء مجتمع ، ونحن كدنسنا عناصر مجتمع ، ولكن تكديس الأشياء لا يأتي بنتيجة ، ولكي

ندرك أثر التكديس في المجتمع ، ففترض أتنا كدستنا عناصر البناء لعمارة معينة ، فأتينا بمئات الأطنان من حجر وأسمنت وخشب وحديد ، فانتا لا نستطيع أن نقيم من هذا التكديس بناء ولو بعد مئات السنين ، بينما لو سلكتنا طريق البناء فانتا في شهر واحدبني على الأقل شقة واحدة .

وهذا يقتضينا أن نفك في المجتمع تفكير بناء وليس تفكير تكديس ؛ لأن التكديس في المجتمع ظاهرة مقدرة . وهي تظهر حتى في الأفكار . فقبل خمسين سنة كنا ت كتاب وتراسل في رسائلنا الأدية والودية فبتدئي بعد الحمد لله عشرة أسطر من الديياجات التقليدية ، والألقاب ثم نقول : والحمد لله أنا بخير وعلى خير ، وأرجو أن تكونوا بخير والسلام عليكم .

إن علينا أن تكون حضارة ، أي أنبني لا أن تكديس ، فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس ، ولنا في أمم معاصرة أسوة حسنة .  
إن علينا أن ندرك بأن تكديس متبرجات الحضارة لا يأتي بالحضارة ، والاستحاله هنا اقتصادية واجتماعية ...

ثم إن هناك مغالطة منطقية ؛ فالحضارة هي التي تكون متبرجاتها ؛ وليست المتبرجات هي التي تكون حضارة ؛ إذ من البديهي أن الأسباب هي التي تكون التائج ، وليس العكس ، فالغلط منطقي ثم هو تاريخي ؛ لأننا لو حاولنا هذه المحاولة فانتا سنبقى ألف سنة ونحن نكديس ثم لا نخرج بشيء ...

إن أول ما يجب علينا أن نفك فيه حينما نريد أنبني حضارة ، أن نفك في عناصرها تفكير الكيمياوي في عناصر الماء اذا أراد تكوينه ، فهو يحلل الماء تحليلا علميا ويجد أنه يتكون من عنصرين : عنصر الايدروجين وعنصر الأوكسجين . ثم إنه بعد ذلك يدرس القانون الذي يتربك به هذان العنصران ليعطيانا الماء ، وهذا بناء ليس بتكديس ؛ ذلك لأنه لو كدس ملايين الأطنان من الايدروجين والأوكسجين ثم بقي يتنتظر أن يتكون الماء ،

فانه لا يتكون وحده إلا بأن يبعث الله اليه شرارة من عنده . فحينما نحلل ممتلكات الحضارة ، ولنأخذ أياما منها ولتكن هذه الورقة فاننا نجدها تتكون من عناصر ثلاثة – الانسان – لأنه هو الذي اخترعها بفكره وصنعها بيده حين اخترع الفكر الانساني الورق . فالعنصر الأول إذن الانسان . أما العنصر الثاني فهو التراب . إذ من التراب كل شيء في الأرض وفي باطنها ... وأما العنصر الثالث فهو الزمن لأنه اذا صح ما أقول ، فلماذا لم يخترع الفكر الانساني الورق قبل هذا التاريخ ؟ ان الجواب عن ذلك هو نقص تجاربه في هذا المضمار ، وفي مضمار علم التراب والنبات . فالزمن قبل ذلك التاريخ لم يكفل تخبر فكرة ابتكار الورق .

إذن يجب أن تجتمع عناصر ثلاثة حتى يتكون منها الورق .

### الانسان – التراب – الوقت

فأنا إذن أمام كل متوجه حضاري أكتب معادلة كما يكتب الكيمياوي حينما يحلل الماء إذ يقول :

$$\text{ماء} = \text{إيدروجين} + \text{أوكسجين} .$$

وأنا حينما أحاول التخطيط لحضارة فليس علي أن أفكر في ممتلكاتها وإنما في أشياء ثلاثة في الانسان والتراب والوقت ، فحينما أحلم بهذه المشكلات الثلاث حلا علميا ، بأن أبني الانسان بناء متكاملا ، وأعنيني بالتراب والزمن ، فانتي أكون قد كونت المجتمع الأفضل ، كونت الحضارة التي هي الاطار الذي فيه تم للفرد سعادته ، لأنه يقدم له الضمادات الكافية الاجتماعية .

### [ مالك بن نبي ]

من كتابه : « الحديث في البناء الجديد » بتصريف

## مع النص

- 1) متى بدأ سرنا في طريق بناء الحضارة ؟ ومن قام بدور الريادة في هذا المجال ؟
- 2) كيف كان موقفنا من الحضارة الفربية ؟ وكيف كان موقف اليابان منها ؟  
وضع مقارنة الكاتب بين الموقفين .
- 3) ما الطريق الصحيح لبناء الحضارة في نظر الكاتب ؟
- 4) متى تبرز ظاهرة التكديس في المجتمع ؟ وفي أي مرحلة من مراحل تاريخه ؟
- 5) الوسائل هي التي تخلق الحضارة ، أم الحضارة هي التي تخلق الوسائل ؟  
وضح ذلك بالامثلة .
- 6) ما المقياس الذي يراه الكاتب كفلاً بتحقيق سرنا في الطريق الصحيح لبناء الحضارة ؟ وما العناصر التي تولّف هذا البناء في رأيك ؟

## تقويم النص

### ١ - الأفكار :

- 1) ناقش رأي الكاتب في المقارنة التي اجراها بين موقفنا و موقف اليابان من الحضارة الفربية ؟ وفي النتائج التي وصل إليها ؟
- 2) يقول الكاتب : بدا اليابان يسير في طريق بناء الحضارة بعدها بعشر سنوات فلماذا تقدم في ذلك ، وتتأخرنا نحن ؟ وهل تشاشه رأيه في التحليل الذي أورده في النص ؟ وضح .
- 3) ما رأيك في الطريق الذي ينهجه الوطن العربي عامة ، والجزائر خاصة في بناء النهضة ؟ أهو طريق البناء ؟ أم طريق التكديس ؟ حلل وناقش
- 4) انتهى الكاتب في الآخر إلى معادلة وضع فيها العناصر الأساسية لبناء الحضارة . ما رأيك في هذه المعادلة ؟

## **ب - الأسلوب :**

- 1) ما رأيك في اسلوب الكاتب في النص ؟ وما السمة البارزة فيه ؟ اهي السمة الأدبية ، ام السمة العلمية ؟ وما الفرق بين الاسلوبين : الأدبي والعلمي في نظرك ؟
- 2) هل تجد للكاتب في النص لمحات ذكية بارعة تضفي على النص حيوية وطراقة ؟ وضحها .

## **الاستهلاك النص**

### **ا - سجل في كراسك الخاص :**

- 1) وقفنا نحن من الحضارة الغربية موقف الزبون ، ووقف اليابان منها موقف التلميذ فتقدمن اليابان وبقينا نحن في مكاننا .
- 2) ان اليابان قد بني مجتمعاً متحضرًا لأنه دخل الاشياء من أبوابها ، وطلب الاشياء من الحضارة الغربية بالنسبة لحاجته ، وليس بالنسبة لشهوانيه
- 3) الحضارة هي التي تكون منتجاتها ، وليس المنتجات هي التي تكون حضارة .

### **ب - لاحظ :**

- 1 - لاحظ كلمة «دق» في الصفحة الأولى من النص - وما لها من وجوه استعمال متعددة مثل : دق جسمه : صفر - دق الشيء : كسره - دق الباب : قرعه - دقت الساعة : عينت الزمان بدقائقها .

### **ج - طبق :**

- 1) بين ما لكلمة «طلب» الواردة في النص - من معان وجوه استعمال اخرى في جمل من عندك .
- 2) انسج على منوال العبارة الآتية :  
ولسائل هنا أن يسأل : ترى ما معنى التكديس ؟ وما الفرق بينه وبين البناء ؟

### **(3) حزد :**

اكتب موضوعاً تبرز فيه مظاهر النهضة العربية الحاضرة ؛ واذكر ما تراه فيها من الجوانب الإيجابية والسلبية حسب المقاييس التي قرأتها في النص

النص :

- سلوا عننا ديار الشام ورياضها ، والعراق وسواتها ، والأندلس وأرباضها ؟
- سلوا مصر وواديها ؟
- سلوا الجزيرة وفيافيها ؟
- سلوا الدنيا ومن فيها ؟
- سلوا بوط افريقيا ، وربوع العجم ، وسفوح القفقاس ؟
- سلوا حفافي الكنج ، وضفاف اللوار ، ووادي الدانوب ؟
- سلوا عننا كل أرض في (الأرض) ، وكل حي تحت السماء ؟
- إن عندهم جميعا خبرا من بطولاتنا ، وتضحياتنا ، وما كثروا ، وعلومنا ، وفنوننا ،

### نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ

### نَحْنُ الْمُسْلِمُونَ

- هل روى رياض المجد إلا دماؤنا ؟
- هل زانت جنات البطولة إلا أجساد شهدائنا ؟
- هل عرفت الدنيا أبل منا أو أكرم ، أو أرأف أو أرحم ، أو أجل أو أعظم ، أو أرقى أو أعلم ؟

(\*) للأستاذ علي الطنطاوي : وهو أديب سوري معاصر ، يتميز بجزالة الأسلوب وطراحته ، وبطلاؤه العبارة . شغل مناصب القضاء مدة طويلة ، يقيم الان في العربية السعودية . من آثاره : رجال من التاريخ ، وقصص من التاريخ .

— نحن حملنا المنار الهادي والأرض تيه في ليل العجل وقلنا لأهلهما :  
هذا الطريق ؟

— نحن نصبنا موازين العدل يوم رفعت كل أمة عصا الطغيان ؟

— نحن ببنينا للعلم دارا يأوي إليها حين شرده الناس عن داره ؟

— نحن أعلنا المساواة يوم كان البشر يبعدون ملوكهم ويؤلّهون ساداتهم ؟

— نحن أحينا القلوب بالإيمان ، والعقول بالعلم ، والناس كلهم بالحرية

### نحن المسلمين

— نحن ببنينا الكوفة والبصرة والقاهرة وببغداد ؟

— نحن أنشأنا حضارة الشام والعراق ومصر والأندلس ؟

— نحن شدنا بيت الحكمية والمدرسة النظامية وجامعة قرطبة والجامع  
الأزهر ؟

— نحن عمرنا المسجد الأموي ، وقبة الصخرة ، وسرّ من رأى ، والزهراء ،  
والحرماء ، ومسجد السلطان أحمد ، وتاج محل .

### نحن المسلمين

— منا أبوبيكر وعمر ونور الدين وصلاح الدين وأورنك زيب ؟

— منا خالد وطارق وقبيصة وابن القاسم والملك الظاهر ؟

— منا البخاري والطبراني وابن تيمية وابن القيم وابن حزم وابن خلدون ؟

— منا الفزالي وابن رشد وابن سينا والرازي ؟

— منا الخليل والجاحظ وأبوحيان ؟

— منا أبوتمام والمتبي والمعربي ؟

---

(١) **تاج محل** : ضريح اقامه الملك شاه جهان في الهند لزوجته ارجمند (1631) وهو تحفة فنية عالمية .

— منا معبد واسحاق وزریاب ؟

— منا كل خلية كان الصورة الحية للمثل البشرية العليا وكل قائد كان سيفا من سيف الله مسلولا وكل عالم كان من البشر كالعقل من الجسد .

— منا مائة ألف عظيم وعظيم .

### نحن المسلمين

— قوتنا بآيماننا ، وعزنا بديننا ، وثقتنا بربنا ؟

— قانوننا قرآتنا ، واماننا نبينا ، وأميرنا خادمنا ؟

— وضعيفنا الحق قوي فينا، وقوينا عن لضعيفنا ؟

— وكلنا إخوة في الله ، سواء أمام الدين .

### نحن المسلمين

#### نحن المسلمين

— ملكتنا فعدلنا ، وبنينا فأعلينا ، وفتحنا فأوغنا ، وكنا الأقوياء المنصفيين ، سنتنا في الحرب شرائع الرأفة ، وشرعننا في السلم سنن العدل ، فكنا خير الحاكمين ، وسادة الفاتحين ؟

— أقمنا حضارة كانت خيرا كلها وبركات ، حضارة روح وجسد ، وفضيلة وسعادة ، فعم نفعها الناس ، وتفيأ ظلالها أهل الأرض جميعا . وسقينها (نحن) من دمائنا وشدنها على جماجم شهدائنا ؟

— وهل خلت أرض من شهيد لنا قضى في سبيل الاسلام والسلام ، والایمان والأماز ؟

#### نحن المسلمين

— هل تحققت المثل البشرية العليا إلا فينا ؟

— هل عرف الكون مجتمعا بشريا (إلا مجتمعنا) قام على الأخلاق والصدق والاثار ؟

— هل إنفق واقع الحياة ، وأحلام الفلسفه وأعمال المصلحين ، إلا في صدر الاسلام ؟

— يوم كان الجريح المسلم يجود بروحه في المعركة يشتهي شربة من ماء فإذا أخذ الكأس رأى جريحا آخر فثاره على نفسه ومات عطشان .

— يوم كانت المرأة المسلمة يسوت زوجها وأخوها وأبوها فإذا أخبرت بهم سائل : ما فعل رسول الله ؟ فإذا قيل لها : هو حي ، قالت : كل مصيبة بعده هيئة .

— يوم كانت العجوز ترد على عمر وهو على المنبر في الموقف الرسمي وعمر يحكم احدى عشرة حكومة من حكومات اليوم .

— يوم كان الواحد منا يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويؤثره عليها ولو كان به خصاصة .

— وكما أطهارا في أجسادنا وأرواحنا ومادتنا والمعنى .

— وكما لا نأتي أمرا ولا ندعه ولا نقوم ولا نقدر ولا نذهب ولا نجيء إلا الله .

— قد أمتنا الشهوات من نعمتنا فكان هواناً تبعاً لما جاء به القرآن .

— لقد كنا خلاصة البشر وصفوة الإنسانية .

— وجعلنا حقاً واقعاً ما كان يراه الفلسفه والمصلحون أملأوا بعيداً .

نحن المسلمين

— تُنظم في مفاصخنا مائة إلياذة (2) وألف شاهنامه (3) .

---

(2) الإلياذة : ملحمة شعرية خالدة (3) الشاهنامه : ملحمة شعرية في للشاعر اليوناني هوميروس القرن أخبار ملوك فارس واساطيرهم للفردوسي ( المتوفى 1020 م ) ٩ ق . م

— ثم لا تنقضي أمجادنا ولا تفنى ، لأنها لا تعد ولا تحصى .  
— من يعد معاركـا المظفرة التي خضناها ؟  
— من يحصي مآثرنا في العلم والفن ؟  
— من يستقرـي نابعـينا وأبطالـنا ؟  
— الا الذي يعد نجوم السماء .  
— ويحصـي حـصـي البـطـحـاء .  
— اكتبـوا (على هامـشـ السـيرـةـ) أـلـفـ كـاتـبـ .  
— و (على هامـشـ التـارـيـخـ) مـثـلـهـا .  
— وأنـشـئـوا مـائـةـ فـي سـيـرـةـ كـلـ عـظـيمـ .  
— ثم تـبـقـيـ السـيـرـةـ وـيـقـيـ التـارـيـخـ كـالـأـرـضـ الـعـدـرـاءـ وـالـنـجـمـ الـبـكـرـ .

#### نـحـنـ الـسـلـمـينـ

— لـسـنـاـ أـمـةـ كـالـأـمـمـ تـرـبـطـ بـيـنـهـاـ اللـغـةـ فـيـ كـلـ أـمـةـ خـيـرـ وـشـرـيرـ .  
— وـلـسـنـاـ شـعـبـاـ كـالـشـعـوبـ يـؤـلـفـ بـيـنـهـاـ الدـمـ فـيـ كـلـ شـعـبـ صـالـحـ وـطـالـحـ ،  
وـلـكـنـتـاـ جـمـعـيـةـ خـيـرـيـةـ كـبـرـىـ .  
— أـعـضـاؤـهـاـ كـلـ فـاضـلـ مـنـ كـلـ أـمـةـ ، تـقـيـ نـقـيـ .  
— تـجـمـعـ بـيـنـتـاـ التـقـوىـ إـنـ فـصـلـ الدـمـ ، وـتـوـحدـ بـيـنـتـاـ الـعـقـيـدـةـ إـنـ اـخـتـلـفـ  
الـلـقـاتـ وـتـدـنـيـنـاـ الـكـعـبـةـ إـنـ تـنـاعـتـ بـنـاـ الـدـيـارـ .  
— أـلـيـسـ فـيـ تـوـجـهـنـاـ كـلـ يـوـمـ خـسـنـ مـرـاتـ إـلـىـ هـذـهـ الـكـعـبـةـ ، وـاجـتمـاعـنـاـ  
كـلـ عـامـ مـرـةـ فـيـ عـرـفـاتـ رـمـزـ إـلـىـ أـنـ الـاسـلـامـ قـوـمـيـةـ جـامـعـةـ ، مـرـكـزـهـ  
الـحـجـازـ الـعـرـبـيـةـ وـإـمـامـهـاـ النـبـيـ الـعـرـبـيـ وـكـنـاـبـهـاـ الـقـرـآنـ الـعـرـبـيـ .

#### نـحـنـ الـسـلـمـينـ

— دـيـنـتـاـ الـفـضـيـلـةـ الـظـاهـرـةـ ، وـالـحـقـ الـأـبـلـجـ .  
— لـاـ حـجـبـ وـلـاـ أـسـتـارـ وـلـاـ خـفـاـيـاـ وـلـاـ أـسـرـارـ .

— هو واضح وضوح المثذنة . أليس فيها ذلك المعنى ؟

— هل في الدنيا جماعة أو نحلة تكرر مبادئها وتذاع عشر مرات كل يوم ؟

كما تذاع مبادئ ديننا نحن المسلمين ، على ألسنة المؤذنين :

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

### نحن المسلمين

— لا نهن ولا نحزن ومعنا الله .

— ونحن نسمع كل يوم ثلاثة مرات هذا النداء العلوي المقدس هذا الشied

القوى : الله أكبر .

— البطولة سجية فينا ، وحب التضحية يجري في عروقنا .

— لا تزال من ذلك صروف الدهر ، ولا تمحوه من فتوتنا أحداث الزمان .

— لنا الجزيرة التي يشوى على رمالها كل طاغ يطأ ثراها ويعيش أهلها من جحيمها في جنات .

— لنا الشام وغوطتها التي سقيت بالدم ، لنا فيها الجيل الأشم .

— لنا العراق لنا (الرميضة) وسمول الفرات ؟

— لنا فلسطين التي فيها (جبل النار) ؟

— لنا مصر دار العلم والفن ومثابة الإسلام ؟

— لنا المغرب كله ، لنا (الريف) دار البطولات والتضحيات ؟

— لنا القسطنطينية ذات المآذن والقباب ، لنا فارس والأفغان والمهد وجاءة ؟

— لنا كل أرض يتلى فيها القرآن وتصدح مناراتها بالأذان ؟

— لنا المستقبل .. المستقبل لنا إذ عدنا إلى ديننا .

### نحن المسلمين .

#### علي الطنطاوي

من كتابه « قصص من التاريخ »

النص :

— إنتي لا أتفعل ولا أتأثر لهذه الحملة التي تقوم بها ، لأنني أعلم أنك فيها مجرد ضحية : ضحية استهواه الحياة العصرية لفكرة الناشيء المتلهب ، ولأخلاقك الساذج بلادك وشعبك وأخيراً «لشعبك» بما رميتك به يوماً وما اعترفت به انت نفسك من عقد امام هذا الهرج الذي يخطف الأ بصار والذي تقدمه لنا الحياة العصرية بآلاتها ومصانعها وأضوائها وفنونها الاجرامية المتقنة المحبوكة ونسائهم وألعابها الرماضية و ...

— دعني أعنك على سرد هذه المعطوفات فأقول : ... وعلومها وجماعاتها وفنونها وفلسفتها واحترامها لحرية الإنسان — فيها على الأقل — ودستورها المشرفة وقوانينها التي تحترمها وأخلاقها الإيجابية الخلاقية . نعم كل هذا يهمني وأقف أمامه معبينا لا أتمالك عن الاعتقاد بأنه شيء يستحق أن ينعت بالتقديس لأن الإنسان لم يسبق له في تاريخه الذي لا نعرف له بداية ولا نهاية — أن عرف هذه (الجنة) الراخمة بكل ألوان عبقريتها الكامنة وأن ما وصلت إليه الحضارة الحديثة من تفتح في العلم والمعرفة لم يستطع أي فيلسوف في التاريخ أن يتخيله أو يعلم به . إن إنسان اليوم هو الإنسان الكامل بقدر ما يستطيع الإنسان أن يتحققه من كمال .

— وانتي لا آسف إلا على شيء واحد هو أن نرحل عن هذا العالم — أنا وياك — قبل أن نرى أمتنا تتعم بهذه (الجنة) مثل الإنسانية الأخرى الراقية .

— ألم أقل لك إن خيالك جامح لا يهدأ له جناح : حتى ذكرك لعناصر هذه الحضارة تقتصر فيه على جوانبها الإيجابية الناضجة ولا تلمع بكلمة إلى جوانبها السلبية التي يشتكي منها — ويعرف بها — أبناؤها أنفسهم .

— نعم ، أفعل ذلك عدًا لأنكم أتم — أقصد انت وأمثالك — لا تذكرون الحضارة إلا في معرض مساوئها وકأنكم تسلون أنفسكم وتعوضون بذلك عن شعوركم بالحرمان منها وکأنكم تقولون لأنفسكم : لا داعي لأن تأسف لتأخرنا وحرماننا من التقدم ماذا استفاد منه أصحابه إلا المتابع والأمراض العصبية والاجهاد الفكري وفقدان الراحة وقضاء الحياة في دوامة سريعة لا يشعر فيها الإنسان بحياته كيف انقضت ؟ وتنسون بهذه المخادعة لأنفسكم أن كل حضارة لابد فيها من مساويء بقدر ما يكون فيها من محسنات ، وتنسون بالخصوص أن حضارة القرن العشرين محسنتها أكثر بكثير من مساوئها بل إنني أخشى أن يكون أمركم أدهى من ذلك وأمر . أخشى أن يكون تفوركم من الحضارة الحديثة سببه هو عجزكم عن هضمها وحمل أعبائها ومسئولياتها ، وفراركم مما تقضيه هذه الحضارة من يقظة فكرية مستمرة ، وأفكاركم أتم تعودت المهدوء والفراغ ومست الصحراء وحوافر الماشية ، فهي تتفاوت من دوي المحرّكات وسرعة الخطى والاطلاع — في يوم واحد — على ما لم يكن يطلع عليه أجدادكم طيلة عام من أسرار ومعلومات واكتشافات يومية ، إنكم فريق من المثقفين يتبعكم الخلق والابتكار والفهم فتؤثرون أن توكلوا أمر تصرفاتكم في الحياة الى «الأتباع» ووضع الحافر على الحافر بدل السير وحدكم والمحافظة على توازن خطاكם بأنفسكم ، إن ما أخشاه أن تكونوا أتم الذين أوحيتم لبعض مفكري الغرب بما يعتقدونه من أن العقل الشرقي عقل كصول وقلبه قلب بكاء وعينه عين دموع . وإن الموري كان أعمى فقضى حياته يندب حظ الإنسانية بأشعاره . وإن «هوميروس» كان أعمى مثله ولكنه خلف — في إشعاره — نساج روح البطولة والابتسام والتفاؤل والاندفاع لعناق الحياة . لقد قالوا عنا هذا التعريف الغريب : الشرقي شعلة في القلب وعجز في اليد وإذا كنت لا تشعر بوخزة من شوكه التعريف — ولو كان باطلا — فاسمح لي بأن أهنتك على راحة ضميرك الميت .

— نعم، أتعرّف لك بأنّ هذا التعرّيف لا يخزي بشوكة ولا يطير النوم عن جفني لأنّي أعرف أنّ هذا الحُكم صادر عن تعصّب أعمى لا أعتبره أية قيمة ..

— وهكذا تكون قد استرحت من كل مسؤولية في محاولة الرد على التهمة رداً بالعمل والنهوض لا بالقول والاسترخاء وهذا أحکم عليك وعلى كل من تمثّلهم بتأوّبك أنكم لا تقرأون حتى ما يقال عنا .

— فهل تتفضّل أنت على شيءٍ مما كتبه أو قاله عنا — هؤلاء — الذين تخشّهم وتصيّد أقوالهم وتجعلها مقاييساً لرقينا نحن أو تأخرنا وأنت ترجف هلعاً مما يقولونه عنا من سوءٍ وتشريحٍ وتتهلل أساريرك فرحاً لما يقولونه من إطراء . هؤلاء يا سيدي ماذا قالوا عنا من سوء؟

— أرجوك أولاً أن لا تخدع نفسك بكلمة «قالوا عنا وقالوا فينا» وأنت تتصرّف أن هذا القول هو من نوع الاغتياب وأكل لحوم الناس ، أو أنه من نوع حديث الجارة لجارتها عن جارتها الثانية . كلا ، إننا لا نزعجهم ولا نضايق حياتهم إلى حدّ أنهم يعجزون عن مجا بهتنا بالحقيقة فيعمدون إلى العيبة فينا والنميمة ، وإنما الذي يقولونه عنا هو من نوع الدراسة والبحث : يريدون أن يتوصّلوا إلى فهم حقيقتنا كما يدرسون ظواهر الطبيعة أو طبقات الأرض أو تقلبات الجو وحياة البرائين . كل شيءٍ عندهم خاصٌ للدراسات والبحث لقد تجاوزوا مرحلة العيبة والنميمة وهم يدرسونها ليتمكنوا من استغلالنا على «أفضل» وجه من وجوه الاستغلال ، وهذا الاستغلال الناجح لا يتوصّلون إليه إلا إذا لم يخطّتو في دراستهم . وأنت عندما تصدر حكمك عليهم من الوهلة الأولى بأنّ أحکامهم تعصبية فانك لا تضرّ حكمهم فيما بل تضرّ نفسك فقط لأنّ هذا الوهم الخاطئ ، الكسول يحررك حتى من الاطلاع على ما يفكّر فيه نحوك من يريد أن يتصيّدك وينقضّ عليك وأنت في غفلة من تحرّكاته الأفعوية الخطيرة .

فإذا كنت أنت تنظر إلى نفسك على أنك تحمل وراءك حضارة «بهرت العالم» وأنك اليوم تستطيع أن تعيد تلك الحضارة المنقرضة إلى الوجود مرة أخرى بنفس سائلها القديمة وتغنى بها ثروة الإنسانية إلى آخره .. فانهم هم يدرسوتك – وألح على كلمة يدرسون – من زاوية الفوائل التي تفصل بيننا وبينهم ويحثون أولًا في أسباب هذه الفوائل ومقدار هذه الهوة ؛ ويرون أن كل رغبتنا في الالتحاق بهم لا تكفي في قطع المسافة التي تفصلنا عنهم في ميدان التطور : هم يرون أن نقطة انطلاقنا اليوم نحو المستقبل ضعيفة جداً من ناحية الموارد الاقتصادية لأن ثرواتنا الوطنية منخفضة جداً إذا قيست بثرواتهم هم المستغلة المنظمة . ويرون أن نسبة بين مواردنا الاقتصادية الضعيفة وازدياد عدد السكان أي عدد الأفواه التي تفتح كل يوم طالبة الخبر – هي نسبة مخيبة تجعلنا عاجزين باستمرار عن تقرير هذه النسبة نظرًا لكون انتاجنا في المواليد – أي المستهلكين – إنتاجاً يدعو إلى الاعجاب ولكن انتاجنا للسجاد التي تستهلكها تلك المواليد إنتاج لا قيمة له : إننا نلد وندفع إلى الشارع ولا نربط أي علاقة بين انتاجنا في البشر وانتاجنا لما يستهلكه البشر أو إن شئت بعبارة أخرى نشاطنا الجنسي أكثر بكثير من نشاطنا الذهني والاقتصادي هذه نقطة أولى من دراستهم لوضعنا .

النقطة الثانية : مسألة القانون ، نعم القانون لا تعجب : الأوربيون يرون أن الجزء الأكبر من نجاحهم الحضاري يعود إلى احترامهم للقانون ، حكومة وشعباً ، والقانون في كل الميادين : القانون في البحوث العلمية ، والقانون في السياسة ، والقانون في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بكل فروعها وجوانبها ، ويرون أننا نحن ، مسألة القانون هذه ليست عندنا إلا لفظة ميتة لا نعرف قيمتها أو هي حيلة تستعملها الحكومات لاستغلال شعوبها وتستعملها الشعوب لسرقة حكوماتها : القانون عندهم أداة لبناء

الدولة والاقتصاد وتنظيم حياة الشعب . وهو عندنا أداة تخريب وعبث واحتياط .

النقطة الثالثة : أن هذه الشعوب الجديدة أو النامية أو المتخلفة جاءت نهضتها في وقت غير مناسب لها : أوروبا أستطاعت أن تنهض بسرعة في الميدان الاقتصادي على الخصوص لأنها استطاعت أن تجعل من مستعمراتها أسوأ ما لمستو جاتها الصناعية وتجعل منها في الوقت نفسه مورداً للسواد الأولية بأسعار لا تقول رخيصة بل بأسعار رمزية ! أما اليوم فأن هذه الشعوب النامية لا تملك هذه الوسيلة المزدوجة فهي تستخرج موادها الأولية والمنجمية مثلاً بأثمان باهظة لأن الخبراء الذين تستخدمهم يطلبون أجرة مرتفعة ولأنها لا تستطيع أن تستغل عمالها كما كان يفعل معهم المستعمرون ثم هي عندما تتجه مصنوعات ما لا تستطيع أن تنافس بها مصنوعات الدول الراقية في الأسواق العالمية ولا يستطيع شعبها وحده أن يستهلك كل متوجهاتها الصناعية لضعف مقدراته الشرائية من ناحية ولأن المصنوعات لا تكون مربحة إلا إذا اتجهت بكميات ضخمة تزيد على الحاجة المحلية .

هذا يا صاحبي نوع من دراستهم لأحوالنا أقدمه لك كمثل فقط حتى تعلم أن المسألة أبعد ما تكون عن الغيبة والنميمة وبقية الدوافع البدائية وهي أجل قيمة من ذلك وأخطر شأنًا !

— وأنت — طبعاً — تصدق كل هذه «الدراسات» كما لو أنزلت من حكيم حميد ؟ وتصديقك لها يعني أننا سنبقى دائماً في المؤخرة ويقونون هم دائماً في المقدمة لا ترى كيف ارتدت ثورتك إلى استسلام ؟

أما أنا فاني لا أصدق هذه «الدراسات» وأراها نوعاً ذكياً من التخدير قد ينطلي على العجيين منا بكل ما في الغرب ، ولكنه لا ينطلي على المؤمنين منا بشجاعتهم وبامكانياتنا الخلاقة .

عبد الله شريف  
«معركة المفاهيم»

## 14

### الحواجز

التي منعت أوروبا من فهم العرب

جعفر

النص :

حدثني «الجنرال دينغول» يوما عن علاقات فرنسا مع العالم العربي فقال : «إن التجارة والاقتصاد والثقافة ، كلها أمور مهمة ، ويجب أن تتكلم عما يجري فيه العمل من هذه الأمور ، لأنها هي التي تهيء المستقبل . يجب أن ننظر إلى الغد . انظروا مثلا إلى الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط ، تجدوا بلدانا في طريق النمو ، ولكن توجد عند أهلها حضارة أيضا ، وثقافة وإنسانية وحس بالعلاقات الإنسانية لا نجد لها في مجتمعاتنا نحن الدول المصنعة . ولعله يسعدنا يوما أن نجد لها عندهم .

إتنا وإياهم جسعا تقدم ، نحو حضارة صناعية . ولكن اذا أردنا أن تكون حضارة حول البحر الأبيض المتوسط مهد الحضارات ، وإذا أردنا أن لا تكون هذه الحضارة على الطراز الأمريكي ، حتى يكون فيها الإنسان غاية لا وسيلة – اذا أردنا كل ذلك ، فيجب أن تفتح ثقافتنا افتاحا واسعا – نحو بعضهما البعض ».

أود من تاحيتي أن أتحدث – بالخصوص – عن الحواجز التي تشكل عرقلة في طريق هذا التلاقي . والبحث في هذه العراقيل ، أليس هو من نوع البحث عن أسباب المرض لايجاد أنجع الأدوية ؟ وهذه الحواجز منها نوع سلريخي ، ونوع اجتماعي ، ومنها نوع آخر سياسي .

## الحواجز التاريخية :

في المجتمع الأوروبي كثيراً ما ثير ذكريات الحروب الصليبية والغزو العربي «لبواتي» ، والنزاع التقليدي بين الصليب والمهدل ، كل ذلك نسر به موقف التحرز ، إن لم يكن موقف العداوة – كما لو كانت العداوة هي دائماً القاعدة – وفي كثير من الأحيان تستعمل هذه «الكليليشيات» لنبرز بها الصعوبات القائمة بين الثقافتين : العربية والأوروبية .

أما أن يكون العالمان الأوروبي والعربي قد تحاربا ، فهذا ما لا يستطيع انكاره أحد . ولكن هل نستطيع أن ننسى أن المسيحية والإسلام قد تعايشا أربعة قرون : إذ توفي محمد (ص) سنة 632 م ، والعرب الصليبية الأولى وقعت سنة 1095 م . وفي هذه القرون الأربع ، فإن وجود المسلمين في الأرض المقدسة ، لم يثر أي نزاع خطير بين الكنيسة والخلفاء المسلمين ، كما لم يضع الحجاج المسيحيين من التوجه إلى القدس . فهل نقول هذا في كتبنا المدرسية ؟ وهل يمكننا أن ننسى أن الصليبيين في حربهم كانت لهم أسباب لا علاقة لها بالدين ولا بالآخرة إطلاقاً ؟ وهل ننسى أن صقلية في عهد روجي الثاني وفريديريك الثاني في القرون الوسطى كانت مهدًا للثقافة الإسلامية التي كان يفتخر فيها الأوروبيون بأنهم يتكلمون اللغة العربية ؟

وهل يمكننا أن ننسى أن أسبانيا نادراً ما بلغت في تاريخها مستوى الرخاء الذي بلغته في أيام مملكة قرطبة وغرناطة (739 – 1492) ، وأنها لم تستطع أن تنفلت من قبضة محاكم التفتيش التي أعقبت تاريخ الإسلام ؟

وهل يمكننا أن نشير إلى أن ذكرى (بواتي) ، وذكرى الحروب الصليبية لم تمنعوا «فرانسا الأول» من الاستنجاد بالخليفة العثماني سليمان الثاني في القرن السادس عشر ليواجه سيطرة «شارل كان» على البحر الأبيض المتوسط ؟

وهل يمكننا أن ننسى أن فرنسا الجمهورية قد تابعت باستمرارية رائعة سياسة التعاون ، التي كان يسير عليها النظام الملكي قبلها مع العالم العربي الإسلامي ؟ وهل يمكننا أن ننسى أخيراً أن كتاب دائرة المعارف الفرنسية أنفسهم كانوا يجعلون المفكرين وال فلاسفة المسلمين مثلا للتسامح ؟ وأذ «التعصب» الذي كثر عنه الحديث هو ظاهرة متأخرة نسبياً ، ارتبطت بظاهرة أخرى هي الاستعمار فكان في الحقيقة عبارة عن رد فعل دفاعي قام به جسم المجتمع .

إن هذه النزعة الإنسانية هي التي يجب علينا نحن اليوم أن نوليها الصدارة من اهتمامنا . ولكن بالرغم من وجود بعض الرواد في هذا المجال ، فإنه يخيل إلى أنا ما زلنا بعيدين عن هذه الغاية . ذلك أنه — بعد الحاجز التاريخي الذي نكتبه ونقرؤه — يقوم في طريقنا الحاجز المجتمعي ، و «الكليشيات» المعادية للعرب ، والضاربة بعروقها في أعماق الكثريين منا ، يرجع تاريخها ، لحد بعيد ، إلى العهد الاستعماري . إن الاستعمار يعمد إلى التنقيس ، أو التشويه ، بل إلى انكار القيم العربية الإسلامية إطلاقاً ، ولنأخذ مثلاً على ذلك ، أذكر أن كتب التاريخ التي تعلمتها في المدرسة ، كانت تقف عند القول بأن «شارل مارتييل» قد هزم العرب سنة 732 م ، وبقيت صورة العرب في ذهني وأنا طفل ، هي صورة المجتمع الذين قدموا من آسيا الوسطى في القرن الخامس غازين أوروبا وخاصة فرنسا . وذلك لأن تلك الكتب لا تذكر لنا إلى جانب ذلك أن العرب قد أقاموا حضارة في إسبانيا من الملح الحضارات . حضارة لم تكن تدانيها حالة فرنسا إذذاك وحالة بقية أوروبا .

وفي أواسط القرن التاسع عشر ، اخلل التوازن القديم بفعل الاستعمار . وفي النصف الثاني من القرن العشرين جاء دور القضاء على الاستعمار بفضل حركات التحرير ، ولكن هذا لم يعد يخلق بعد توازنا جديدا ، يصبح فيه التعاون قائما مقام علاقات القوة في كل الميادين ، ولم يخلق فكرا جديدا ، ولم ينظم اعترافا حقيقيا بوجود عدوتين (1) للبحر المتوسط .

ولكن في الوقت الذي بدأ فيه تراجع المد الاستعماري ، جاء المشكل الإسرائيلي العربي ليضيف حاجزا جديدا يخفي كثيرا من الحقائق ويعرقل التقارب المتظر .

### العجز السياسي :

وهنا نصل الى العجز الثالث ذي الطابع السياسي ، ويكتفي أن نفتح أعيننا وآذاننا ، لنسمع الاذاعات ، ونبصر التيلفزيون ، ونقرأ الصحف ، فلا نجدها في مجال الاخبار تذكر شيئا عن العالم العربي إلا اذا وقعت فيه توترات داخلية ، أو أمر يتعلق بالنزاع العربي الإسرائيلي في الشرق الأوسط . وحتى في هذه الحالة يذكرون العرب كما لو كانوا أمة لا ماضي لها ، ولا تقاليد ، ولا حياة خاصة بها ، ولا نظرة الى المستقبل ، واتظروا عندنا في فرنسا سنة 1971 لكي نرى في التيلفزيون سلسلة من الحلقات ، وهي من التعاون الفرنسي الإيطالي ، عن تاريخ الإسلام ، ومن حسن الحظ أن التعليق على هذه السلسلة قد عهد به الى مثقف ذي دراية بالعربية هو السيد «أندري ميكيل».

---

(1) الصورة : شاطئ الوادي . والمراد هنا شاطئا البحر الابيض المتوسط .

أليس الأمر اذا أمر التكوين الذي نتصهر في قاليه ، وأمر الأخبار  
التي تقدم إلينا ؟

إن الصورة المنفرة التي تقدم إلينا عن العالم العربي ، والتي لا تميز  
بين سياسة هذه الدولة أو تلك ، وترك كل واحد منا حرفاً في الحكم عليها ،  
وكذلك نوعية الثقافة التي تلقاها ، والتيفترض أنها جزء من التراث  
ال العالمي ، تعتبر من أهم العوامل التي أوجدت عندنا هذه الظاهرة الغربية .

إن الحروب التي تطاحت فيها فرنسا وألمانيا وبريطانيا وإيطاليا ، لم تحملنا  
على أن نحذف من كتبنا المدرسية ، ومن مسرحنا - شكسبير ، وموليار ،  
وجوته ودانتي ، بل إن بقاء هذه الشخصيات في برامجنا المدرسية  
والمسرحية ومؤلفاتنا الأدبية هو الذي أعاد على تحقيق التصالح بعد مرور  
فترة الحرب بين هذه الدول .

وفي مقابل ذلك متى وأين أيقظنا في طلابنا وتلاميذنا روح الاهتمام  
بالبحث عما قدمه للثقافة العالمية ابن خلدون الأب الأول لعلم الاجتماع ،  
وابن رشد وابن سينا اللذان طبعا بطبعهما القوي تفكير القديس «توما  
الأكويني» و «ديكارت» ؟

من هنا لا يعرف رحلات «ماركو بولو» ؟ ولكن من هنا يعرف شيئاً  
عن ابن بطوطه الذي لا تقل قصص رحلاته روعة عن قصص «ماركو بولو» ؟  
أما ما يتعلق بالمفكرين في العالم العربي ، فأن بعض الأوساط عندنا  
تجاهل أهميتهم ، بل ولا تعرف بوجودهم إطلاقاً .

لعل من المناسب أن نقول كلمة أيضاً عن تعليم اللغة العربية عندنا ، تلك اللغة التي قال عنها «ماسينيون» (2) إنها ضرورية لسلامة العالم ، كضرورة الانجيل لسلامة المسيحيين . إن فرنسا من بين الدول الأوروبية كلها ، هي الدولة الوحيدة التي تعلم هذه اللغة في مدارسها الثانوية .

إن كل هذه النقائض التي أتينا عليها فيما يتعلق بتلاقي الثقافتين : العربية والأوروبية تبدو غريبة ولا مبرر لوجودها ، خاصة وأن التبادل في الميدان الاقتصادي يبلغ أقصى درجات الأهمية بين عدوتي البحر الأبيض المتوسط ، وأن الوعي بهذا التكامل والتضامن بين عدوتي البحر الأبيض المتوسط ، هو الذي يمكننا من النجاح في المحافظة على القيم التي تميز بها الحضارات القديمة التي تعز علينا ، ونستطيع أن نستخرج منها إنسانية جديدة .

إن هذا يتطلب منا حتماً أن تتغلب على بعض التناقضات ، وأن نهتم على الفور بمعاواة آثار الجراح التي خلفتها التزاعات القديمة ، أو الحديثة ، وييتطلب هذا من أوروبا خصوصاً أن تعمد إلى عملية انتزاع الفكر الاستعماري من دماغها . ويجب أن تتجاوز التحرر من الاستعمار الثقافي إلى التعاون الثقافي ، وهذا يفترض أن يعترف كل منا بأن «الآخر» له شخصيته الكاملة .

إن العرب يعملون جدهم لازاحة الحواجز ورفع الستائر المسدلة ليصلوا بالجانب «الآخر» ، وذلك في الحدود التي يشعرون فيها بأن «الآخر» يبادلهم التفاهم والتعاطف اللذين ، بدونهما ، لا يمكن أن يتحقق تلاقٌ ولا حوار ، وهم في هذا الميدان يرهنون على حدس لا نملكه <sup>صريح</sup> في أغلب الأحيان .

عن مجلة الاصلالة  
بول بالطا (صحفي فرنسي)

(2) ماسينيون : مشرق فرنسي معاصر .

النص :

« ... قلت قبل قليل : إن وضعنا الراهن في مجتمعنا العربي يتميز بالتصادم الذي اختلطت فيه حياتنا التقليدية في كل الميادين بالحياة العصرية . وهذا الاختلاط طبيعي ولم يكن لنا منه مفر ، وليس لنا أن نأسف له في حد ذاته . ولكن ما نأسف له في هذا التصادم هو أننا تقبلناه عملياً وتعودناه كما لو كان شيئاً طبيعياً ، ودخل حياتنا اليومية قبل أن تلقاء فكريها وندرسه ونفهمه . فكان الجانب الحضاري في حياتنا موجوداً وجوداً عملياً أي وجوداً مستعاراً . ولكنه غير موجود فكريًا ، أي هو غير موجود وجوداً حقيقياً . إن وجودنا الحضاري خليط من الحقيقة والزيف ، ولكن إلى أي حد يمكن أن نميز بين الحقيقة والزيف بوضوح في هذا المجال ؟

إننا في محاولة التمييز نفسها نوشك أن نقع في الريف اذا رحنا نستغير القوالب الذهنية الأوروبية ونصب فيها وقائنا الحضارية . لذلك سنلجأ الى تراثنا الفكري الوحيد في هذا المجال لأنه هو الذي ما تزال قوله صالحة لأن نصب فيها وقائنا الراهن ، وهو تراث ابن خلدون : والمشكل الحضاري في المجتمع العربي في هذا الصدد من جهة التعليل الخلدوني يتمثل في مشكل البداوة والحضارة ، وليس في التقسيم الطبقي الاقتصادي كما يقتضي ذلك ، المنهج الماركسي . فهل ما يزال هذا التقسيم صالحًا لنا اليوم ؟ وأي نصيب من البداوة في حياتنا العربية المعاصرة ، وأي نصيب من الروح الحضارية فيها ؟

منذ حوالي أسبوعين فقط كان لي حديث مع ممرضة في مصحة للتوليد في مدينة الجزائر العاصمة فقالت لي : إن أكثر ما يضايقنا في عملنا هو مواجهة

الزوج الذي ينتظر في قاعة الاستقبال أن نخبره بما ولدته زوجته ، فإذا كان ولدا ذكرا فان البشر والانسراح يصل به الى أن يغمرنا بالهدايا والعطايا وبالشكر والامتنان كما لو كنا نحن الذين رزقناه بهذا الطفل المولود . وإذا كانت بنتا ، فهو التجهم والعبوس وأحيانا يصل الى درجة شتمنا والتهمج علينا كما لو كنا نحن الذين تسبينا له بصورة مباشرة في حصول هذه الكارثة .

هذه الصحة لا يقصدها الرجل المتوسط عندنا ولا رجل الريف أو البادية ، وإنما تقصدها الاطارات العليا في البلاد من كبار الموظفين والعائلات الموسرة ذات التقاليد الحضيرية العريقة .

ولنفحص هذه الظاهرة عن قرب : هذا الرجل يرتدي لباسا أوربيا من آخر طراز ، وزوجته كذلك ، وقد أتى الى الصحة في سيارة أنيقة ، وليس على ظهر بعير . والآلات التي استعملت في عملية التوليد من أحدث الآلات وأدقها ، والطبيب المولود نال درجة الاختصاص في هذا الفن من المعاهد الأوربية . والصحة التي يجري فيها التوليد ليس فيها ما يذكر بالخيمة ، أو الاعتماد على الأولياء الصالحين في تسهيل عملية الولادة . والمحيط المادي الذي يغمر هذه العملية كلها هو محيط حضاري تستطيع أن تنافس به أرقى المصحات في العالم المتحضر .

ولكن الروح التي تخفي خلف هذه المظاهر كلها هي تلك الروح التي وصفها القرآن في الانسان الجاهلي منذ أربعة عشر قرنا : « إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُشْرِقَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيْمَسِكُهُ عَلَىٰ هُونِ أَمْ يَدْسُهُ فِي التُّرَابِ أَلَّا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ » (1) وهذا ولا حاجة الى التوسيع في ظاهرة الدعوة الى تحرير المرأة واعطائها حقوقها

(1) سورة النحل : 58 - 59

ال الكاملة في المساواة مع الرجل ، ولكننا نقصد دائمًا نساء الآخرين وأخواتهم أما الروح التي تصرف بها مع نسائنا من عشيرتنا فهي لا تحمل من المساواة قليلاً ولا كثيراً ولا حتى من الاحترام العادي الذي حاول الإسلام أن يغرسه في نفوسنا منذ عشرات القرون نحو المرأة ولكن بدون جدوى .

إن التوسيع في هذه الواقع من حياتنا الاجتماعية سهل جداً ويستطيع كل واحد أن يحشد منه عشرات الأمثلة في اليوم الواحد ؛ لأنّه هو الطابع العام في حياتنا كلها . وإذاً فـأين هي الحقيقة الحضارية في هذه الواقع ، وأين هو الزيف ؟

إن أكثر ما يبرر الإجابة عن هذا السؤال هو اندفاعنا الشديد وحدهة تحسينا في تقبل النقائص ؛ حتى قيل عن معدتنا الحضارية إنها أقوى معدة حملتها الشعوب في التاريخ : تحمل الحر والبارد والمنبه والمهدى في آن واحد .

والنقائص التي تحملها هنا هي اجتماع البداءة الفكرية والحضارة المادية ، والأفراط فيما معاً : لا نرضى من مستوررات الحضارة الحديثة إلا ما كان من آخر المنجزات التقنية الآلية . وفي نفس الوقت لا تمسك من تقاليدنا الموروثة إلا بما كان موغلاً في التأثر الفكري ولكننا بدون أي حرج أو شعور بالاثم نجمع النقixin تحت سقف واحد وتشمله في الشخص الواحد نفس البدلة ونفس الجسم والفكير . ولنحاول الآن أن نقلب الوضع ؛ قبلًا فرضياً طبعاً ؛ لكي تصور وجودنا الحضاري وجودًا حقيقياً لا مزيفاً . ولنستعين على توضيح هذا القلب سلباً إلى مثل من الصين : ... في الصين يتمتع المجتمع بتراث حضاري تقليدي في النظم الاجتماعية وفي الصناعات اليدوية والاتاج الفكري يعُد أرقى من التراث

العربي قليلاً أو كثيراً . ولكنهم في الأخذ من الحضارة المستوردة يكتفون بالضروري من الآلات الاتاجية ووسائل الحياة العصرية أو ما يشبه الضروري وهو ما يسميه ابن خلدون بالحاجي من لوازم الوجود . وبذلك استطاعوا أن يلأموا بسهولة بين تراثهم التقليدي الرفيع نسياً ، ومستورداتهم المتواضعة نسياً ، وهم الآن لا يعانون ما نعانيه نحن من التناقض الصارخ بين الميراث الوطني والمستورد الأجنبي في حياتهم . لماذا ؟ هل لأن الفرق بين العرب والصينيين هو فرق في الإنسانية كما يسميه ابن خلدون ؟ كلا ! الفرق يمكن في دور العقل في كل من الحالتين : في الصين بذل مجهد فكري على الجبهتين : جهة التراث التقليدي بالتنقية والتقييم ودرس ما هو قابل للحياة . وجهة المستوردات الأجنبية بالدرس وتقييم ما يصلح منها للاتاج ، وما هو للمتعة المادية وحدها . نعم لقد ارتكبت أخطاء في هذا المجهود الفكري ، وربما ما تزال وستظل الأخطاء ترتكب . ولكن ما استوردوه من المستحدثات عن طريق التقييم الفكري ، وما أدخلت عليه الحياة من التراث التقليدي قد استطاع به الصينيون ليس فقط أن يتخلصوا مما بينهما من تناقض معطل ، بل وأيضاً أن يوجدوا بينهما تكاملاً حركياً يزيد من سرعة التاريخ . (أبرز مثل معروف في العالم هو الجمع بين الطب التقليدي والطب الحديث) هذا المجهود سواء سميته أيديولوجية متكاملة يقوم بها رجال السياسة ، أو ثمرة أبحاث اجتماعية جادة يقوم بها رجال الفكر هو ما لم يقم به أبناء المجتمع العربي في التصادم الذي حصل بين تراثهم التقليدي ومستورداتهم الحديثة ، فكانت نتيجة الصدام بينهما في مجتمعنا ليست فقط فقدان التكامل بينهما ، بل كانت النتيجة هي تعطيل سير التاريخ بالمجتمع العربي المعاصر ....

【عبد الله شريط】

من كتابه : معركة المفاهيم

النص :

الفكر العربي فكر إنساني ، لم يتقوّق في البلاد العربية ، بل امتد على آفاق واسعة باسم الفكر والدين والفلسفة والفن ، فاستقر في الأندلس ، ودق أبواب أوروبا الشرقية والغربية ، وتغلغل في إفريقيا ، عن طريق شمالها وشرقاً وغربها ، وساح في آسيا حتى الصين وأندونيسيا .  
وحمل معه قيمًا فكرية ، وأخلاقية ، وعقيدية ، وفلسفية ، وحياتية ، ميزت الذين تأثروا به ، عن غير الذين لم يتأثروا ، حتى ضمن الشعب الواحد ، والأمة الواحدة .

وهذا ما يمكننا من القول بأن الفكر العربي أوجد حضارة عربية ، متميزة في أصولها النظرية الفكرية ، وفي ممارساتها الحياتية .  
انطلق الفكر العربي على امتداد زمني وحضاري يعتبر من أوسع الامتدادات الفكرية وأكثرها تحركاً .

١ - نشأ هذا الفكر في بيئة صحراوية . ومثل هذه البيئة توحى بالانغلاق والكتم ، ولكن شبه جزيرة العرب لم تكن مغلقة ، والعرب أنفسهم لم يكونوا منغلقين على أنفسهم ، ولم يكونوا على جانب كبير من التخلف الاقتصادي ، ولا التخلف الفكري . ورغم أن بعض التقاليد شبه الدينية ، والاجتماعية ، كانت متخلفة ، فقد كانوا في معظمهم متفتحين على آفاق فكرية وحضارية ، تشي موهابتهم وتمدهم بزاد واسع .

فاتصالهم باليمن كان يفتح أمامهم آفاق الاتصال بأفريقيا وخاصة مصر والجيشة ، واتصالهم بالشام كان يفتح أمامهم آفاق الاتصال ببلاد الروم

(١) الفكر العربي بين الاستلاب وتأكيد الدّاد (الدار العربية للكتاب : ليبيا - تونس 1977) : عبد الكريم غالب [بنصراف] .

وبالبحر الأبيض المتوسط ، واتصالهم بالعراق كان يفتح أمامهم آفاق الاتصال ببلاد فارس والهند .

كل ذلك يؤكد أن الشعب العربي لم يكن معزولاً في جزيرة قاحلة ،  
وإذا كان فن القول – الشعر والخطابة والنقد – وصناعة التجارة ، وإقامة  
الإمارات ، هو ما يميز الفكر العربي في الجاهلية ، فلم يبرز كفکر فلسفية  
ولا فکر علم ، فليس ذلك مما ينقص قيمة الفكر ، في دور تاريخي وحضاری  
معنی .

## ب - دعائيم الفكر العربي:

أولاً - الایمان : الایمان بالله ؛ ليس عملاً سهلاً في وسط تمزق العقائد التي لا تقوم على أساس ، أو على أساس مختلطة لا قاعدة علمية ، أو دينية لها ، ولذلك كان الایمان بالله يهدف الى الاستقرار الفكري ، لأن الدعوة التي أتى بها الاسلام قامت بشكل مكثف بتعزيق الایمان بالله ، والدعوة له ، واعتباره أساس العمل الانساني ، والاتصال الفكري . بل أساس المجتمع الذي دعا الاسلام الى إقامته .

ومن هذه الدعوة – التي شغلت حيزاً كبيراً من القرآن – نشأ صراع فكري بين الإيمان والفكر الوثني ، وبين الإيمان والنصرانية واليهودية ، التي أكد الإسلام الاعتراف بهما كديانتين سماويتين ، ولكنه أكد كذلك التحرير الذي حدث فيما من الناحية النظرية ، حتى ضاعت معالمها ، إلا ما حفظ منها في القرآن ، وتفس الصراع أو أشد حدث بين الإيمان والنفاق . ولم يكن النفاق في صدر الإسلام ظاهرة نفسية أو اجتماعية فحسب ، ولكنه كان إلى جانب ذلك حركة قوية لمعارضة أسس الإسلام ، ومحاولات القضاء عليه ، فهو حركة فكرية وسياسية في نفس الوقت .

وقد اهتم القرآن بمظاهر هذا الصراع وصورها في مئات الآيات . وجادل ، وناقض ، ودافع بالحججة المنطقية ، والفكريّة ، والدينية ، والوعظيّة . وكان في كل ذلك يدعو إلى استعمال العقل والتفكير والعلم والتدبر . اليماني إذن كان من مظاهر الحركة والفعل والانفعال والمجابهة الفكرية .

ثانيا : أوجد الإسلام مثلاً علينا جديدة ، حررت الإنسان من العبيضة ومن تفاهة الحياة ، ومن فكرة الحياة للحياة . ووضع للحياة غاية هي إسعاد المجتمع ، ثم الأدخار لحياة ما بعد الموت ، وربط حياة الإنسان بالله بمقدار ما ربطها بالعمل ، فأحدث توافقاً مهماً جداً ، بين الروح والمادة ، بين العقل من جهة ، والقلب والضمير والعاطفة من جهة أخرى .

وبهذا حرر الإسلام الفكر العربي من العبيضة التي يحدّثنا التاريخ عن كثير من مظاهرها في الفرد والمجتمع .

ثالثاً : أوجد الإسلام وضعاً اجتماعياً جديداً . فمهما كانت اتصالات العرب عن طريق التجارة والاحلاف ، ومهما كانت اتصالاتهم بأطراف الجزيرة وبالشعوب في خارج الجزيرة ، فقد كانوا يخضعون للظاهرة الاجتماعية التي كانت تسود العالم : القبلية والعصبية . وجاء الإسلام فهاجم هذا الوضع الاجتماعي بشدة ، وأوجد لأول مرة في الفكر العربي فكرة الأمة من القبيلة ، وفكرة التعاون بين عناصر الأمة بدلاً من العصبية . ولم يكن الهدف من بناء هذا المجتمع الجديد مادياً صرفاً ، أي إنه لم يكن اقتصادياً ، ولو أن الاقتصاد عصب الحياة ، ولكنه كان هدفاً شموليّاً ، وهو تكوين الأمة الإسلامية .

لو بني المجتمع على أساس اقتصادي صرف ، لكان في الامكاني إيجاد مجتمعات ووحدات اقتصادية متفرقة ، لا تخدم الفكرة الإسلامية . كان من الممكن مثلاً أن لا تجد بعض القبائل العربية مصلحتها في وحدة عربية ، فالذين يتاجرون - مثلاً - مع الفرس قد يجدون مصلحتهم في تدعيم

الوحدة الاقتصادية الفارسية العربية ، والذين يتاجرون مع الروم أو مع الأحباش قد يجدون مصلحتهم في إقامة وحدة اقتصادية عربية رومية ، أو عربية جشبية ، وبذلك ينشأ الصراع – ونحن تكلم في مجتمع القرن السادس والسابع المسيحي – بين هذه الوحدات ، وهذا ما كان يتلاوهه الاسلام .

الهدف إذن من المجتمع الجديد هو تكوين مجتمع يوحد الناس على أساس الایمان بالله والعمل بالمنهج الذي خطه الاسلام ، وقد كان منهجاً وحدوياً ، لا يخص العرب وحدهم ، بل يتسع فيشمل غير العرب من كل الذين يدخلون في الاسلام .

وبهذا خلق الاسلام المجتمع الجديد : مجتمع الأمة الواحدة ، التي لا تحدوها الدولة ، ولا الجنس ، ولا الرقعة الجغرافية . بذلك اخلط العرب مع غير العرب في السكني والعمل والقيادة والحكم ، وأصبح الشعب الاسلامي بدلاً من القبيلة العربية يتكون من كل المسلمين ، سواء كانوا من شعوب آسيا أو افريقيا أو أوروبا ، من هذا الجنس أو ذاك .

وهذه في الحقيقة ثورة لا على المجتمع العربي فحسب ، الذي كان يعتز بالقبيلة ، ولكن كذلك ثورة على المجتمعات التي عاشت في مختلف مراحل التاريخ ، محدودة الأفق عرفيًا ، أو جغرافيًا ، أو قبليًا ، أو لغوياً .  
رابعاً : القانون الذي أوجده الاسلام في هذا المجتمع الاسلامي قانون ديني ، ولكنه في الحقيقة يرتكز على المصالح الفردية والاجتماعية ، ومن المعروف أن القرآن قنن كثيراً من الأحكام في الأحوال الشخصية ، وفي القضايا المدنية ، والجنائية ، والتجارية ، ولكنه لم يقنن إلا الأسس ، وتركباقي – وخاصة مستحدثات الحياة – لأحاديث النبي ، ولاجتهادات الفقهاء ، وأهل المعرفة . والتقنين ، كتنظيم فكري للحياة ، أنقذ الفكر العربي من التقنين الفردي ، ومن الاعتداء اعتماداً على القوة ، ومن التأثر اعتماداً على حق الانسان في الاقتصاد بنفسه .

هذه الظواهر التي أعطاها الاسلام للفكر العربي كمنطلق فتحت المجال أمام الفكر العربي في ميادين المعرفة ، والحركة الفكرية ، وتطوير الحياة . ووضعت أمامه الأسس المنظمة لهذا التطوير ، بحيث تحرك بعد ذلك في أفق واسع ، لاستخدام الفكر في أبعاده المتحررة مع المحافظة على الأسس الحقيقة للإسلام لصالح الفكر الاسلامي ، والانساني على العموم .

**ج - خصائصه :** وقد تميز الفكر العربي بظاهرتين مهمتين :

أولاًهما : حرية التفكير والتعبير ، وثاني الظاهرتين أن باب الاجتهد كان مفتوحاً للعلماء والمثقفين في مختلف فروع المعرفة . وبفضل هذه الشخصية المتميزة نقلوا الحضارة الفكرية العربية والانسانية عموماً الى أوروبا . وأخذ الفكر العربي مكانه في الحضارة الانسانية .

من كل ذلك ندرك أن الفكر العربي لم يكن فكراً غبياً ، فقد كان فكراً إسلامياً في جوهره . والاسلام ليس دين الغيبيات ، الا فيما لا يمكن أن يصل العقل الى إدراكه ، كذات الله ، والروح مثلاً . وهي قضايا لم تحلها أية فلسفة . وعند العجز الفكري المطلق إزاء قضية من القضايا ، مع وضوح آثارها ، لا يمكن أن يعتبر الإيمان بها غبياً ، بل إن عدم الإيمان بها يعتبر تنكراً، وتجاهلاً للتفكير نفسه ، لأن الإيمان يحل مشكلة لم يستطع أن يحلها العلم ، فلو درج الإنسان على إنكار كل ما لا يستطيع العقل ولا العلم أن يؤكده ، لدخل في متأهات الجهل المطلق . ذلك أن كل ظواهر الكون التي ندركها الآن ، كانت في عالم الغيب قبل سنوات ، أو قبل عشرات أو مئات السنين . فلو أنكرها الانسان آنذاك – كما فعل بالفعل في كثير من الظواهر – لما فتح عقله لبحثها علمياً ، ولما آمن بها الانسان بعد أن كشف عنها العلم .

[ عبد الكريم غالب ]

النص :

التطور كلمة حديثة المهد في لغتنا ، وفي اللغات الأخرى ، ومعناها التغير وفقاً لسنة مطردة ، أو الانتقال في أطوار متعاقبة ، حسب قانون ابٌت ونظام معين . وقد بدت هذه الفكرة عند بعض العلماء في العصور السالفة ، كابن خلدون الذي استنتج سنن تطور الأمم ، من تاريخ حياتها . ولكن هذه الفكرة لم تشع وتنتشر إلا في العصور الأخيرة ، ولا سيما بعد ظهور نظرية التطور في علم الأحياء (البيولوجيا) ، ثم عممت هذه النظرية في ميادين أخرى ولا سيما في علم الاجتماع وسائر العلوم الإنسانية . وأخذ علماء الاجتماع يبحثون في حياة الإنسان الاجتماعية ، ويستنتجون قوانين تطورها الاقتصادي ، والفكري ، والسياسي ، والديني ، واللغوي ، والفنى . واتتقلت هذه النظرية من وسط العلماء والخاصة ، إلى وسط الجمهور وال العامة ، فتغيرت بعض معالمها ، وفهمت فهما آخر ، شابه كثير من الأخطاء والالتباسات التي سببت إصدار أحكام خاطئة في كثير من المجالات . لذلك كان من الضروري كشف هذه المفاهيم ، وإزالة ما يقع من التباس ، وتصحيح الخطأ في تلك الأحكام .

التطور في الطبيعة ، ينشأ على رأي بعض المؤخرین من العلماء ، من الملاعنة بين الموجودات ، ولا سيما الأحياء والبيئة التي تعيش فيها . فإذا تغيرت البيئة كان لابد من ملاعنة جديدة للકائن ، وهذه الملاعنة باستمرارها تحدث تغيراً فيه ، وتنقله إلى طور جديد ، إلى أن يحدث تغير في البيئة ،

(١) الفكر الإسلامي الحديث في مواجهة الانكار الغربية (دار الفكر - بيروت ط 3 سنة 1973) . الاستاذ / محمد المبارك

ولذلك قد يبقى في طور من أطواره أمدا طويلا ، ويكون التطور أكثر ما يكون تغيرا بطيئا مستمرا تظهر تائجه بعد زمن طويل . أما إذا كانت الملاعة بين الكائن والبيئة قائمة ، فإن هذا الكائن يحافظ على خصائصه ويبقى في أوضاعه . ولذلك كان الثبات سنة من سنن الطبيعة كالتغير ، أو على الأقل الثبات ممدا وأمدا طويلا ، وأحيانا دهورا مطابولا ، فمنذ كم لم يتغير تركيب الماء ، وكان هو الشراب الأساسي للأحياء ؟ أو لم تبق المادة الغذائية الأساسية للإنسان هي منذ آلاف السنين ؟ أو لم تبق الأشجار في أجسادها وأشكال جذوعها وأوراقها ثابتة منذ آلاف السنين ؟ إن الثبات لا سيما على الأصول سنة من سنن الطبيعة كالتغير والتطور ، حين ينشأ الموجب للتغير والتبدل ، فلا عجب إذا حافظ الإنسان في حياته الفردية والاجتماعية على ما ثبت صلاته ونفعه من العادات والنظم والأخلاق .

ومما يلاحظ في الطبيعة أن التطور لا يتوجه دوما نحو الأفضل والأحسن ، ولا يكون دوما تحسنا وتقديما ، بل قد يكون متوجها نحو الأسوأ وهو التردي . ففي عالم الأحياء قد يؤدي تطور بعض أنواعها إلى انقراضها ، وفي حياة الأمم ، تنتقل الأمة من طور المجد والحضارة ، إلى طور الانحطاط والضعف والفقر ، سواء في حياتها الفكرية أو الخلقية أو الاقتصادية . فمما لا شك فيه أن العرب في صدر الإسلام حتى أوائل العصر العباسي ؛ كانوا في طور أرقى وأرفع من الطور الذي مرروا به في عصور الانحطاط الأخيرة ، وأنهم في عهد إبراهيم كانوا موحدين ثم مرت بهم فترة الوثنية التي سبقت الإسلام ، ولذلك كان من الخطأ ظن بعض الناس أن كل تطور حسن ، وأن كل طور أفضل من الطور الذي سبقه ، فليس كل حاضر أفضل من الماضي ، ولا كل مستقبل أفضل من الحاضر ، والقضية ليست قضية زمن ، فقد يكون الماضي أفضل من الحاضر ، كما يمكن أن يكون الحاضر أفضل من الماضي . ومثال ذلك في الفرد أن يكون في حاضره

مريضاً بعد أن كان صحيحاً قوياً ، وفي الأمم أن تكون في حالة تفسخ وتآخر وانحلال وفساد ، بعد أن كانت في فترة من تاريخها قوية متساسكة مرتفعة في تفكيرها وخلقها ، غنية في اقتصادياتها . ومن هنا نستنتج فكرة هامة تصحح خطأ شائعاً ، وهي أن الرجوع إلى الماضي يكون سيئاً إذا كان ذلك الماضي سيئاً ، وحسناً إذا كان ذلك الماضي حسناً ، فليس كل رجوع إلى الماضي مذموماً . فالمريض يتمنى أن يعود إلى عهد صحته وقوته ، ورجوع العرب إلى ماضيهم القريب سيء لأنه عودة إلى عهود انحطاطهم وضعفهم ، ولكن رجوعهم إلى عهود مجدهم وازدهار حضارتهم واستمدادهم العناصر الخالدة ، والصفات السامية من ذلك الماضي ، هو أمر محمود ، ومثله تخليهم عن الصفات القبيحة ، التي هي من آثار عهد الاستعمار والتغزو الأوربي ، كشروع الأنانية والإباحية والإثارة الجنسية ، إن تخليهم عن هذه الصفات التي لصقت بهم في العصر الحديث ، من الأمور المحمودة بل الواجبة مع أنها من الحاضر لا من الماضي .

ولا شك أن مفهوم العرب القديم للعلاقات الاجتماعية في التضامن والإيثار والوفاء ، والمشاركة والأخوة والإنسانية ، والشرف والحفاظ على العرض والعفاف والبعد عن الإثارة في غير طريقها الشرعي الذي هو الزواج ، إن مفهومهم هذا سواء في العهد الجاهلي ، أو بعد الإسلام ، والتزامهم لهذه الأخلاق السامية أفضل بكثير من سلوكهم ومفهومهم الخلقي في هذا العصر ، الذي تأثروا فيه بالحياة الأوربية ، وما فيها من أثره فردية ومادية غالبة ، وإباحية وعدم مبالاة بحفظ الأنساب والأعراض ، وسلوك الطرق المؤدية إلى الإثارة الجنسية والخروج بها عن طريقها الشرعي الطبيعي ، الذي هو الزواج ، وظاهرة المرأة بما يتناسب مع هذا المفهوم الإباحي . إن من السطحية وقلة الثقافة بل من المخالفة لسنن الكون في التطور اعتبار كل رجوع إلى رجعية مذمومة ، وهو لا يقل خطأ أيضاً ، عن اعتبار كل تمسك بالقديم ، أو رجوع إلى الماضي مهماً كان ، أمراً حسناً وعملاً محموداً .

هذا وان التطور قد يكون تحسنا في ناحية ووقفا أو ترديا في أخرى ، فلو نظرنا الى تطور الحياة الإنسانية في طورها الأخير لوجدناها من الناحية العقلية والصناعية تفوق كل الاطوار السابقة على الاطلاق ، ومن العسير أن نطلق هذا الحكم على جميع النواحي الأخرى ، بل ان بعض اطوار البشرية في البلاد كانت أحسن من الوجهة الخلقدية في تعاون البشر وتضامنهم ، ونمو العواطف الإنسانية فيهم من العصر الحديث ، وكذلك الفرد الانساني فقد اكتسب صفات عقلية ومرنة نفسية في العصور الحديثة لم تكن عنده في العصور السالفة ، ولكنه أضاع كثيرا مما يمتاز به الإنسان القديم من قوة المقاومة الجسدية والجلد والصبر والقدرة على مقاومة عوارض الطبيعة ، بل أضاع كثيرا مما امتاز به أحيانا في بعض العصور والمدنية من نمو الملكات الروحية والنفسية .

لقد ابتليت بعض العصور بتقديس القديم ، ولو كان لا يستحق التقديس ولا التعظيم ، كما ابتليت عصور أخرى بتقديس الجديد وتعظيمه ، ولو كان غير جدير بالتعظيم والاستحقاق . والحق ان الخير والحقيقة والجمال هي مقاييس التعظيم والتحقير ، ومعايير الأخذ والترك ، وليس التقدم أو التأخر في الزمن .

ومن الواجب على كل حال دراسة اتجاهات التطور في كل ميدان من ميادين الحياة ، لمعرفة الاتجاه الطبيعي وعوامله وأسبابه ، والاستفادة من هذه المعرفة لحث الخطى ، والاسراع في السير وحسن الاستفادة من النتائج ، اذا كان ذلك الاتجاه في نظرنا مفيدا ، نافعا ، ولتدارك الأخطار وتحقيق المضار اذا كان ذلك الاتجاه ضارا .

إن من المفيد جدا أن نعرف اتجاه الصناعة في العالم ، لاستعداد المرحلة القادمة سواء أكانت نافعة لنا أم ضارة ، وأن نعرف كذلك اتجاه النظم الاقتصادية للبلاد المحيطة بنا ، كما أن من المفيد أن نعرف اتجاه السيل وموعد الفيضان لنستثمر الماء الغزير ، أو لندرأ الأضرار المرتقبة .

ان الأمة العربية في مرحلة دقيقة من مراحل تطورها ، يجب فيها بث الوعي الصحيح والتفكير السليم ، دون الاندفاع في التقليد الأجنبي ، أو الاستمرار في المأثور من عادات الماضي القريب ، ففي ما تستقبل من حضارة الغرب نواح جديرة بالأخذ والاقتباس والاستثمار ، وبعضاها يصلح بعد الملامة والتكييف ، كما أن فيها ما ينبغي تجنبه ومقاومته ، ولو وافق هو في التفوس . كما أن في حضارتنا القديمة وتراثنا وتاريخنا عناصر هامة وصالحة ، واتجاهات صحيحة وحقائق خالدة ، ولا سيما في مجال الأخلاق الاجتماعية والفردية وفي مجال العقائد والآراء .

يجب أن يفهم التطور فهما وأعيا سليما لتحسين الاستفادة من تجارب الأمم وتجاربنا ، ولنستطيع أن نبني نهضتنا وحضارتنا الحاضرة والمستقبلة بناء سليما ، يفيد الإنسانية جميعا .

#### الإسلام والتطور :

نحن نجد القرآن قد أشاد بالعقل ، واحترم أحکامه ، فيما يدخل تحت سلطانه ومحاكماته ، وهو حين يلفت نظر الإنسان الى الحياة وأسرارها ، ويطلب منه أن يتأمل في نفسه وفيما حوله تأمل باحث مفكر ، إنما يعلن القرآن بذلك ثقته بالعقل واحترامه له ، وإحلاله محل الأول ، في استفادة الإنسان من هذه العوامل كلها . يقول الله تبارك وتعالى : «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَفِي أَنْقُسِكُمْ أَفَلَا يَبْصِرُونَ» (2) ؟

فنظر العقل الى أسرار الحياة يقر حقيقة واضحة : هي أن الإنسان مهما اكتشف من أسرار الحياة ، فلن يحيط بها كلها ، في عصر واحد ، وستظل تكشف للناس شيئاً بعد شيء ، وهذا يستتبع أن الحياة في تطور مستمر ، والكشف عن المجهول متتابع ، وعلى الإنسان أن لا يقنع بما علم ، وأن يعتقد أن فوق علمه علما «وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْمٌ» . (3)

(2) سورة الداريات : 20 - 21 .      (3) سورة يوسف : 76 .

لقد استغلت فكرة التطور أقبح استغلال لمحاربة الأخلاق القوية وباسم التقدم والتطور ، ولمحاربة الاسلام وتشريعه ونظمه ومثله العليا ، واستعيرت كلمة الرجعية التي نشأت بعد الثورة الفرنسية لوصف حركة المناوئين لها — لمحاربة الدين والأخلاق بوجه عام، والاسلام بوجه خاص —

إن نشر فكرة التطور في مجال الحياة الا جتماعية لتحطيمها ، والعقائد الدينية لتهديمها ، عمل من أعمال اليهود وكتابهم في أوربا وأمريكا ، وهدفهم من ذلك أن لا يبقى شيء ثابت في الحياة مطلقا ، وبذلك تتقوض الفضائل والحقائق الدينية الكبرى ، وأهمها اليمان بالله وبالنبوات وبنطاليتها الأساسية ، ليبقى اليهود وحدهم مسيطرين على العالم ، وليكونون غيرهم في قلق دائم ، وثورة عارمة لا تبقي ولا تذر ، وترد من درك الى درك في مهاوي الانحطاط والرذيلة .

ان في الوجود حقائق كثيرة ثابتة ، وفي الكون قوانين ثابتة وظواهر مستمرة متعاقبة ، وفي الحياة اتجاهات أخلاقية ومثل عليا لا تتبدل ، والدعوة الى التغيير المستمر دعوة يهودية ماكرة ، يراد بها قلب المجتمعات وإحداث القلق ومنع الاستقرار في العالم ، وهي دعوة منافية للحقيقة ، ومنافية كذلك للفضيلة والمثل الأعلى ، وعائقه عن التقدم ، فالحياة أقامها الله على سنتي الثبات والتغير معا ، ثبات في نواح وتغير في نواح أخرى .

وقد راعى الاسلام نفسه هذه السنة فثبت ما يجب تبنته من أفكار وعقائد أو أخلاق ونظم ، وفسح المجال لتغيير الكثير من العادات وتفاصيل النظم ، وأشكال الحياة والأفكار المتعلقة بحقائق الكون التي جعل معرفتها منوطه بالعقل والتفكير . والتجربة والتأمل .

## اسئلة حول المchor

- 1) كان للإسلام دور رئيسي في بناء الحضارة الإسلامية منذ قرون ، ما العناصر الأساسية التي قامت عليها هذه الحضارة في رأيك ؟ وهل تراها ما زالت صالحة لما نصبو اليه من بناء حضارة ؟
- 2) لكل من الشرق والغرب خصائص ومميزات تميزه عن الآخر ، فما اهم هذه الخصائص والمميزات في نظرك ؟ وما الجوانب السلبية والابيجابية فيها ؟ وهل ترى في بعض هذه الخصائص والمميزات عندنا ما يبعث على الفخر والاعتزاز ، وفي البعض الآخر ما يجب علينا ان نتخلص منه في القريب ؟ ووضح .
- 3) ما من حضارة الا ولها مساوى ومحاسن ، وعلتنا امام الحضارة الغربية الراهنة التي غزت نفوسنا ، وبهرت عقولنا ، اتنا أصبحنا نأخذ كل ما فيها جملة وتفصيلا من غير تمييز ولا نظر ، ومن غير ان نتحقق هل ما نأخذه نافع لنا او مضر بنا ؟ واما هذا الوضع المزري تنكر ببعضنا لنفسه ، اي لماضيه ، بما فيه من عادات وتقالييد وتراث ! اترى هذه الظاهرة خاصة بنا ؟ ام هي عامة في جميع الشعوب المتخلفة مثلنا ؟ وما الوسائل التي تقتربها لعلاج هذا (المرض) في نفوسنا وازالة هذه الصورة المشينة من مجتمعنا ؟
- 4) الحضارات يلد بعضها بعضا ، انها حلقات متسللة في تاريخ الانسانية الطويل ، ولا يوجد حضارة متكاملة بذات من الصفر ، فمكتشف النار في العهود القديمة لا يقل ذكاء وعيقريه عن مكتشف الذرة في العصر الحاضر ، ومكتشف الدورة الدموية في العصر العباسي يعتبر استاذا لمكتشف البيسليين في هذا العصر ، فما مقدار مساهمة العقل العربي في بناء صرح الحضارة الإنسانية ؟ وما أثره في تكوين وبناء هذه الحضارة التي نعايشها الان ؟

« د »

## الثـقـاـفـة

يعيش وطننا اليوم تحولات هامة في مجالات : الصناعة والزراعة والثقافة ، ولكن أهم هذه التحولات وأخطرها شأنها في حياة الشعب الجزائري ، الثورة الثقافية التي يبدونها لا يكون النجاح كاملا للشودرين الآخرين ، فهي - فضلا عن الكفايات التي تصنفها للبلاد ، وتقدمها لها في مختلف المجالات - تحافظ على الهوية الوطنية للأمة ، وتوارد شخصيتها ، وتحفظ لسانها ، وتغدو عنها عوامل التشويه والانحلال ، وتطهرها من رواسب الاستعمار .

## الثورة الثقافية والأصالة

تهييد :

تبعد الثورة الثقافية من الشعب ، وهي بدورها مصدر وعيه وثقيقه وتوجيهه .  
ترى ، من يقوم بهذه المسؤولية ؟

لا شك ان مسؤولية التبليغ تلقى على عاتق المثقف الوعي ، الذي يرتبط ارتباطاً  
وثيقاً بواقع شعبه ، ويعيش الامة و مشكلاته ، ويشعر بتطلعاته وآماله في الحياة . ولكن  
بسططيع هذا المثقف ، احياء التراث الوطني الجزائري ، ويعتبر اصالته من جديد ،  
عليه ان يكون معتزاً بقيمه وبماضي شعبه البطولي ، فخوراً بلغته وثقافته ، معتداً  
بشخصيته الوطنية وخصوصيه القومية .

ان ابرز ما يمثل اصالة هذا الشعب الابي ، لغته العربية ، التي هي لغة الآباء  
والاجداد ، وهي اللسان الوحيد المبر عن الجهاد عبر الكفاح المسلح الطويل الذي  
خاصة شعبنا الابي .

النص :

إن من خصائص الثورة الثقافية المنشودة في بلادنا ، أن تتغذى من  
الشعب الذي تتجه إليه ، وأن تأخذ يد هذا الشعب ، لتنويعه ، بواجهاته  
الوطنية وبشخصيته القومية ، وبآماله وأهدافه . ومن أحق الناس بهذا  
الواجب المثقف في مجتمعه ، ومن هنا فإن أهم ما تتطلبه الثورة الثقافية من  
المثقف نفسه ، هو أن يتلتصق بواقع شعبه ، وأن يعترض بساخيه الوطني وأن  
يعمل على إحياء تراثه والكشف عن أصالته الصحيحة ، أما إذا تقفز المثقف  
من ماضيه ، أو استهان بقيمه أو فقد الثقة في امكانيات أمته ، فان مثل  
هذا المثقف يكون أعجز عن أن يقوم بثورة ثقافية لأن مثل هذه العملية  
ستكون فاقدة للنبع الطبيعي الذي تسقى أصولها منه ، وتستوحى قوتها  
من معينه .

---

\* مجلة الجيش (العدد 165 ديسمبر 1977) : ص 59 وما بعدها - يتصرف .

إنه لا توجد هناك قوالب ثقافية جاهزة يمكن نقلها من مكان ما لأنها  
في مجتمع أجنبي عنها ، أعني أجنبي في تقاليده وفي قيمه وفي لغته ، وفي  
عقيدته . بل يمكن التأكيد بأن نتيجة هذه المحاولة تشبه حالة من يحاول  
ملاءمة رأس حيوان مع جسم إنسان ، وهو ما يمثل اضحوكة العلم حتى  
الآن ، وأوضح هذه المسألة وأضيف ، بأننا قد نستجلب السكر من كوبا  
فنجده حلواً لذيناً أثناء ذوبانه في قهوتنا أو شايتنا ، وقد نستجلب القماش  
من بريطانيا أو من الصين فتلبسه نحن ، ولكننا لا نستطيع أن نجلب القبعة  
الأمريكية أو الفرنسية ونضعها على رؤوسنا ، لأن أدمنتنا أضخم من  
القبعة الأجنبية ، وبالمثل فإنه لا يمكن جلب قيم أو تقاليد من الصين أو  
الاتحاد السوفيافي أو أي بلد كان ولتصدقها بشعينا لأنها ستتناقض مع  
قيمنا ومن ثم لا يكتب لها القبول .

إن الثورة الثقافية وهي حاملة القيم ، والوعي ، والأصالة الصحيحة  
والمثل العليا ، لن يكتب لها النجاح ، إلا إذا كانت نابعة من أرضنا ، مغذاة  
بمجتمعنا ، متجيبة مع شعينا .

و هنا نلس خاصية أساسية من خصائص الثورة الثقافية المنشودة في  
بلادنا وهي أن تكون من الشعب والى الشعب ، وهذا ما يعبر عنه في  
المصطلح الحديث بالأصالة .

( فما هي الأصالة ؟ ) .

إن الأصالة في المفهوم الجديد اليوم هي محاولة للتفتح على المنبع ،  
على التراث الثقافي بغية إحيائه ، إلى الكشف عن الكنوز التي يتضمنها ،  
للانطلاق منه كقاعدة للقيام بوثبة إنسانية هدفها خدمة الإنسان وفقاً لمنهج  
علمي ، يتماشى والعصر الذي نعيش .. أي أن الأصالة حتماً يجب أن  
يصاحبها تفتح .

إن الأصالة تعني الأخذ بعامل الزمن في التخطيط لهذه الوثبة المنشودة ، فتطلعتنا إلى المستقبل لا يمكن أن يعكسها بوضوح إلا الماضي ، إذ الماضي هو مفتاح للمستقبل ؛ إذن فالأصالة تعني إضافة شيء جديد لما هو موجود ، أو لما كان موجوداً من قبل بغية توضيحه ، أو بإعطائه حكاماً جديدة ، أو إلابسه ثوباً جديداً على قدمه ، أي بلغة العلم اليوم ، إعادة صياغة ذلك الماضي الأصيل في منهج علمي يكون أكثر جاذبية وأكثر اقتناعاً أيضاً ، ولعل أحسن صورة يمكن تقديمها لمحاولة العودة إلى الأصالة ، تمثل في حكمـة قالها أحد أساتذة الجيل وهو الأستاذ طفي السيد فقد قال : « إن قضية المحافظة على التراث الثقافي ، مثلها مثل الولد الصالح الذي خلف أبوه تركة هامة ، فيكون من واجب هذا الولد الصالح أن يقوم بتحديدها وإحصائها أولاً ثم يضع يده عليها ثانياً ، ثم الالتفاع بها ثالثاً ، وذلك بإيمانها وصيانتها قصد الاستفادة الدائمة منها » . فإذا تعلـلت بعض الأصوات عندـنا هنا وهناك داعية إلى وجوب نبذ الماضي ، والخلص من القديم ، فأنـنا نصـح في وجه كل من ينادي بذلك قائلين ، بـأنـك ولـد مفلـس عـاق .

على أنه بالمقابل لهذا ، فإن دعـة الأصـالة مـطالبـونـهم أـيـضاً بـوجـوبـالـقـيـامـبـنـقـدـذـاتـيـلـكـلـماـأـخـذـوـهـمـمـاـالـماـضـيـ،ـوـوـضـعـهـتـحـتـالمـجـهـرـالـعـلـمـيـالـصـحـيـحـليـسـتـأـصـلـمـنـهـكـلـمـاـهـوـزـائـدـ،ـوـلـشـذـبـالـأـغـصـانـالـيـابـسـةـوـالـزـائـدـةـالـتـيـتـمـنـعـالـبـتـةـمـنـالـنـسـوـوـالـتـفـتـحـعـلـىـأـكـمـلـوـجـهـ.ـفـتـرـاثـنـاـلـيـسـهـوـذـلـكـالـشـيـءـالـجـامـدـالـمـوـضـوعـفـيـالـمـتـحـفـالـذـيـلـاـسـيـوـلـةـفـيـهـ،ـالـفـاقـدـلـكـلـمـعـنـىـمـنـمـعـانـيـالـعـيـاةـ.

والخلاف الوحيد بينـناـوـيـنـالمـجـتمـعـاتـالـمـتـقـدـمـةـالـيـوـمـ،ـهـوـأـنـنـاـعـيـنـاـوـمـاـزـلـنـاـنـعـانـيـمـنـالـانـقـطـاعـبـيـنـمـاـضـيـنـاـوـحـاضـرـنـاـ،ـفـهـيـنـعـملـتـتـلـكـالمـجـتمـعـاتـعـمـلاـمـتوـاـصـلـاـمـكـنـهـاـمـنـالـتـقـدـمـ،ـوـجـعـلـنـاـبـالـقـيـاسـإـلـيـهـنـعـانـيـ

من التخلف ، ومن هنا كانت الثورة الثقافية ، تسلل حافزاً قوياً لنا ، يدفعنا إلى مضاعفة الخطوات للتتحقق بين سبقونا ، وهذا ما نعنيه بالفتح الذي يصاحب الأصالة .

والتقدم الذي نحاول تحقيقه ليس التقدم السلبي الذي حققه شعوب تصف نفسها بأنها متقدمة والتي انهارت فيها القيم ، وتقوضت العائلة ، وقضى فيها على كل العلاقات الإنسانية وكل ذلك باسم التقدم .

صحيح أتنا مع التقدم العلمي بلا حدود ، ومع التقدم التقني الذي يخدم قضية الإنسان العادلة بلا حدود أيضاً ، ولكن الثورة الثقافية التي تشدها في مجتمعنا المتخلف هي التي يجب أن تحمي من الواقع في التفسخ ، والانحلال ، والانقسام الانساني في العلاقات المجتمعية .

إن الحديث عن الأصالة ، والتقدم العلمي ، في نطاق الثورة الثقافية يقودنا إلى سؤال هام هو : ما دامت الثورة الثقافية التي تتطلع لتحقيقها يجب أن تتغذى من واقع هذا الشعب وأن تنمو بين أحضانه ، وتحاول أن تحدث بينها وبينه التجاوب الحكيم ، فانها لا بد ان تملك الأدلة الطبيعية والقناة الصحيحة التي تمكّنها من الغذاء ، وما هذه القناة سوى اللغة .

فما قصة هذه اللغة عندنا ؟

إن ما أنفق من مداد في معالجة هذا الموضوع لا يضاهيه ، كما قال أحد أدباءنا ، الا دم الشهداء الذي سال إبان الثورة المسلحة ، ومن هنا فإن قضية اللغة القومية في بلادنا هي قضية عليها تتوقف كل حياتنا بجميع مجالاتها ، الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية ، وفي اعتقادي أنه ما لم تستعد اللغة الوطنية مكانتها الطبيعية في جميع قطاعاتنا الحياتية ، فإن كل البناء الذي نقيمه ، وكل التخطيط الذي نضعه سوف يظل مهدداً

بالتتصدع لأنه لا يملك القاعدة الشعبية التي تمثل الغذاء الصحيح الذي تتغذى به كل ثورة ، وهو الضامن لحياتنا ، ونحوها وديموتها كما أن محو الأمية في طبقاتنا الشعبية بغير اللغة الوطنية إنما يشبه حالة من يحاول أن يكتب على سطح الماء .

إن اللغة إذن هي أداة الحوار الطبيعية بين المثقف والجماهير الشعبية التي يتحتم عليه أن يتلمس بها ليعكس آمالها وألامها وينمي تطلعاتها لصناعة الفد باسم السعيد . وبهذا تكون اللغة هي المحك الصحيح الذي على ضوئه يجب أن يحدد الاتمام ويقبل الانضمام للتعبئة ، في جيش الثورة الثقافية ومعنى هذا أيضا أنه ليس كل من ينادي بشعار الثورة الثقافية ، يمكن أن يقبل جنديا في صفوفها ، ما لم يستوف هذه الشروط .

### مع النص

- 1) ما الخصائص المميزة للثورة الثقافية وما واجب المثقف في هذا المجال ؟
- 2) هل يمكن بناء شخصيتنا الوطنية بثقافة أجنبية ؟ لماذا ؟
- 3) ما الأصالحة ؟ وما مفهومها في رأي الكاتب ؟ وما الذي ينبغي أن تقوم به في هذا المجال ؟
- 4) ما الفرق بيننا وبين الشعوب المتقدمة في الميدان الثقافي ، والدافع التي دفعتنا للقيام بالثورة الثقافية ؟
- 5) ما دور اللغة العربية في مرحلة بنائنا الحديث ، وتطبيقاتنا المستقبل ؟ وما العواقب التي تنتج عن اهمال دورها في هذا المجال ؟ ولماذا ؟

### تقويم النص

#### ١ - الأفكار :

- 1) بين أهمية التصاق المثقف بواعق شعبه واعتزاذه ب الماضي الوطني .
- 2) ما عواقب الاعتماد على القوالب الثقافية الجاهزة في عملية البناء والتكون ؟
- 3) «الماضي هو مفتاح المستقبل» .  
ووضح هذه الفكرة في ضوء مفهومك عن الأصالحة والفتح الحضاري .
- 4) ماذا يعني الكاتب بالتقدم السلي ، وما الاخطار التي تلحق بالأمة إذا اسيء فهم المعنى الحقيقي للتقدم ؟

## **ب - الأسلوب :**

- 1) ما رأيك في أسلوب الكاتب من حيث الدقة والترابط والوضوح ؟
- 2) استعمل الكاتب بعض المصطلحات العلمية ، دل عليها في النص .
- 3) استخرج بعض العبارات المترادفة في النص ، وبين فائدتها .
- 4) عبر الكاتب عن افكاره بأمثلة حسية ، دل على بعضها .

## **استثمار النص**

### **ا - سجل في كراسك الخاص :**

- الاصلية تعني إضافة شيء جديد الى ما هو موجود ، او لما كان موجودا من قبل قصد توضيحه .
- الثورة الثقافية التي نشدها ، هي التي يجب ان تحمينا من التفسخ والانحلال والانفصال الانساني .
- ان اللغة العربية هي اداة الحوار الطبيعية بين المثقف وبين جماهيرنا الشعبية .

### **ب - لاحظ : كلمة «تأخذ» - الواردة في النص - وما لها من وجوه استعمال مختلفة .**

(تأخذ بيد هذا الشعب لوعيته ...) . أخذت فيه الخمر : أثرت . وأخذ عنه : نقل عنه ، وتعلم منه . وأخذه بذنبه : عاقبه بسببه . وأخذ على يده : منعه مما يريد فعله . وأخذ على نفسه كذا : تمهد بفعله ، وأخذه . وتأخذ : صيره ، وجعله - ومنه قوله تعالى :

«وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ حَلِيلًا».

### **ج - طبق :**

- 1 - بين ما لكلمة «يُدْفع» - الواردة في النص - من معان ووجوه استعمال آخرى في جمل من عندك ( مستعينا بالقاموس ) .
- 2 - انسج على منوال العبارة الآتية :  
(ان قضية المحافظة على التراث الثقافي ، مثلها مثل الولد الصالح الذي خلف أبوه تركه هامة ...).
- 3 - حرر : اكتب مقالة تبين فيها الفرق بين الاصلية والتقليد .

تهييد :

تعيش بلادنا اليوم تحولات هامة ومتغيرات جذرية ، في شتى المجالات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، بعد أن تحررت من السيطرة الاستعمارية الطويلة ، وأقبلت على عهد جديد من الكفاح والتشييد .

والبناق الوطني يعالج كل هذه الأمور في إطار نظرة موضوعية شاملة ، مطلقة من الارتباط القوي بالتراث المجيد ، والتطلع الحي إلى المستقبل المشود . ومن جملة ما عنى البناق بمعالجته وتوضيحه موضوع الثقاقة ، والثورة الثقافية .

النص :

ان الاستعمار الذي دام مائة وثلاثين سنة ، ترك في الجزائر آثارا عميقة نتيجة لسياسة التجميل ، التي اندحر منها نظاما للسيطرة والاستبداد ، ونتيجة للأضرار البليعة التي ألحقتها بشخصية الشعب الجزائري المتمثلة ، خاصة ، في لغته القومية التي كانت محظورة ممتهنة ، وفي تاريخه وثقافته اللذين ابْتُلِيا بالجحود والازدراء .

ومن البديهي أنه لا يمكن لثورة ما أن تبلغ جميع أهدافها ، إذا كانت من صنع شعب أغلبيّته من الأمينين ، وكانت تستند إلى عقليات مستبلة ، وأنماط من التفكير والعمل غالبا ما تكون منافية لتلك الأهداف المشودة أو قاصرة عنها ، فستُؤول حينئذ إلى الركود ، وعدم الابداع والخلق ، ورفض التجدد ، وهذه كلها عوامل من شأنها أن تحدث ظروفا موضوعية تؤدي إلى التأخر والتقهقر بل تساعد على بروز ثورة مضادة .

إذن ، فالدافع الثوري في المجال الثقافي ، يجب أن يساهم في المستوى الفكري والتقني للجماهير ، وتحفيز العقليات بغية خلق الشروط النفسانية والإيديولوجية والسياسية دعما للاستقلال الوطني والتطور الاقتصادي الاجتماعي .

(١) من البناق الوطني .

ان تحقيق اشتراكية وسائل الاتاج هو الشرط الأساسي لبناء الاشتراكية ولكن من الضروري ان يكون ذلك موفقا بتحول فكري وأخلاقي عميق ، والحق ان عملية تحويل الانسان ليست اقل ضرورة من عملية تحويل البلاد ، ولا يمكن أن تؤمن مسيرة الثورة ما لم تُكِّيَفْ الاخلاقياتُ الاشتراكية العقلياتِ والسلوك ، وفي المنظور فان للثورة الثقافية ثلاثة اهداف تسكن من تكوين انسان جديد في مجتمع جديد :

١ - التأكيد على الهوية الوطنية الجزائرية ، وقويتها ، وتحقيق التنمية الثقافية بجميع أشكالها .

ب - الرفع الدائم لمستوى التعليم المدرسي والكفاءة التقنية .

ج - اعتماد أسلوب في الحياة ينسجم مع مبادئ الثورة الاشتراكية ، كما يحددها هذا الميثاق .

ويتبين أن تضاف الى هذه الوظائف الأساسية للثورة الثقافية ما يلي :

- ١ - أنها أداة لاكتساب الوعي الاجتماعي ، والعمل الملائم في سبيل تحويل البنية الاجتماعية البالية المجرفة .
- ٢ - وأنها نضال منظم ومعاً للقضاء على التخلف الاجتماعي والاقتصادي للبلاد .
- ٣ - وأنها ، أخيرا ، جهد تربوي واع يرمي الى محاربة كل الأحكام المسبقة المتعلقة بالعرق أو الطبقة أو الجنس أو المرتبطة بالعمل اليدوي . كما يرمي الى محاربة النزوع الى العنف المضر بالمجتمع ، والتزمت ، والأفكار التعصبية الخاصة بالثقافة ونمط الحياة . فهذا البعد في الثقافة هو الذي يبعث على تضامن أكبر مع الشعوب المقهورة التي تعاني الميَّز أو الاحتقار العنصري ، أو تلك التي كانت مستعمرة ، أو ما زالت مستغلة وهو الذي يمكن من فهم

أفضل ل بتاريخها ونضالها التحريري ، ومن تقدير أسلم لشكل بنائها الوطني . وهو الذي يحمل ، بصفة عامة ، على احترام الثقافات والحضارات المختلفة عن ثقافتنا وحضارتنا .

ان للتربية والثقافة دوراً بالغ الأهمية في تطوير الشخصية الوطنية والهوية الجماعية ، وفي اقامة مجتمع متوازن لا يكون فيه المواطن مبتورا عن أصوله ولا متوكلا على هامش التقدم . والثورة الثقافية ، اذ تهدف الى انجاز كل ذلك تساهمن في ازدهار كياننا الوطني وفقا للثقافة التقديمية المعاصرة ، وهذا يعني تأكيد ارتباطنا بتراثنا الثقافي ، وثقتنا في قدرات الشعب الجزائري على التكيف مع الحاضر والافتتاح المتزايد على العالم المعاصر غير أن هناك نوعا من « الثقافة » المشبوهة الشائعة الى حد ما ، والمتعلقة بجموعة من أعمال وتصرفات وعقليات يفرضها المناخ المدوس لأنماط الحياة والتفكير التي خلقتها السيطرة الفرنسية الطويلة ، المسمة بطبع البرجوازية الصغيرة ، وهذه الثقافة ، التي ما زالت تكيف السلوك الاجتماعي في الأوساط الحضرية ، ليست كما يتبادر الى الذهن ، بقابيا ثقافة أجنبية متنظمة ذات طابع عالمي ، بل هي ضرب من مناخ أخلاقي تحدده أشباه الثقافات التحتية الهزيلة ، وتصروفات متولدة من التبعية الطويلة للسياسات الادارية والتجارية ، والضغوط الاجتماعية للمحتل السابق وهي مجموعة من الأذواق المبتذلة ، والمواقوف الببغائية المستوحة من أنساط العَدُوِّ الثقافية السطحية ، طفت على جزائريين من مختلف الأوساط بصرف النظر عن لغة التعبير لديهم ومستواهم الفكري . بل مست حتى عناصر أمية منهم ، وباختصار ، فإن هذا التأثير الذي اوجده بعض الظواهر الاجتماعية العالقة بالسيطرة الاستعمارية الاستيطانية الأجنبية . والذي هو في الغالب منفصل عن ممارسة لغة المستعمر القديم ، قد امتد تقريريا الى جميع الناس ، وخاصة في المدن . وان ثقافتنا الوطنية ، مهما كانت الصيغة المعبرة عنها ، مازالت تعاني هذه التأثيرات التي يُعتبر الفكر البرجوازي ، بجميع أشكاله ، أهم مميزاتها .

## مع النص

- 1) ضع عنوانا ملائما للفكرة العامة التي يشتمل عليها النص .
- 2) ما الآثار التي خلفها الاستعمار الفرنسي ؟ وما الطرق التي اتبعها في تنفيذ أغراضه ؟
- 3) ما العوائق التي تحول دون بلوغ الثورة جميع اهدافها ؟ وما الوسائل التي يجب اعتمادها لبلوغ هذه الاهداف ؟
- 4) ما الذي يؤمّن مسيرة الثورة ؟ وما الاهداف والوظائف الأساسية التي تسعى الثورة الثقافية لتحقيقها ؟
- 5) ما دور التربية والثقافة في المحافظة على شخصيتنا الوطنية ؟
- 6) فيم تمثل الثقافة المشبوهة ؟ وما منشئها وطابعها ؟ وفي أي الاوساط تنشر ؟

## تقسيم النص

### أ - الأفكار :

- 1) عملية تحويل الانسان ليست اقل ضرورة من عملية تحويل البلاد .  
وضع هذه الفكرة ولماذا ؟
- 2) عندنا أخلاق اسلامية تلقينها من القرآن والسنّة وسيرة السلف الصالح . فما مكانة الأخلاقيات الاشتراكية منها ؟
- 3) يشير النص الى أن الثورة الثقافية شرط اساسي لنجاح الثورتين الصناعية والزراعية . ما علاقـة مضمون هذه الفكرة بمعنى الآية الكريمة : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ) ؟

### ب - الاسلوب :

- 1) بين مواضع الإجمال والتفصيل في النص ، ووضع أهميته في جلاء الموضوع وتركيز الفكرة .
- 2) الى اي فنون النثر ينتهي هذا النص ؟ وضع اجابتك بالاستناد الى ما درست من نصوص نثرية مختلفة .
- 3) يعتمد النص على الاسلوب الخبري . فلماذا ؟

## استثمار النص

### أ - سجل في كراسك الخاص :

- من البدائي أنه لا يمكن لثورة ما أن تبلغ جميع أهدافها ، إذا كانت من صنع شعب أغلبيته من الأ卑ين ، وكانت تستند إلى عقليات مستلبة ، وأنماط من التفكير والعمل غالباً ما تكون منافية لتلك الأهداف المنشودة أو قاصرة عنها . [الميثاق الوطني - ص 91]

- إن للتربية والثقافة دوراً بالغ الأهمية في تطوير الشخصية الوطنية والهوية الجماعية وفي إقامة مجتمع متوازن لا يكون فيه المواطن مبتوراً عن أصوله ، ولا متوكلاً على هامش التقدم . [الميثاق الوطني - ص 92]

- إن الذين ي يريدون أن تصير أمور الشعب إلى الشعب ، ي يريدون بطبيعة الحال أن يثقف الشعب حتى يرشد ، وحتى يأخذ أمره بحزم وقوة ، ويصرّفها عن فهم وبصيرة . [طه حسين]

ب - لاحظ : كلمة (يرمي) - الواردة في النص - وما لها من وجوه استعمال مختلفة :

يرمي إلى محاربة التزوع إلى العنف : يقصد . ورمي الله له : نصره . ورمي السهم عن القوس : قذفه . أكل التمر ورمي بالنوى : القاء . ورمي به على البلد : سلطه وولاه عليه . ورمي بحبله على غاربه : تركه بفعل ما يشاء . ورمي على الخمرين : زاد . ويقال : في هذا رمية عما قيل لي : أي زيادة .

### ج - طبق :

1) بين ما للكلمة (يفرض) - الواردة في النص - من معانٍ ووجوه استعمال ؛ في جمل من عندك .

2) انسج على منوال العبارة الآتية :  
( لا يمكن أن تؤمن مسيرة الثورة ما لم تكيف العقليات الاشتراكية  
العقليات والسلوك ) .

### 3) حمر :

أ - اكتب مقالة تبين فيها أهمية التمسك بالتراث وأثره في الحفاظ على الشخصية الوطنية ، وتسليد خطواتها في طريق البناء والتقدم .

ب - يقول الرافعي :

« لا جرم أن كانت لغة الأمة هي الهدف الأول للمستعمر ، فلن يتحول الشعب أول ما يتحوال إلا من لفته ». أبسط هذه الفكرة موضحاً دور اللغة في تأكيد حقيقة الأمة ، واتكمال استقلالها الثقافي ، وثبتت اقدامها أمام محاولات المستعمر . وأطعمتهم .

# 19

## مشاكل الثقافة في الجزائر المستقلة (\*)

النص :

من الممكن تناول هذا الموضوع من الرواية الآتية :

١ - الملاحظات .      ب - المشاكل .      ج - الحلول .

### ١ - الملاحظات :

مشاكل الثقافة الوطنية أكثر من أن تحصى . فهناك أولاً المشاكل الناتجة عن وضع الجزائر التاريخي والجغرافي ، وعلاقتها الحضارية بالوطن العربي ، والعالم الإسلامي ، والنضال الأفريقي . ولاشك أن جميع التأضليل الجزائريين يعون الآن دورهم في تشيد الحضارة العربية والإسلامية ، التي وضع حجر أساسها عقبة بن نافع . وساهم في تدعيمها طارق بن زياد، ويوسف بن تاشفين، وأiben توهرت ، وعبد المؤمن بن علي ، وأiben خلدون ، والأمير عبد القادر ، وأبطال نوفمبر . فعلاقة الثقافة الوطنية المعاصرة بالتاريخ الوطني، علاقة تكامل ، ولا يمكن أن يفهم أحدهما بدون الآخر .

غير أن هناك أيضاً المشاكل الثقافية ، التي تولدت عن أكثر من قرن ، من الاحتلال الأجنبي ، وعن محاولة إدماج الجزائر في حضارة غريبة عن أهلها ، ومسخ تفكيرها الوطني . ولم تكن ثورة نوفمبر ، في معناها الثقافي ، سوى رد فعل صريح عنيف ضد هذه المحاولة . فقد كانت تعبرًا على إرادة الشعب الجزائري ، في رفض المسوح الحضاري ، بجميع أشكاله . ولكن عملية الرفض أسهل من عملية التثبيت ، والجزائر اليوم تجد نفسها في صراع مع

\* مطلقات فكرية : أبو القاسم سعد الله (الدار العربية للكتاب : ليبيا - تونس 1976)  
بتصرف .

- في صيف 1966 طلبت (المجاهد) الجزائرية من الكاتب المشاركة في الاستفتاء الذي أجرته حول (المشاكل الثقافية) التي تواجه الجزائر المستقلة ، فأجابها بهذا البحث الذي نشرته بتاريخ 15 يناير 1967 ، عدد 350 . انظر كذلك عدد 351 من نفس الجريدة

نفسها لكي تثبت أنها لم ترفض الحضارة الأجنبية رفضا سلبيا ، ولكن الجزائر ترفض تلك الحضارة افتئاما منها بأن لديها ما هو خير منها . والصدق بشخصيتها ، وأنسب إلى نوعية تفكيرها وأخلاقها .

وهنا تبدأ أزمة الثقافة الوطنية المعاصرة . وإذا كانت الثورة قد قامت بالتزاماتها في عدة ميادين ، فان كثيرا من التزاماتها في ميدان الثقافة ما يزال ينتظر التحقيق . وصعوبة العمل في هذا الحقل لا ينكرها أحد . ذلك ان التطبيق هنا يعني التوفيق بين ذكريات الماضي ، وتعنيات الحاضر ، وأمال المستقبل .

## ب - المشاكل :

وإذا أخذنا في الاعتبار الملاحظات السابقة ، فإنه من الممكن تصنيف المشاكل الثقافية ومنها :

- 3 - الأمية .
- 4 - التعليم .
- 5 - الصحافة .
- 1 - الذوق العام .
- 2 - اللغة .

1 - **الذوق العام** : سواء أحببنا أم كرهنا فإن الاستعمار قد ترك طابعه الخاص على الجزائر . وعلى الرغم من أن هذا الطابع يختلف عمقا من جهة الى جهة ومن جيل الى جيل فإنه من الواضح بحيث لا يخفى الا على الذين لم يدرسو المجتمع الجزائري قبل الاحتلال . وسوف تكون سطحيين اذا قصرنا اثر الاستعمار على الجزائري في اللغة ، وأشكال اللباس، وأنواع الأطعمة ، ونحو ذلك من الاشياء الظاهرة . ذلك ان هذا اثر اكثرا خفاء واخطر مفعولا مما تتصوره . إنه يتمثل في طريقة حياة نعيش بها بدون أن نحس أنها من غيرنا وليس منها . ومن الممكن أن يشعر الملاحظ بذلك حين ينتقل من الريف الى المدينة او من بلد عربي آخر الى الجزائر . والحق ان تلك الطريقة تمثل في نوع اختيارنا للأشياء ، واتجاه ذو قناع العام ، وشكل تخاطبنا ، وهيئة لباسنا ، ونحو ذلك . والقضاء على هذه (الطريقة المستوردة) سيشكل انتصارا كبيرا للثورة لا يقل فعالية عن انتصارها في معركة السلاح .

**2 – اللغة :** من الخطأ الفادح فصل الوطنية الجزائرية عن اللغة العربية ذلك انه لا يمكن فهم تاريخ الشعب الجزائري وطبيعته ونضاله التحريري بدون ربط كل ذلك باللغة العربية . والقول الذي كان يرددہ بعضهم بأن الجزائريين يتحدثون بالفرنسية ولكنهم يفكرون بالعربية قول غير واقعي ، فاللغة ليست أصواتاً وفاظاً فقط، ولكنها قبل كل شيء طريقة تفكير . ويجب ان نؤكد هنا بأن هناك تلازماً منطقياً وتاريخياً بين العربية والوطنية في الجزائر ولا يمكن أن يفهم أحدهما بدون الآخر كما لا يمكن أن تفهم الجزائر بدون حدودها وراثتها وسيادتها .

ومن الخطأ الواضح وصف من ينادي بترسيم واحترام العربية بالتزامت او التعصب اذا كان يراد من ذلك الاهانة . بالعكس ، ان المنادين بذلك هم المنطقيون مع انفسهم ومع التاريخ ومع الثورة . لقد كان الاستعمار يعتنى الوطنبيين الجزائريين بالتعصبين (فاناتيك) ولكن هذا الوصف كان عنوان فخر لجميع المناضلين آنذاك لأن الوطنية في معناها بعيد : ما هي الا نوع من التعصب والتزامت اي المحافظة على بعض المبادئ والقيم من التلاشي . فلماذا نجد اليوم من الجزائريين من يستعمل نفس الاوصاف ضد اخوته في حين انه كان يفخر بها هو نفسه أيام الاحتلال ؟

فالجزائري الذي يتحدث او يكتب بلغة لا يفهمها بعض مواطنه من جميع اصقاع الوطن يجب ان يشعر بوخر الضمير وبالاهانة في نفس الوقت . والجزائري الذي يحضر أحد الاجتماعات الوطنية ولا يستطيع ان يتبع المناقشة إلا عن طريق الترجمة يجب ان يشعر بغرابة مهولة بين ابناء وطنه . والجزائري الذي لا يستطيع ان يقرأ ما كتبه اجداده الا في لغة اجنبية يجب ان يشعر بالعار ، بل بنقص في الوطنية .

وهنا يجب ان نؤكد بأن دور الجزائر في الوطن العربي ، بل في افريقيا ايضا ، سيقى محدوداً مثلولاً ، سواء على المستوى السياسي او الثقافي ، ما لم تعط للعربية المكانة اللائقة بها . إن لنا اخوة في بقية اجزاء الوطن العربي يتآثرون بنا ونتأثر بهم فكيف نطمئن الى ان ننسق معهم الجهود الثورية والحضارية ، اذا لم نتفق اللغة المشتركة ، التي تربطنا جميعا ؟ .

**3 – الامية :** ويتصل بمشكلة اللغة مشكلة اخرى هي الامية . والجزائر ، كجزء من العالم الثالث . تجد نفسها تعاني من جريمة الاستعمار في هذا الصدد . فالمستعمرون لم يعلمنا ثقافتهم ، حتى لا نطالبهم بالعدالة والمساواة ، ولا ثقافتنا حتى لا نطالبهم بالحرية والاستقلال . ورغم انعدام

الاحصاءات الدقيقة ، فان نسبة الامية في الجزائر عند الاستقلال ، كانت حوالي تسعين في المائة . ولكن الجزائريين الذين كانوا يتحدثون ويفهمون العربية ، كانوا وما زالوا يشكلون الأغلبية الساحقة من الجمهور .

وقد كان من الواجب توجيه جميع طاقاتنا التعليمية ، للاستفادة من هذا الوضع ، غير أنه مما يُؤسف له ، أن ذلك لم يحدث حتى الآن . فالمدارس ووسائل الاعلام والصحافة ، لم تستغل بعد لنشر التعليم ، بين المواطنين باللغة التي يتحدثون بها ، ويفهمونها ، ولاشك أن هناك عرائق كثيرة في هذا الطريق من بينها انخفاض الروح الثورية لدى البعض ، وعدم تشجيع المطلعين مادياً وادبياً ، وقد ان ميزانية خاصة لمحو الامية ، وتسلط المترنحين على اجهزة الاعلام ، والتشكيل في قيمة الاستفادة من اسقافنا العرب .

4 - التعليم : يجب التفرقة هنا بين الثقافة والتعليم . فالآخر أخص دلالة من الثقافة التي أصبحت تعني ، في مفهومها الحديث ، درجة مرتفعة من المعرفة والذوق . وتبدو مشكلة التعليم في حدتها ، حين نعرف أن تكوين الإطارات يجب أن يتم بسرعة وباتقان في نفس الوقت . والمشرون على التعليم عليهم أن يوأئموا بين طاقات الجزائري البشرية والمادية ، وبين حاجاتها التقنية والعلمية ، مع عدم التضحية باختياراتنا الثورية .

5 - الصحافة : ورغم أن الاحصاءات تشير إلى أن عدد قراء العربية أكثر من قراء الفرنسية فإن القارئ الجزائري ذا اللسان العربي مازال لا يجد حاجته في صحفته اليومية . وبالمقارنة بين الصحف الوطنية يظهر أن هناك فرقاً كبيراً في الإخراج والتوزيع بين الصحف الصادرة بالفرنسية والآخر الصادرة بالعربية ، كما أن هذه الاحصاءات تبرهن على أن عدد الصحف ذات اللسان الفرنسي أكثر من ذات اللسان العربي ، بينما كان يجب العكس إذا راعينا نسبة القدرة على القراءة ، واتجاه الوطن نحو استرجاع مقوماته الأساسية .

وبالاضافة إلى ذلك فإنه باستطاعة كثير من الجزائريين الحصول على الصحف الأجنبية (مثلاً : الفرنسية) ، بينما لا يجد زملاؤهم نفس الفرصة في الحصول على الصحف العربية ، (غير الجزائرية) إلا قليلاً . وقد نتج عن هذه الحالة عدم تساو في الثقافة اليومية والتوجيه العام ، سواء في ذلك القضايا المحلية والعالمية .

## ج - الحلول :

قبل كل شيء ، يجب أن نلاحظ بأنه لا يمكن تحقيق أي حل ما لم تتحقق الشروط التالية :

أولاً : ضرورة وجود مثقفي العربية على رأس الجهات المشولة عن التعرّيف ، والثقافة ، والتعليم ، ووسائل الاعلام ، ان إسناد الأمور لغير أهلها ينبع عنه رد فعل عكسي ، أهمه عدم العناية ، وعدم الحساس

ثانياً : إسناد المسؤوليات عن طريق الجدارة والكفاءة ، لا عن طريق السياسة ، او الصحبة ، او الجهوية ، او المحسوبية . ان أكثر دول العالم تقدما هي التي تفرض على ابنائها ان لا يصلوا الى مراكز السلطة والنفوذ ، الا على سواعدتهم وكفاءاتهم . وأكثر دول العالم تخلفا هي التي تستعمل طريقة (الاكتاف) ، وسياسة التكتلات الجهوية الطائفية ، ولن تستطيع الجزائر أن تشق طريقها الى القمة المنشودة ، الا اذا قبضت على هذه الافة ، التي مازالت تنخر عظام شعوب العالم الثالث

ثالثاً : وجود الثقة والتعاون بين جميع المناضلين لتحقيق هذه الحلول فليس هناك فرد او جماعة او مؤسسة ، بقدرة وحدتها على القيام بهذا العبء الثقيل . والايام بان القضاء على بقايا الاستعمار جزء من معركة التحرير نفسها ، وشرط اساسي في هذا الموضوع .

ومهما قيل عن مشاكل الثقافة الوطنية ، فان جميع حلولها مرهونة بالتزام الجزائري بالخط الثوري السليم . وان الضمان الوحيد لتفهم تلك المشاكل ، وابعاد حل لها متوقف على تفتح الثورة نفسها ، حتى يكون في استطاعتها أن تحمي نفسها من العواصف والرجات ، وأن تعمق حاجات الجماهير ، وأبعاد العصر الذي تعيش فيه

والطريق الصحيح للالتزام بذلك الخط الثوري ، هو ديمقراطية الثورة نفسها ، ذلك ان كل احتكار للثورة ، يعني تحريرها من أقدس مبادئها وهو الشعبية . ولكي تكون الثورة مفتوحة وديمقراطية ، يجب ان تجد فيها جميع العناصر الوطنية المناضلة مجالا لطاقاتها ومواهبها .

النص :

1 — كانت المكتبات في كل زمان مؤشرا هاما الى مستوى معين من الثقافة والحضارة . وبالمقابل كان إحراق المكتبات مؤشرا آخر الى موجة من المهمجية والبربرية تدك معالم الحضارة وتنهي على أهم تراث حققه الإنسانية خلال فترة زمنية طويلة . هكذا كانت الحال مع مكتبات الإسكندرية وبغداد ودمشق في العصور القديمة ، وعندما أحرق الفاشيون الفرنسيون مكتبة جامعة الجزائر قبل الاستقلال بفترة قصيرة فانهم كانوا في الواقع يتبعون «رسالة» من سباقهم في الماضي من همج وتر و Mgoul من اشتهروا بدعائهم الأزلي لكل ما هو علم وثقافة ، وينقلون هذه العادة البشعة الى القرون الحديثة ، وما يزيد في بشاعة هذه الجريمة أنها جاءت في نفس العام (1962) الذي حصلت فيه الجزائر على استقلالها وكأن 130 عاما من السياسة الظلامية والتجهيلية لم تكف ، فعمدت فلول الاستعمار الفرنسي المتقدّر ، مثلثة بالمنظمة السرية الفرنسية ، الى احرق المكتبة الجامعية في أوائل جوان 1962 ، ان الوقوف أمام عمل كهذا يدفع بنا الى التفكير عميقا في طبيعة الاستعمار وأسس تصرفه وسلوكه .

(\*) مجلة : « الجزائر اخبار ووثائق » تصدر عن : المركز الجزائري للإعلام والثقافة - بيروت .

العدد : 55 — 1 يونيو 1974 •

2 – فالمكتبة أولاً: ليست هدفا عسكرياً أو استراتيجياً كما أن احرارها لا يمكن أن يرهب أحداً، لذلك فإن أقل ما يمكن أن توصف به هذه الجريمة هو أنها جريمة ضد الثقافة والحضارة ضد الإنسانية وهي تدرج ضمن سياسة «الأرض المحرقة» التي تعتمد على تخريب كل شيء قبل الاضطرار إلى الرحيل وذلك حتى تزداد صعوبات الاستقلال وتضطر الثورة إلى البدء من لا شيء.

ثانياً : إن اختيار المكتبة الجامعية كهدف للتخريب يكشف عن إرادة حاقدة في القضاء على كل ما هو ثقافة وطنية أو حتى ثقافة إنسانية . وكان الارهابيون قد أدركوا تماماً أنهم والثقافة على طرفي نقيض وأن اتصارهم لا يمكن أن يتم إلا على أنقض كل ما هو فكر ووعي وثقافة .

3 – ومهما يكن من أمر ، فقد كان الارهابيون الفرنسيون يدركون أن اتجاه التاريخ يسير رغمما عنهم ، وحصلت الجزائر على استقلالها في نفس العام ، وبعد أقل من ست سنوات كان الشعب الجزائري يحتفل باعادة افتتاح مكتبة الجامعة الجزائرية بعد أن تم توسيعها وإغاؤها وإعادتها أفضل مما كانت . وبين هذا الحديث وذاك ، تبرز معانٍ كثيرة أهمها : أن الثقافة الوطنية ، التي كانت الأرض التي نبت فيها الثورة ، استمرت في أداء دورها كمحرك للتاريخ والتقدم رغم كل محاولات القضاء عليها ، لا بل أخذت الثورة بدورها تَدعُّها وتقويها وتعتمدها على الجميع . وبعد إعادة افتتاح المكتبة الجامعية بعامين جاءت الخطوة الرباعية لتقرر إنشاء أكثر من ألف مكتبة بين كبيرة ومتوسطة وصغيرة في كل ناحية من أنحاء الجزائر . وكان هذا هو الرد الحقيقي على حادث إحراق المكتبة من طرف مجرمي «المنظمة السرية المسلحة».

#### 4 - المكتبات في الجزائر :

تحتل المكتبات دوراً مميزاً في ترسیخ أسس ديمقراطية الثقافة وتشجيعها ، فهي ليست متحفًا للكتب القيمة النادرة . ولنست وقفاً على نخبة محدودة من المثقفين أو الاختصاصيين بل هي نوافذ مفتوحة أمام جماهير الشعب لتطل منها على أجواء الثقافة الواسعة وتتشبع جوعها المزمن إلى القراءة والمطالعة . إنها توفر لمختلف فئات الشعب في الجزائر ، المناخ الملائم والأدوات الضرورية نحو ثقافة أوسع وأعمق .

إن التصور العام للمكتبات في الجزائر هو أن تلبي حاجات الاختصاصي والطالب والباحث كما تلبي حاجات الرجل العادي الذي يريد أن يتثقف ويكمel ويضيف إلى ثقافته المدرسية الأولى ثقافة أكثر شمولًا ، إنها الأداة الفعالة في أي عمل تثقيفي جماهيري وفي آية عملية لنشر وعي اشتراكي وثورى حقيقى . وبما أن للمكتبات في أي مكان من العالم عدة وظائف . كذلك فإن المكتبات الجزائرية لا تنسى عن هذه القاعدة سواء من حيث تنظيمها أو وظائفها أو غايتها .

#### 5 - المكتبة الوطنية :

إن أفضل تعريف بالمكتبة الوطنية الجزائرية هو القول بأنها المكتبة الأم . إنها ذاكرة وحافظة الشعب فممتها جمع وتصنيف وحفظ كل الاتصال المطبوع والمخطوط في البلاد لكي تستفيد منه الأجيال الراهنة والأجيال اللاحقة .

6 - والمكتبة الوطنية تعتبر بحق أهم وأحدث مكتبة في كل القارة الأفريقية . تبلغ مساحتها الكاملة 4800 متر مربع ، وتحتوي على ثلاث قاعات للمطالعة تسم لأكثر من 450 مقعداً بالإضافة إلى قاعة كبرى مخصصة للعلوم الإنسانية ، وقاعة أخرى مخصصة للعلوم والطب ، وقاعة ثلاثة للعمل

فـ الهواء الطلق . وأخيراً هناك قاعة واسعة جداً مخصصة للمجلات والصحف والدوريات .

وتحتوي هذه المكتبة على حوالي 600,000 كتاب موزعة على 17 كلم من الرفوف . وقد بنيت المكتبة وصممت لتسع لأكثر من مليوني كتاب في المستقبل وهي مزودة بأحدث التجهيزات ، من مصاعد وتدفئة مركبة ، وارسال بطاقات الكتب بواسطة الانابيب الضاغطة ولوحات الاشارات المضيئة ، وأجهزة اكتشاف العرائق ..

## 7 - ماذا نجد في المكتبة الوطنية ؟

هناك أولاً القسم العربي . وبالرغم من السياسة التمييزية التي خضعت لها إدارة المكتبة في ظل الاحتلال ، فقد استطاعت الادارة الجديدة أن ترفع عدد الكتب العربية الى حوالي 70,000 كتاب ، ومن المتضرر أن يزداد عدد هذه الكتب تدريجياً وبسرعة ، وخاصة بعد سياسة الانفتاح الثقافي على بلدان المغرب والشرق العربيين إثر الاستقلال . ففي الوقت الحالي يجد القارئ داخل المكتبة كل ما يصدر في البلدان العربية حديثاً ، وهناك مساعٍ للحصول على الكتب القديمة .

هناك ثانياً المخطوطات التي يبلغ عددها حوالي ثلاثة آلاف مخطوطه عربية وتركية من بينها مخطوطات قديمة جداً لا تقدر قيمتها بأي ثمن مما ارتفع وذلك نظراً لندرتها وأهميتها التاريخية والفكرية . وتعمل المكتبة الوطنية جاهدة الآن على تجميع أكبر عدد ممكن من المخطوطات أينما وجدتها في أنحاء البلاد (مكتبات خاصة وعامة) وذلك بهدف المحافظة عليها ووضعها تحت تصرف الباحثين والمؤرخين .

وهناك ثالثاً القسم المتعلق ببلدان المغرب العربي الكبير وهو يضم أكبر عدد ممكن من الكتب والوثائق والمجلات والصحف والدوريات المتعلقة بهذه البلدان الثلاث .

ان المكتبة الوطنية تتطلع بدور المحافظ على تراث الثقافة الإنسانية في العالم وهو ذو طابع موسوعي وتتغلب عليه الكتب الفرنسية ويضم وحده أكثر من 450000 كتاب . وما تجدر الاشارة اليه أن هذه المكتبة ستصبح في الأعوام القليلة القادمة أهم مصدر لدراسة تاريخ القارة الأفريقية ماضيا وحاضرا .

8 – وأخيرا فان المكتبة الوطنية تتطلع بدور المحافظ على التراث الوطني وترى على كل ما يصدر في البلاد من انتاج مطبوع (كتب ، مجلات أسطوانات ، تسجيلات ..) إذ دائما تفرض على كل ناشر أو كاتب أن يودع لديها 4 نسخ من كل كتاب أو أسطوانة ، يصدرها ، وتقديم المكتبة لروادها خدمات عديدة منها تصوير المستندات والوثائق وتصوير الكتب النادرة على أفلام صغيرة لتسهيل تداولها (ميكروفيلم) وعدم احتلالها حيزا مكانيا كبيرا بالإضافة الى إعادة الكتب وتنظيم المعارض وتزويد المكتبات الشعبية والعوالة بكل ما تحتاجه .

وتؤدي المكتبة الوطنية دورا هاما في تأسيس حركة مكتبية واسعة وذلك من خلال تخرج اختصاصين في إدارة وتسيير المكتبات على أحدث النظم العالمية .

## 9 – مكتبة الجامعة :

أما مكتبة الجامعة فهي بمثابة أداة للعمل والبحث والدراسة إذ تساعد الطلاب على استشارة المراجع الأساسية التي تبني دراستهم الجامعية في مجالات تخصصهم ، وتساهم مساهمة أكيدة في إغناء الأبحاث الشخصية

التي يقومون بها وتكميل جهود الأساتذة التي لا تكفي وحدها إلا إذا تم الرجوع إليها بالذات . وهي تميز باحتواها على عدد كبير من الكتب المتخصصة ، ذات الفائدة المباشرة في مساعدة الأساتذة والطلاب على حد سواء .

#### 10 - مكتبات المعاهد :

وفيما يتعلق بالمكتبات التابعة للمعاهد والمؤسسات أو بعض المدارس المتخصصة فإن دورها أكثر تحديدا وأقل شمولاً من مكتبة الجامعة ، إذ أنه يقتصر على تزويد الطالب أو الباحث أو المراجع بسرعة متزايدة بمعلومات وافية عن آخر منجزات العلم والتكنولوجيا في العالم ، وعن كل ما يصدر في هذا المجال من كتب ومجلات ودوريات .

#### 11 - المكتبات المدرسية :

أما المكتبات المدرسية التابعة للثانويات ومعاهد المعلمين والمدارس الابتدائية والتمكيلية فانها أقرب ما تكون إلى المكتبات العامة ذات الطابع الموسوعي منها إلى المكتبات المتخصصة . ومن المقرر أن يتم تدعيم هذه المكتبات في المستقبل حتى تتحل حيزاً أكبر وأعمق من اهتمامات التلاميذ .

#### 12 - مكتبات أخرى :

وهناك نوع آخر من المكتبات يلحق عادة بالوزارات والمصالح العامة ، غايتها تزويد الموظفين بالمراجع والوثائق والكتب الضرورية لحسن سير الأعمال في هذه الادارات .

بالإضافة إلى كل هذا ، توجد في الجزائر مكتبات تابعة للبلديات والمراكيز الثقافية ومقارّ فروع الحزب والنقبات والكتبات والمستشفيات والسجون ومراكيز الثقافة الشعبية وتمتاز هي الأخرى بالطابع الموسعي الشمولي . وتنعدى هذه المكتبات الصغيرة من المكتبة الوطنية الأم بواسطة «المكتبات الجوالة» التي تعجب كل أنحاء الجزائر مزودة كل المراكيز بحاجتها من الكتب .

وتقديم المكتبة الوطنية إلى كل هذه المكتبات معايدة تقنية قيمة وخاصة فيما يتعلق بتدريب المسؤولين عن المكتبات والقائين بتسييرها وتنظيمها وتصنيفها وإعداد لواح بسوجاداتها وهي أمور لا غنى لكل مكتبة تحترم نفسها من الالام بها وذلك لتسهيل تداول الكتب فيها والمحافظة عليها .

#### الخلاصة :

وهكذا فإن الجزائر – إخلاصا منها لرسالتها في ارساء دعائم ثقافة شعبية ديمقراطية – قد أنشأت شبكة واسعة من المكتبات من المتوقع أن تساهم مساهمة أكيدة في تطوير الثقافة الوطنية وإغنائها ودفع عجلة التقدم الفكري والحضاري إلى الأمام .

إن ما تم حتى الآن في مجال إنشاء المكتبات وتطويرها ، لم يكن سوى الرد المباشر على جريمة الاستعمار في محاولاته القضاء على الثقافة الوطنية . أما من الآن وصاعدا ، فقد بدأت مرحلة جديدة هي مرحلة بناء المؤسسات الوطنية الحديثة لارساء ثقافة شعبية ديمقراطية حقيقة .

«لم يبعث الله نبيا الا بلغة قومه»

[حديث]

النص :

1) ملابسات «التحول الثقافي» .

توجد في كثير من بلاد العالم اليوم طوائف من المثقفين أثّرت النّقد الذاتي من مرايا مشوهة تعكس لهم وجوههم في أبشع الصور وحسب الرسوم التي يرسمها لهم مستعمر وهم القدماء ، ويتبّع عن هذا التشويه أنّهم كرّهوا صورتهم أشد الكراهيّة وأرادوا استعارة وجه جديد . أعطني صورتك أقتنع بها ، أعطني دماغك أفكّر به ، أعطني يدك أعمل بها ، أعطني لسانك أتكلّم به . ولو سمعنا إنساناً ينطق بهذه العبارات لقلنا إنه يهذى (1)، إننا تعودنا في لساننا العربي أن نسي هذيان الطائفة الاجتماعية استلاباً (2) واغتراباً . إن المجتمع المسلوب الثقافة يشابه الشخص المسلوب العقل ، والاغتراب الأكبر هو أن تفترّج عن قومك فيجدونك تتكلّم معهم بلسان الآخرين ، والافراط في الجنون والاستلاب هو أن تقول لقومك اغتروباً جيّعاً حتى تصيروا مثلي لأنّي بخير .

(\*) عن مجلة الاتصال العدد 17 - 18 بعنوان «التعرّب من المجمّعين الاجتماعيّة والسياسيّة» .

عبد العميد مزيان : أستاذ علم الاجتماع بجامعة تلمسان .

(1) يهذى : يتكلّم كلاماً غير معقول لمرض ونحوه .

(2) استلاباً : اختلاساً لأنّه سلبت منها شخصيتها فصارت غريبة عنها

ومن الملasseة أن تُقذف بلغتنا بعيداً عن وجودنا كأنها الشيء المنفصل عن كياننا وَنَصُبَتْ عليها اللعنات فنسميها لغة القرون الوسطى ، ولغة الشعر والعاطفة وأخيراً لغة الرجعية والرجعيين (3).

إن لغة مجتمع ما تعكس حياة هذا المجتمع بكل إخلاص فإذا قلنا إن لغتنا لغة الشعر والعاطفة فمعنى هذا أن مجتمعنا مجتمع الشعر والعاطفة . وإذا قلنا وصح قولنا : إنها لغة القرون الوسطى فمعنى هذا أنت لا زلت نعيش حياة القرون الوسطى . وبما أن اللغة ليست إلا جزءاً من إنتاج المجتمعات ونشاطاتها فعلينا أن نلوم أنفسنا عن كل عجز يلاحظ في لغتنا ، ولا يمكن أن تتصور عزم أمة متخلقة على الإقلال عن التخلف دون أن تتصور عزمها على محاربة الأمية ودون أن تتصور عزمها على النهوض بلغتها بكل إسراع ، إلا أن تكون أمة تعيش أشد الاستabilities وَطَأَةً وهو الاستلاب الثقافي الذي ينبغي بالانفراط القريب .

وإنه لمن الملasseة أن تقول إن التمسك باللغة الوطنية أمر عاطفي أكثر مما هو عقلي ومنهج التغلب على مظاهر التخلف لا يتطلب إلا العقل البارد الصرف وأعترف أني لو سئلت لماذا أحب لغتي الوطنية لوقع مني التهافت على التمسك الأدلة العقلية ولكنها أدلة ستغطي الواقع العميق ، وهو أن حب الإنسان للغته أمر شعوري لولاه ولو لا شعورات أخرى مثل الاعتزاز بالوطن والتضحية من أجله ، لها كانت هناك أوطان أو أمم يفاخر بعضها البعض ، ولا يتجاهل هذه الحقيقة المتجاهلون لأحوال المجتمعات ولو سألنا

---

(3) الرجعي : هو من يتسبّث بالاصل ويرجع اليه .

الأنجليزي والفرنسي لماذا تصرف الأموال الضخمة في مختلف بقاع العالم من أجل التحصيل على إشعاع ثقافي للغة الأنجلو-أمريكية وللغة الفرنسية ، لقليل لنا : نحن أمة تحب لغاتها ونتمنى لها الانتشار في جميع الأنحاء ، ولو تناولنا بالبحث ظاهرة حرص الأمم على نشر لغاتها لوجدنا أن الناحية العاطفية لا تقل أهمية فيها عن النواحي المصلحية .

وإذا كانت العاطفة شبه جريمة في الميدان العلمي الصرف ، لأنها مفسدة للبحث النزيه فإنه من الجريمة في ميدان التمسك بالوطن ولغة أن لا تكون هناك عاطفة أو أن تلابس على انعدامها عند الأمم الضعيفة باللجوء إلى العقلانيات التي تبرر التحول الثقافي المهيأ للذوبان .

ونكاد نتساءل هل نحن اليوم أكثر وعيًا أم كان وعينا أقوى منذ عشرين سنة لقد كان الضغط الاستعماري يجري علينا مباشرة إذ ذاك ، وكنا نتباهى بسببي مخططات العدو ونحاول إحباطها في أنفسنا قبل كل شيء ، وكنا نشاهد التفكك العميقة التي يتعرض لها مجتمعنا وندرك بالبصر واللمس الذي لا يحتاج إلى التحليل ، أن أمتنا مهدّدة بالانقراض من كل جانب ، وكنا تمسك بيقايا من ثقافتنا كآخر وسيلة للنجاة ، أما الآن وقد زال الخطر المباشر فيظهر أن انتهاء الكثير منا قد عرف بعض الفتور . لقد أصبحنا تتكلم عن ثنائية الأصالة والفتح كشعار يفهمه كل منا حسب تكوينه الحالي ، مع جهد قليل فيما يخص التأصل .

ولا غرابة أننا نجد بعض المثقفين يضيقون بمفهوم الأصالة (4) لحصره في حدود الثقافات الشعبية أو لحصره في شبه تقليد لأسلافنا مع التكاسل عن الأصالة الحقيقة التي هي الخلق والإبداع الذي تتطلب النهضة الواجبة على أجيالنا الحاضرة .

---

(4) الأصالة : الرجوع إلى الأصل والتمسك به .

## الاشعاع الثقافي للمدن الإسلامية :

يفترض بعض المؤرخين أن التعرّب في المغرب الإسلامي ، كان من الممكن أن ينحصر في كُبريات المدن ، لو لا توالي هجرات السكان الناطقين باللسان العربي ويدو لنا أن مثل هذا الافتراض لا أساس له من الصحة ، لأن رغبة الجماعات المحلية في التعرّب كان مفروضاً بالتطلع إلى الحضارة واكتساب الثقافة الإسلامية . ومهما كانت أهمية الدور الاقتصادي والسياسي الذي كانت تلعبه الحواضر الإسلامية الكبرى ، فإن اشعاعها الثقافي كان يعتبر أهم شيء في نظر الأمة ، وإنه لمن السخافة أن نربط ظاهرة التعرّب بالعرق العربي ، كما كان يفعله المستعمرون بالأمس وأتباعهم من أبناء أمتنا اليوم . ذلك أن حملة الثقافة الإسلامية كانوا من مختلف الأعراق ولا يهمهم البحث عن أجناس البشر بقدر ما يهمهم الاتساع إلى

الأمة ، وليس من العجب أن تجد في مجتمعاتنا الحضرية جل المعيشين من السكان الأصليين . واتنا إذ تكلّم عن الاشعاع الثقافي للحواضر الإسلامية إنما نعني بذلك أن العلوم العربية والإسلامية لم تكون منحصرة وراء أسوار المدينة ، بل كان الطلبة المتخرجون من حلقات العلم بكلريات المدن ، يذهبون إلى قراهم ويقومون بنفس الدور الذي قام به شيوخهم ، وسرعان ما تصبح القرية عبارة عن مدينة مصغرة لها رسالتها في نشر العقيدة والشريعة واللغة العربية .

وإذا كانت هناك مدن (قطبية) تدور حولها حركات ضخمة من الأنشطة الحضارية والثقافية مثل القiroان وقرطبة وفاس ، فإن هناك عواصم جموية لا يمكن تناسي أدوارها في نشر العلوم الإسلامية وربما كان لها القسط الأوفر في حمل الثقافة العربية الإسلامية إلى أبعد الآفاق ، إن

بجایة وتلمسان وقسنطينة ، تعدد نماذج لهذه العواصم الجمومية التي كانت تسهر على تعريب السكان بتنوع الاتصالات وإرسال الطلبة الى مختلف التواحي ، وليس قضية الاشعاع الثقافي مربوطة حتميا بكبر المدينة أو صغرها ولا باستقرارها السياسي ، ذلك لأن المثقفين المنشقين من الجماعات الشعبية كانوا يلقون في بعض الأحيان مساندات من السلطان ، كما كانوا يلاقون أحيانا أخرى معاكسات ورسائلهم الثقافية هي هي لا تعرف أي فتور . وقد تجد النشاط العلمي زاخرا في المدينة الصغيرة بينما تجده محدودا في المدينة الكبيرة ، غير أن الظاهرة العامة بالنسبة للأشعاع الثقافي في المدن كانت تتلخص في شعور مثقفيها بضرر حصار منظم على الجهل أينما وجد ، وكانوا يستغلون كل اتصال لبث معارفهم العربية الاسلامية ومن العجب أفهم كانوا لا يفرقون بين السكان الناطقين باللسان العربي وغيرهم من السكان في القيام برسائلهم الثقافية ، ولا فرق عندهم بين هؤلاء وهؤلاء إذ يعتبرونهم سواء في الجهل بالشريعة وباللغة القرآن ، فالتعريب الحقيقي الذي هو تعريب ثقافي يحتاج الى مؤسسات علمية ثابتة مستقرة ، ولم تكن توفر شروط الاستقرار الضامن للأشعاع إلا في المدن التي تحضن فيها الجماعات المحلية هذه المؤسسات فليست قضية التعريب إذن قضية سكان ناطقين أو غير ناطقين باللهجات العربية ، وليس قضية تشجيع أو عدم تشجيع من طرف السلطان ، وليس قضية مدن كبيرة أو مدن صغيرة ، ولكنها قضية شعور شعبي وجماعة واعية ومنظمة تعمل على تحقيق هذا الشعور .

[ عبد المجيد مزيان ]

عن مجلة «الاصالة» المدد 17 – 18

النص :

حينما استقلت بلاد المغرب العربي وجدت نفسها تحت عبء ضخم تختلف من سيرة الاستعمار الفرنسي في هذه الأقطار ، سواء في الميدان السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو الثقافي .

وليس من مهمة هذا الحديث أن يتناول الارث الثقيل في مختلف الميادين ، فذلك موضوع بناء استقلالنا على أنقاض هذا الارث الضخم ، ولكننا نقتصر فقط على مشكلة أساسية تتصل بمقوماتنا الوطنية والقومية والفكرية ، وهي مشكلة اللغة . فقد جاء الاستعمار بعقلية جديدة غربية هي تغير معالم أقطار المغرب لتكون نموذجاً مسوحاً لمعالم البلد المستعمر أو الدولة الأم كما كانت تسمى .

كان ذلك هو منطلقهم في العمل الاقتصادي بأقطار المغرب ، ليكون هذا الاقتصاد مكملاً للاقتصاد الفرنسي دون اعتبار لما يجب أن تُدرِّره تنمية هذا الاقتصاد على الإنسان المغربي . ولذلك كان الاقتصاد لا يستهدف تنمية ما بين المغاربة من موارد اقتصادية لصالحهم وصالح الجالية الأجنبية التي (تنعيش) معهم ، ولكنه كان يستهدف سرقة مواد الاقتصاد من أرض فلاحية وموارد معدنية وثروة سكنية وصناعات مختلفة – إلا بعض الصناعات التقليدية التي لا تُدرِّر مالاً – وتتملك كل ذلك للأجانب حتى يصبح المواطن المغربي في الأقطار الثلاثة مرغماً على أن يطيع ، لأن سياسة التفريغ وسيلة للدراغم وسيط للطاعة .

(١) عن مجلة الامانة ع : 17 - 18 بعنوان «التعرّيف واقعة ومستقبله في المغرب العربي».

وكان ذلك أيضاً منطلقهم في العمل الفكري . والتعليم واللغة أول مراحل هذا العمل .

سياسة التعليم في الأقطار الثلاثة قامت على أساس الفرنسية . ولا نحتاج أن تتحدث عن قيمة التعليم ومستواه في العمق أو في الاتساع ولكننا فقط نشير إلى أن التعليم الذي (منح) لبعض المواطنين في المغرب العربي كان فرنسي اللغة ، بالإضافة إلى أنه فرنسي التوجيه والمحتوى ، والهدف منه – كما لا نحتاج أن نقول – ليس إخراج مثقفين أو أطراً كبرى للدولة ، فذلك من اختصاص الجالية الفرنسية التي كانت تتمتع بتعليم فرنسي منقول بمدرسته ، وأساتذته وبرامجه وتوجيهه إلى الجزائر أو تونس أو المغرب ، وإنما كان الهدف منه إخراج مساعدين للادارة الفرنسية يترجمون لمدير الادارة – ولتكن أبسط إدارة أو أصغرها – ما ي قوله هؤلاء الأهالي (ليزانديجين) (1) من كلام يعسر فهمه على المدير أو الحاكم ، أو ينقلون أوامر المدير والحاكم لهؤلاء (الانديجين) الذين لا يفهمون ما يقول المدير أو الحاكم .

من هنا كانت المدرسة – على علاتها – فرنسيّة اللغة والتوجيه والفكر . وبما أن الادارة كانت تحت السلطة الفرنسية، فقد كانت هي الأخرى فرنسيّة اللغة والتوجيه وبما أن المسيطرین على الحياة الاقتصادية والاجتماعية كانوا هم الفرنسيين الذين لم يتّأقلموا وبالتالي لم يتعلّموا لغة البلاد ولم يستعملوها ، لأن هدفهم نقل هذه البلاد إلى بلادهم لا نقل الإنسان الفرنسي إلى بلاد المغرب العربي ، فقد كانت الحياة العامة هي الأخرى فرنسيّة اللغة في المعمل والمتجر والحقول والشارع .

---

(1) ليزانديجين : كلمة كان يطلقها المعمرون على السكان الوطنيين

وهكذا وجدنا بلادنا بعد الاستقلال مفرنسة في كل قطاعات الحياة المترفة ، اللغة والفكر والادارة والحياة العامة .

حقيقة أن معظم أبناء الشعب كانوا يتكلمون العربية أو البربرية في المنزل والشارع وأحياناً عربية أو ببرية ممزوجة بكلمات فرنسية – تكثر نسبتها سنة بعد سنة – وهذه اللغة المتحدث بها احتفظت لنا بمظهرنا اللغوي نسبياً . ان الاسلام والقرآن احتفظ لنا بكياننا العربي وبأصالتنا اللغوية ، ولكن القرآن ظل منزولاً في المساجد وعند القلة الذين يتلونه تبركاً أو تفهمها . ولغة المنزل والشارع ليست اللغة الحية المتطورة التي تساير الحضارة الفكرية والعملية الانسانية . ولذلك ظلت ضعيفة معزولة لا تكاد تعبر إلا عن أبسط العمليات الذهنية والرغبات البدائية .

ومعنى هذا أن لغة الحياة والفكر والادارة – وهي لغة الحركة العملية للإنسان المتطور – أصبحت هي الفرنسية . وقد حاولت هذه اللغة أن تقضي حتى على ما تبقى من لغة الحديث البسيطة أو لغة القرآن المنزوية ، أو لغة التعليم الاسلامي وخاصة في القرى والبلدة والمدارس الاسلامية بالجزائر ، ولكنها من حسن الحظ لم تستطع أن تنفذ إلى أهدافها . والفضل في ذلك يرجع إلى الاسلام والقرآن أولاً ، ثم إلى التمسك القوي بقوميتنا . فقد ظل المستعمرون أجانب رغم قرن وثلث قرن من الاستعمار في الجزائر ، وثلاثة أرباع القرن في تونس وأربعين سنة في المغرب . ثم يرجع الفضل أيضاً إلى الروح الاستعمارية التي كانت تدفع بالمستعمرين إلى نوع من التعالي على المواطنين في الأقطار المغاربية . وهذه سياسة دفعت بالمواطنين إلى التشبت بالعزلة عن الفرنسيين . ولذلك فقد كان استعمار فرنسا استيطانياً ، ولكنه لم يكن استعماراً اندماجياً . وهذا من مصلحة احتفاظ شعوب المغرب العربي بشعوباتها الذاتية ، ومنها اللغة العربية في مظهرها البسيط كلغة حديث ، وفي مظهرها العميق المنزوي كلغة القرآن والاسلام .

المشكلة التي وجدناها إذن بعد الاستقلال تشخيص في النقط الآتية :

- اللغة الفرنسية هي لغة التعليم .
- هي لغة الادارة والحياة العامة .
- اللغة العربية - على ضعفها وانزوالها واحتلاطها - لغة الحديث تشاركتها في ذلك البربرية .

هذه الشخصيات أعطت بلاد المغرب العربي الصورة الآتية :

بلاد مستقلة سياسيا تستعمل في تعليمها وإدارتها لغة أجنبية وتبع الفكر الأجنبي وترتبط من أجل ذلك بالاقتصاد الأجنبي ، وتکاد تقصر ارتباطاتها الثقافية والاقتصادية على بلاد أجنبية بعينها بوجي اللغة المشتركة أو بأوامر منها وهو التعبير الصحيح .

وهذا ما دفع بالكثيرين أن يصنفونا في البلاد (الفرنكوفونية) (2) ودفع بالبعض منا إلى المشاركة باستئناف جمعيات الجامعات والمؤسسات التي تكونها البلاد المتحدثة بالفرنسية (كلا أو بعضا) وكاد هذا التصنيف يجعلنا من البلاد التي ليست لها لغة قومية . وأصبح من حق الذين لا يعرفون تاريخنا وحقيقة شعبنا أن يحسبونا من البلاد الأفريقية التي لا يمكنها حضاريا وثقافيا إلا أن تلجم إلى لغة حديثة معروفة بأنها لغة علم وحضارة هي الفرنسية لتكون لغتنا .

هذا المظهر من مظاهر الأخطار الناتجة عن الوضعية اللغوية التي ورثناها عن الاستعمار وهو مظهر خطير لأنه يسلبنا من أحد مقومات كياننا القومي وهو اللغة وبقي الأخطار تصورها فيما يلي :

---

(2) **البلاد الفرنكوفونية** : الشعوب الناطقة باللغة الفرنسية دون لغتها الوطنية .

1 — استمرار الشعور بالنقص أو التشكيك في القومية المغربية واللغة إحدى مقوماتها .

2 — الارتباط المستمر باللغة التي نستطيع التفكير بها ، ومتى ارتبطت باللغة التي تفكير بها ارتبطت بالفكر والاقتصاد والمجتمع الذي ينبع من هذه اللغة . وإن فسنظل مستعمرين ولو كنا مستقلين .

3 — استعمال هذه اللغة كلغة تلقين في التعليم يفرض عدة صعوبات تعرقل تطور التعليم وتعرقل نمو تعليم الطفل وفي مقدمتها :

أ — تعليم الطفل لغتين في وقت واحد يحد من قوة إدراكه ويجعله يعاني مشكلة ازدواج الادراك والفهم . وخطر ذلك تربويا واضح جدا وخاصة بتعليم لغتين تختلف قواعد ومنطق إحداها عن الأخرى ، وبذلك يخرج الطفل ضعيفا في اللغتين معا .

ب — استعمال الفرنسية كلغة تلقين للمواد العلمية والرياضية والاجتماعية كما كان الأمر منذ الاستقلال في أقطارنا الثلاثة (وقد بدأ الوضع يتغير الآن بتعريب التاريخ والجغرافيا في المغرب والجزائر) يدفع بالطفل الى الاحساس بأن هذه اللغة أحسن من لغته وأجدر منها بالاستعمال في العلم ، وإلا لئلا اختيرت تكون لغة تلقين . ومن هنا يبدأ الشعور بالنقص — إن لم نقل بالاحتقار — إزاء اللغة الوطنية .

ج — الازدواجية تفرض ميزانية مضاعفة — تقريبا للتعليم — فوزارة التربية مضطرة أن تتفق على تعليم اللغة الأجنبية منذ المرحلة الأولى للابتدائي . ثم هي مضطرة الى توظيف مدرسين وأساتذة أجانب لا لتعليم اللغة الفرنسية فحسب ولكن لتعليم العلوم الملقنة بالفرنسية وبقطع النظر عن أن

فرنسا لم يعد في استطاعتها أن تلبي حاجتنا إلى هؤلاء الأساتذة ، وبقطع النظر عن المستوى المنحدر الذي أصبح عليه الأساتذة الذين يرسلون إلى هذه الأقطار في نطاق المساعدة التقنية فمعظمهم من الجنود الذين ليس لهم مستوى ييداغوجي تربوي ، وإنما يرسلون إلينا ليؤدوا واجب الخدمة العسكرية في عمل مدني هو تعليم أبناء أفريقيا والمغرب العربي .

بالإضافة إلى ذلك فهم يحصلون على مراتب عالية تماثل على الأقل ثلاثة أضعاف مرتب الأستاذ المواطن . ونظراً لهذه المراتب التي لا تتحملها ميزانية التعليم في بلاد نامية كالمغرب أو الجزائر أو تونس فإن تكاليف التعليم تصبح مضاعفة مما يعود بالضرر على تعليم التعليم ورفع مستوى .

وفي هذا الإطار يمكن أن نقل شهادة من بعثة البنك الدولي التي زارت المغرب في سنة 1966 لدراسة مشاكله الاقتصادية وقد جاء في تقرير هذه البعثة (وهو رأي صادر عن تفكير اقتصادي وليس عن تفكير قومي أو وطني حتى يُتّهم بالتطرف) : «تعتبر بعثة البنك الدولي أن المغرب لا يسكنه أذ يستعمل في تعليمه لغتين لما في ذلك من إسراف». ولهذا فإن البعثة توصي بأن يختار المغرب اللغة العربية ويقوم في المدة التي تنتهي في سنة 1970 بالمهام الآتية :

1 - اتخاذ التدابير الضرورية لجعل اللغة العربية صالحة لتلبية حاجيات العصر .

2 - جعل اللغة العربية لغة الادارة .

3 - جعل اللغة العربية لغة التعليم .

أما فيما يخص التعريب فيجب حالاً تعريب التعليم الابتدائي جميعه . ويجب تعريب التعليم الثانوي ابتداء من السنة الدراسية 1970 - 1971 ويجب كذلك تلقين لغة ثانية (الفرنسية أو الإسبانية أو الأنجلizية) ابتداء من السنة الأولى من الثانوي .

كل ذلك يؤكد أنبقاء اللغة الأجنبية كلغة تلقين يعتبر مساساً بقوميتنا من جهة وإعطاء الفرصة لهذه اللغة كي تبقى متغلبة على لغتنا القومية من جهة أخرى ، وإسرافاً في ميزانية التعليم على حساب التعميم ورفع المستوى من جهة ثالثة .

د - من المعروف أن جزءاً مهماً من المواطنين في المغرب والجزائر يتحدثون البربرية أو لهجة من لهجاتها المتعددة في البيت وربما في الشارع أيضاً فإذا كانت لغة الحديث عنده هي البربرية - وهو لا يتعلّمها في المدرسة كلّغة علم وثقافة - ولغة العلم والكتابة والإدارة هي الفرنسية ، فقد تحقّق ما كان يقصده الاستعمار الفرنسي من السياسة البربرية التي حاول أن يطبقها في الجزائر والمغرب ، وانفصلت عناصر الشعب فكريًا ولغوياً بعضها عن بعض . وأصبحت اللغة المشتركة للتفاهم هي الفرنسية التي هي لغة أجنبية عن بلادنا تماماً، كما هي لغة تفاهم بين الشعوب المختلفة في المؤتمرات والمنظمات الدولية .

ولعله من الواضح أن مستوى التعليم انخفض نسبياً (هذه تجربة المغرب وربما كانت تجربة كل من الجزائر وتونس أيضاً) . والذين يلاحظون انخفاض مستوى التعليم يخشون أن تزداد نسبة الانخفاض إذا ما عُربَ . وأسباب انخفاض مستوى التعليم ترجع إلى أنه لم يعد للنخبة بل أصبح معهما في المدن الكبرى على الأقل ، ولم تسمح الظروف بتكوين الأساتذة تربوياً (يداغوجياً) تكويناً قوياً . والأساتذة والمعلمون من فرنسا مثلأً أصبحوا في مستوى أقل مما كانوا عليه أيام العصابة والاستعمار .

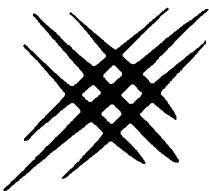
إذن فالتعريب لن يكون سبباً في انخفاض المستوى اذا نفذ بشروطه : أي تكوين الأطر علمياً وتربيوياً باللغة العربية ، مع رفع الأسباب التي أدت الى انخفاض مستوى التعليم ولا صلة لها مطلقاً بالتعريب .

معنى هذا أن معركة التعريب مربوحة من الوجهة النظرية . وكل الاعتراضات التي يثيرها خصوم التعريب بحق أو بباطل ، وبحسن نية أو بسوءها ، إنما هي اعتراضات شكلية وصعوبات عادبة يمكن التغلب عليها عند المسارسة . وإذا كان جميعاً متفقين على أن التعريب هدف فيجب البدء بالوسيلة للوصول الى الهدف ، مع العلم بأن لكل تجربة مشاكلها وصعوباتها ، ومع العلم أيضاً بأن صعوبات التعريب أقل مما تتصوره . والمشاكل التي يثيرها خصوم اللغة العربية فلتلقى صداحتها في النفوس وهمية ستبدد بمجرد الاقتناع بكل مقومات قوميتنا ، وستنتهي عندما تبدأ في التنفيذ .

والذي أعتقده أن اشتراك المغرب العربي في المشكلة كان يجب أن يبعث على حلها في نطاق المغرب العربي بمؤتمر يعقده رجال التربية والتعليم تحضره زمرة من المثقفين يستهدف البحث في صلاحية اللغة العربية لتكوين لغة تلقين وإدارة . ثم وضع الأسس والأساليب لتنفيذ المبدأ متى ما أقره المؤتمر حتى تسير كل أقطار المغرب العربي على منهج واحد يستفيد بعضها من تجارب الآخر وفق تخطيط محكم موقوت . ونحن لا ندعوا الى مؤتمر من هذه المؤتمرات النظرية التي تنتهي بتوصيات تُنشر في الصحف وينساهما بعد ذلك حتى الذين وضعوها ، لكننا ندعو الى مؤتمر عَلَيْهِ يبحث وسائل تنفيذ التعريب في الادارة والتعليم . ونعتقد أن مؤتمراً من هذا المستوى يمكن أن يكون فيه نوع من الالتزام يساعد شعبنا على الخروج من المأساة الفكرية والعملية والنفسية التي نعانيها : مأساة شعوب تعلم وتعامل بغير لغتها .

## أسئلة حول المعهد :

- 1) ما مفهوم الأصالة في الثورة الثقافية ، والعلاقة بينها وبين الوظائف الأساسية الوارد ذكرها في نص الميثاق ، والمشاكل التي تناولها الدكتور سعد الله في مقاله ؟
- 2) بين موضوعي : «اللغة والشخصية» وـ «محاولة يائسة» تلامح وترتبط في كثير من النقاط ، فما هي أبرز هذه النقاط ؟ وما علاقة ذلك بمفهوم الأصالة والثورة الثقافية ، ودور المكتبات وتعديتها على الشعب في هذا المجال ؟



## «هـ» الشفل والاقتصاد

إن التنمية الشاملة للقوى البشرية والموارد الطبيعية ، تعد معياراً حقيقياً للتقدم الأمم ، وقدرتها على الانتاج والابتكار . والدول العربية بوسها أن تنتهج أسلوب التكامل الاقتصادي ، وان تعنى بوضع خطة ائمائية مشتركة ، تمكنها من الوصول إلى الاكتفاء الذاتي ، والخروج من مرحلة التخلف التي تعاني منها الان . والاسلام قد وضع نظاماً متوازناً في الاقتصاد ، يبحث على العمل لتحقيق هذا الغرض ، بالاساليب العلمية الحديثة ، وتعتبر التكتولوجيا المتطورة من المقومات الاساسية لضاغفة طاقات الانسان ، ورفع مستوى كفائه ، وزيادة قدرته على الانتاج في مختلف المجالات . وذلك مما يحقق للوطن العربي مطالبه وكفايته ، ويعزز دعائم أمنه وحربيته ، ويدفعه إلى مزيد من التقدم والازدهار

## اسلوب ... في الاقتصاد<sup>(١)</sup>

تمهيد :

من واجبك أن تعلم ، أن نظام الاسلام الاقتصادي ، لم يترك مصالح الامة رهنا بالنيات الطيبة ، ولعلك قد عرفت ابان دراستك السابقة ، انه وضع - في هذا الشأن - تشریعات متكاملة ، توزع بين تهذيب الروح ، وتنظيم المجتمع ، وترمي الى كفالة المطالب الاساسية لحياة الانسان ، وتحقيق التوازن بين مصلحة الفرد ، ومصلحة الجماعة ، فالي اي حد يستطيع هذا النظام ، ان يعالج مشكلاتنا الاجتماعية المعاصرة ؟ ذلك ما يتناول بعضه النعم الآتي :

النص :

أصبحت كلمة (الاقتصاد) تطلق في العرف العام على الناحية المالية من الحياة ؛ وهذه الناحية لها خطورتها في حياة الناس ، حتى صار كثير منهم يقولون : إن أهم شيء في نظر الانسان بعد دمه هو ماله ، ولا عجب فالمال عصب الحياة ، وأغلب مشكلات هذه الحياة يتصل بسبب ظاهر أو مستور بالناحية المالية ، لأن رزق الانسان يتبدل بأكثر عنایته والتفاته ، وأكاد أفهم من الحديث النسوب الى الرسول صلى الله عليه وسلم : (جَمِيلٌ رِّزْقٌ تَحْتَ ظِلَالِ رُمْحِي) انه لا يريد انه يأخذ رزقه من طريق الحرب ؛ بل يريد انه يصون رزقه المُسُوق اليه من ربه بِهِيَةِ سلاحه ، وفي هذا ما فيه من تنويه بشأن الرزق وحاجته الى الحماية . وفي الحديث الآخر يعطي الاسلام المال حرمة هو بها جدير ، فيقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ»: «دَمَهُ وَمَالُهُ وَعِزْرُهُ»<sup>(٢)</sup>.

والملاحظ أن كثيرا من المسلمين مازالوا مختلفين ماديا واقتصاديا ، ومن عجب أن فريقا منهم اذا قيل لهم : أَلَا تَرَوْنَ الْفَرِيقَيْنَ كَيْفَ سَبَقُوا وَامْتَلَكُوا ؟

(١) - الدكتور أحمد الشريachi عالم مصرى معاصر . وهو استاذ الادب العربى في جامعة الازهر .

(٢) - رواد مسلم .

أجابوا بقولهم : لهم الدنيا ولنا الآخرة . بينما المسلم الصحيح يلزمهم أن يجيب على مثل هذا بقوله : لنا الدنيا ولنا الآخرة معها أيضاً . ( وإنَّا لِلآخرةَ وَالْأُولَى ) .<sup>(١)</sup>

ومازال الأفراد في كثير من بلاد الإسلام مهدوري (١) الحقوق المادية ، مُضيئي الكرامة البشرية ، مع أن الله خلق عباده إخواناً ، وما زال في بلاد الإسلام إقطاع واحتكار وكنز ، وفُحش في الثروة الفُثنيَّة (٢) مع فحش في الفقر المدقع وما زالت هناك ثروات ضخمة تكونت أو تتكون من السُّحت (٣) والسرقة والغصب والاحتياط والاستغلال ، مع أن الإسلام لا يرضي إلا بثروة نابعة من ينابيع مشروعةٍ ظاهرة .

ويبين الرأسمالية الطاغية والشيوعية المطلقة ينهض نظام الإسلام الاقتصادي ، ويتحذّر طريقاً وسطاً فيه خير الجانبين ، وليس فيه شرورهما فهو يسح الملكية ويحترمها ، ولكنه يحارب الربا (٤) والاستغلال ، وهو يدعو إلى التجارة ، ولكنه يعارض الاحتكار (٥) ، ويتيح مجالات التنافس والربح والكسب ، ولكنه لا يرضي بالسُّحت ولا بالمال الحرام ، ولا يمانع التمتع بالطبيات وخيرات الرزق ، ولكنه يحارب الترف والجشع (٦) ، ويدعوا إلى الزكاة المفروضة والتكافل الواجب ، ولكنه يحارب البطالة والكسل والاستجداء (٧) حين القدرة على العمل ، وهو لا يمنع أن يكون بعض الناس أجراً عند بعض ، ولكنه يحرم بخس العامل حقه أو مساطلته فيه ،

(١) - سورة الليل الآية : ١٣ .

(٢) مهدوري الحقوق : حقوقهم مهضومة .

(٣) الثروة الفُثنيَّة : الثروة التي اتصف صاحبها بالشح .

(٤) السُّحت : المال الحرام . أو ما خبث وقبيح من المكاسب .

(٥) الاحتكار : قرض المال بالفائدة وهو حرام شرعاً .

(٦) الجشع : الطمع الشديد .

(٧) الاستجداء : الاستعطاء . طلب الناس .

أو إرهاقه وامتصاص دمه ، ثم تركه بعد ذلك حطاما ، وهو أخيرا يضمن لكل عاجز معلم مطالب حياته في مال الأغنياء أو في بيت المال .

وقد آذ الأوان لكي ينفذ المسلمون نظام الزكاة الإسلامي ، لأنها حق الله الذي نص عليه القرآن والحديث والاجماع ، والواجب عليهم أن يجمعوا هذه الزكاة كما أمر الله ، وأن يوزعوها على مستحقها ، ليتمكنوا الفقير المحتاج من حقه ، دون إجهاضه في المطالبة بهذا الحق ، ودون دفعها إلى من يقدر على العمل ، أو يستغنى عنها . ويوم يعمل كل قادر على العمل ، ويُخرج كل مسلم ما يجب عليه من زكاة ، وتوزع هذه الزكاة بأمانة وقسطان (8) سبعة هذه الزكاة كافية كل الكفاية للقضاء على عجز العاجزين وفقر المفتررين ، بل سيأتي يوم يفيض فيه الكثير من هذه الزكاة ، فتنتفخ الأمة على ألوان من ترقية الحياة الإسلامية ، كما حدث قريب من هذا على عهد خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز .

قال يحيى بن سعيد : (بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقيا فاقتضيتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيرا ، ولم نجد من يأخذها ، قد أغنى عمر الناس ، فاشترت رقبا فأعتقتهم ، وولاؤهم للMuslimين).

وقال رجل من ولد زيد بن الخطاب : (إنما ولني عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفا ، فذلك ثلاثة شهرا ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم ، فيقول : أجعلوا هذا حيث ترئون في القراء ، فما يرجع حتى يرجع بماله ، يتذكر من يضعه فيهم مما يجد ، فيرجع بماله ، قد أغنى الله على يد عمر بن عبد العزيز الناس).

ولابد أن تؤخذ هذه الزكاة من جميع مواردها التي شرعت فيها ، من المال والزروع والتجارة والحيوان وغيره ، ولا تعطى إلا لمستحقها شرعا ، حتى لا تكون الزكاة وسيلة لانتشار البطالة والاتكال ، لأن من واجب الأمة

8) القسطاس : المدل .

الاسلامية أن يحسن أبناؤها الجمع بين (الاكتساب والاحتساب) بأن يكون الشخص منتجاً كاسباً رابحاً من عمله وسعيه ، لا يكتُل ولا يقْنَط (9) مادام قادراً . بل يواصل العمل والدأب فيه ، ويكون مع هذا محتسباً ، أي متبرعاً متظروعاً ببعض ماله ولو تحلى الأفراد بهاتين الصفتين : الاكتساب والاحتساب ، لارتقي المسلمين درجات فوق درجات ، ولبلغوا الحالة التي كانت على عهد العاشر العادل عمر بن عبد العزيز حين كانوا يفتشون عن يأخذ الزكاة فلا يجدونه .

ونفهم من هذا أنه يجب على المسلمين أن يحاربوا الفقر باسم الدين ، ورحم الله أبا ذر حـين يقول : « اذا ذهب الفقر الى بلد قال له الكفر : خذني معك . . . » وأن يحاربوا الكسل والضعف والتخلّف في ميادين الحياة المادية باسم الدين ، وأن يحاربوا الشح والكنز (10) وممْن الزكاة باسم الدين وأن يحاربوا الاتكال على الزكاة أو الصدقة مادامت هناك قدرة على العمل باسم الدين ، وأن يخسنو الموارمة (11) بين الروح والمادة باسم الدين ، فيعلموا أبناءهم أن صاحب المادة السوي (12) لا يعجز عن أن يكون صاحب روح قوى ، بل إن الضعف المادي قد يؤدي إلى ضعف الروح ، وهناك كثير من الباحثين والمصلحين يقررون أن أكثر الرذائل منشأها من خلل النظام الاقتصادي . فالسرقة يسببها فقر أو جشع ، وجرائم الغش والاختلاس والعرض رذائل اقتصادية في كثير من الأحيان ، بمعنى أن الفقر وال الحاجة هما اللذان يدفعان غالباً إلى اقتراف تلك الجرائم ، فلو أزلنا الفقر وال الحاجة وأزلنا معهما الترف والشح لقضينا على كثير من أسباب هذه الجرائم التي تهدد المجتمع ، وتقت في عضد الأمة .

وللكواكب عبارة بلية عن المال يقول فيها : (وللمال الكثير آفات على الحياة الشريفة ترعد منها فرائص أهل الفضيلة والكمال الذين يفضلون

(9) يقْنَط : ييأس 11) الموارمة : الموافقة .

10) الكنز : المال المجموع المدخر . 12) السوي : المستقيم .

الكافف من الرزقـ مع حفظ الحرية والشرف على امتلاك دواعي الترف والسرف ، وينظرون الى المال الزائد عن الحاجة الكمالية أنه بلاء في بلاء ، أي أنه بلاء من حيث التعب في تحصيله ، وبلاء من حيث القلق على حفظه ، وبلاء من حيث الافتخار بانائه ، وأما المكتفي فيعيش مطمئنا مستريحا آمنا بعض الأمان على دينه وشرفه وأخلاقه .

ويستتبع هذا أن تعرص الأمة على تهيئة وسائل العمل ، وتحقيق تكافؤ الفرص ، بأن يُسْكِنَ ولاة الأمر كل فرد من أسباب العمل والكسب ، وأن يُقْسِحُوا طرق التنافس أمام المجموع بميئات متساوية ، ثم يترك مجال السبق بعد هذا للمجاهد الدؤوب ، ومن عجز عجزا لا حيلة له فيه ضمنت الدولة كسبه وقوته . . .

ويجب تكريم العاملين وإعطاؤهم على قدر جهودهم وعائهم ، مع دفع المتبطلين الأغنياء الى العمل ، لأن البطالة عيب ولو لم يكن الإنسان محتاجا ، والرسول يقول : (أَثْرَارٌ أُمَّىٰ الَّذِينَ وُلِدُوا فِي النَّعْيِمِ وَغُدُوا بِهِ، يَا كُلُونَ مِنَ الطَّعَامِ أَلَوْا نَا، وَيَشَدَّدُونَ فِي الْكَلَامِ) . . .

ويجب تقويم أولئك الكسالي الذين يحتالون على الناس طالبين منهم المعونة ، وأن تلجمهم الى العمل ماداموا قادرين عليه صالحين له ، فالله صلى الله عليه وسلم وبارك فيهم أَوَّلُ مَنْ عَلِمُوا ، والصوفية والأصحاب أتبقي من جاهدوا ، والأولياء هم الذين يتقون ويجهدون ، لا الذين يتظاهرون ويحتالون .

ومن الواجب على المسلمين كذلك وَضْعُ الحوائل الكافية التي تمنع الحاكم فيهم من استغلال الحكم للإثراء أو الغنى ، فحسب الحاكم راتبه بلا

إسراف أو إفراط ، وليس الحكم مَعْنَىً ، بل هو تكليف وَتِبْعَةٌ ، ولقد كان خلفاء الأمة الراشدون يتَّوَلُون شَؤُونَهَا ، ويأخذون ما يأخذه غيرهم مما يكفيهم من بيت المال ، فان استغفروا واكتفوا عَقْتَ أيديهم عن مال الأمة ، والأمثلة على ذلك كثيرة في كتب السيرة والتاريخ .

[ احمد الشرباصي ]

من كتابه : «وسائل تقدم المسلمين»

## مع النص

- 1) ما أهمية الاقتصاد في الحياة ؟ وبأي الوسائل نحافظ عليه ؟
- 2) ما السبب في تخلف المسلمين مادياً واقتصادياً ؟
- 3) ما خصائص نظام الاسلام الاقتصادي في نظر الكاتب ؟
- 4) ما الآثار الاجتماعية التي يتحققها تنفيذ نظام الزكاة ؟
- 5) اشار الكاتب الى معنى (الاكتساب ، والاحتساب) ، ووضح ذلك .
- 6) ما الجرائم الاجتماعية التي تنشأ من خلل النظام الاقتصادي ؟
- 7) ما الوسائل الكفيلة ، بمعالجة البطالة ، والقضاء على الآفات الاجتماعية ؟
- 8) ما معنى قول الكاتب : (ليس الحكم مَعْنَىً ، بل هو تكليف وَتِبْعَةٌ) ؟
- 9) لخص النص مبرزاً عناصره الأساسية .

## تقدير النص

### ١ - الأفكار :

- 1) ما رأيك في أفكار النص ؟ وماذا تراه محققاً منها في المجتمع ؟
- 2) يرى الكواكبى ، أن المال الكبير الزائد عن الحاجة بلاء على صاحبه . فلماذا ؟ ووضح رأيك على ضوء قراءتك للنص .

- (3) تناول النص معالجة النظام الاقتصادي في منظور الاسلام . فما رأيك في هذه المعالجة ؟ ولماذا ؟
- (4) اشار الكاتب الى ان نظام الاسلام في الاقتصاد ، يختلف عن النظم الاقتصادية الاخرى فالى اي حد كانت صحة هذه القضية ؟
- (5) علام يدل حرص الامة على تهيئة وسائل العمل ، وتحقيق تكافؤ الفرص للمواطنين ؟
- (6) اتفاق الكاتب في قوله : «مازال الأفراد في كثير من بلاد الاسلام مهذوري الحقوق المادية ، مضيئي الكرامة البشرية» ؟ ووضح وجهة نظرك .

## **ب - الاسلوب :**

- (1) يشف اسلوب الكاتب عن ثقافته . فما نوع هذه الثقافة ؟ وماذا يدل على ذلك ؟
- (2) ضمن الكاتب اسلوبه اشارة الى بعض الاحداث التاريخية . فما هي ؟ ولماذا ؟
- (3) في اي لون من الوان النثر الفني يندرج هذا النص ؟ ولماذا ؟
- (4) استخرج من النص اسلوبا انسانيا ، وبين نوعه ، والفرض منه ؛ واثره في المعنى .
- (5) ما رأيك في اسلوب النص ؟ ولماذا لم يعتمد على استخدام الصور البيانية ؟

## **استثمار النص**

- ١ - سجل في كراسك الخاص :**
- جعل رذقي تحت طلليل زنجي .
  - ليس الحكم مقنعا ، بل هو تكليف وتبعة .
  - إن صاحب المادة القوى ، لا يعجز عن أن يكون صاحب روح قوى .
  - كثير من الباحثين والمصلحين ، يقررون أن أكثر الرذائل منشؤها من خلل النظام الاقتصادي .

## **ب - لاحظ :**

- لاحظ الكلمة (**ترؤنَ**) في العبارات الآتية ، وبين تعدد معناها ، مستعينا بالقاموس .
- الا ترون الغربيين كيف سبقوا وامتلكوا ؟
- اترون في حضارتهم ما يراه الفايل في منامه ؟
- الا ترون في العلوم الحضارية رأيا يبحث خطاكم ويعزز ثقافتكم ؟
- اترون بين السطور معان ، ام ترونها احرفا ورموزا ؟

## **ج - طبق :**

### **1 - بين ما يلي :**

- تؤخذ من مادة (**رأى**) كلمات كثيرة ، منها ما يعبر عن المعرفة ، ومنها ما يدل على ما صنعه الانسان ، او ما يراه بعينيه في اليقظة ، او في المنام .
- استعن بالقاموس ، للتعرف على الكلمات المعبرة عن هذه المعاني ، واستخدم كلما منها في عبارة فنية .

### **2 - انسج على منوال ما ياتي :**

من واجب الامة الاسلامية ، ان يُحسّن أبناؤها الجمع بين الاكتساب ، والاحتساب ، بأن يكون الشخص منتجا كاسبا ؛ رابحا من عمله وسعيبه .. ويكون مع هذا محتسبا ، أي متبرعا متطوعا ببعض ماله ..

## **3 - حرد :**

- العدالة الاجتماعية ، هدف تسعى اليه نظم اقتصادية مختلفة ، وترفع شعاره نظريات متصارعة .

ناقش هذه الفكرة ، على ضوء معارفك السابقة ، مستعينا بعنوان **الاسلام في تحقيق هذه العدالة .**

## مشكل الغذاء في الوطن العربي

النص :

ما لم تبذل جهود مركزة خلال السنوات العشر القادمة ، فلن يكون بقدرة الوطن العربي الذي يبلغ تعداد سكانه الآن 142 مليون نسمة توفير الأغذية التي يحتاجها . فالسلع التموينية التي تستورد الأقطار العربية معظمها الآن يمكن أن تلهم الدخل الوطني كله بما في ذلك إيرادات النفط .

وقد صدرت تحذيرات كثيرة في هذا الصدد من عدة أقطار عربية ومن الجامعة العربية نفسها تنبه إلى ضرورة تحويل جانب من دخل النفط إلى الاستثمار الزراعي والعمل على وضع خطة زراعية صناعية متكاملة تستهدف تغطية احتياجات الوطن العربي كله من الغذاء وتصدير الفائض منه . وإلا فإن المستقبل سيكون قاتماً ومحفوظاً بالمخاطر والأزمات .

ويرى خبراء الزراعة العرب قضية الغذاء في الوطن العربي مرتبطة ارتباطاً تاماً باستراتيجية التنمية الزراعية التي بدورها تقوم على الاستغلال المناسب للموارد الطبيعية .

كما ذكروا أن مساحة الوطن العربي التي تبلغ 3500 مليون فدان (1) لا يصلح منها سوى 1000 مليون فدان قابلة للزراعة بما فيها المساحة المخصصة للمحاصيل والمرعى والغابات وهناك 350 مليون فدان ملائمة لاتاج المحاصيل إلا أن 126 مليون فدان منها هي التي تستغل بشكل مناسب (منها 22 مليون فدان تعتمد على الري ب المياه الأنهر والمياه الجوفية(2)، و 104 ملايين فدان على مياه الأمطار) أما المساحة المتبقية

(1) مساحة الفدان = 4200 متر مربع ، والهكتار يعادل 2,2 من الفدان .

(2) المياه الجوفية : المياه المستخرجة من الآبار .

وقدرها 224 مليون فدان فانها تقل مغطاة غير مستصلحة أو مستغلة ، ومن المعروف أن معظم هذه المساحة تقع في السودان . واذا أحسن استغلال الموارد الزراعية في الوطن العربي ، فان حصة الأرض الزراعية لكل فرد من السكان عام 2000 ستزيد بما هي عليه اليوم في الولايات المتحدة التي تنتج أكبر فائض غذائي في العالم .

وهناك جانب آخر لهذه القضية وهو حجم إنتاج المكتار الواحد في الوطن العربي من حيث أنه يقل عن الرقم القياسي . ففي حين يبلغ إنتاج المكتار القياسي 69 وحدة إنتاج (3) ، لا ينتج المكتار في الوطن العربي سوى 23 وحدة ، وتبلغ مساحة الأرض المخصصة للحبوب في الوطن العربي حوالي 50 مليون هكتار تنتج 23 مليون طن من الحبوب وهو إنتاج يقل بمقدار 8 ملايين طن عن حاجة الوطن العربي الحالية .

ومن المقدر أن يرتفع الاستهلاك عام 2000 – عندما يصل عدد السكان إلى 210 ملايين – إلى 62 مليون طن ، وهذا يعني عجزاً مقداره 39 مليون طن بما هو عليه الاتجاه الحالي .

واذا ما تحسنت وسائل الزراعة من خلال استعمال الآلات الحديثة والبذور المحسنة والأسمدة الملائمة فان مساحة الخمسين مليون هكتار يمكن أن تنتج 69 مليون طن وهذا سيترتب عليه وفر مقداره 7 ملايين طن للتصدير ولا يأخذ هذا التقدير في الحسبان المساحات التي سيتم استصلاحها خلال الربع قرن القادم .

---

(3) وحدة إنتاج : مصطلح عالمي لتقدير إنتاج المكتار الواحد .

والى جانب الاتاج الزراعي فان إتاج البروتين (4) الحيواني في الوطن العربي ، يبلغ مليون طن من اللحم وربع مليون طن من الدواجن .

وفي إطار العملة الى دعوة الأقطار العربية لوضع خطة تنمية زراعية متكاملة حذر أمين عام الجامعة العربية من أنه ما لم يطور العرب خطط احتياجاتهم من الأغذية خلال عشر سنوات فان هذه الاحتياجات ستكلفهم 50 ألف مليون دولار حسب الأسعار الحالية أما بالنسبة للأسعار المتوقعة لعام 1985 فان تكاليف هذه الاحتياجات ستبلغ 90 ألف مليون دولار وهذا المبلغ يزيد عن دخل الوطن العربي كله الآن . ويرى عدد من الخبراء الزراعيين العرب أن مبلغ 15 ألف مليون دولار يمكن أن تضع الوطن العربي على نفس مستوى كبرى الدول المنتجة للاغذية خلال 25 سنة ..

وتنسند خطط هؤلاء الخبراء على حسن استغلال الموارد الزراعية بما في ذلك التخصص في المحاصيل مثل الاعتماد على الري بالأمطار في إتاج الحبوب والاعلاف والاعتماد على الري بالمياه في إتاج المحاصيل الأخرى بما في ذلك الفواكه والخضروات بالإضافة الى التوسيع في إتاج المبيدات الحشرية والأسمدة حيث توفر المواد الخام الأساسية لها في بعض الأقطار العربية بكميات كبيرة : (النفط ، الفوسفات ، البوتاسي ، الصودا) . وتدعى الخطط أيضا الى الاستغلال الأمثل للموارد المائية المتوفرة والمحتملة من خلال تطوير وسائل التخزين والتوزيع ويسود الاعتقاد أن التحدي الرئيسي الذي يواجه التنمية الزراعية في المستقبل يكمن في كيفية استغلال الموارد المائية لخدمة مصالح المنطقة بشكل أفضل .

---

(4) البروتين : مادة غذائية توجد في اللحوم والأسماك .

وترکز الخطط على (الميكنة) وإدخال الوسائل الحديثة والمحاصيل المحسنة في الزراعة ويعتقد الخبراء العرب أنه في حالة تطبيق هذه الخطط التي أعدوها فإن إنتاج الحبوب سيتضاعف ست مرات عام 2000 مما هو عليه اليوم . كما يؤكد هؤلاء الخبراء على أن حل مشكلة الغذاء في الوطن العربي ، يمكن أن تبني على استراتيجية تنمية عربية ، تقوم على خطة زراعية شاملة ، ومشروعات زراعية مشتركة . وهذا يتطلب بالضرورة تكاماً اقتصادياً عربياً ، ولإزالة قيود التجارة ، وحرية الحركة للرأسمال العربي ، وتنسيق سياسات الاتاج ، وذلك حتى تتحقق بالفعل ثورة زراعية عربية .

وقد دعت العراق الى عقد مؤتمر عربي يخصص بشكل كامل لمناقشة وسائل التنمية الاقتصادية بحيث يمكن تنفيذ آية قرارات يتم التوصل اليها في هذا المجال .

ومن هنا تطرح مشكلة الغذاء – بأبعادها التي أوضحتها – سؤالاً هاماً :

هل يمكن من خلال التعاون الجاد لحل مشكلة الغذاء بالوطن العربي ؟  
أن نضع أنفسنا على بداية الطريق نحو الوحدة الشاملة ؟

النص :

### الاسلام يعتمد بالعامل المادي

لقد أدرك الاسلام منذ البداية أهمية العامل المادي ، وأنه بدون الخبز لا يستطيع أن يحيا الانسان ، ولكنه أدرك أيضا وبنفس المستوى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان .

ومن ثم فقد جاء الاسلام – باعتباره خاتم الأديان – لا يقتصر على مجرد القيدة والهدایة الروحية . وإنما جاء أيضا شريعة وتنظيمها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا للمجتمع . ذلك أنه لا يمكن أن تستقيم الحياة بدون عقيدة توجهها ، وشريعة تنظمها . بل لا يمكن أن تستقيم العقيدة وتنمو الاخلاق ، اذا لم يطمئن المرء في حياته المعيشية ، فالعقيدة والشريعة في الاسلام تكمل كل منهما الأخرى ، ولا تقوم احداهما دون الأخرى ، ويمكن تصويرهما بساقي الانسان ، فهو لا يستطيع أن يمشي على ساق دون الأخرى .

واذا كنا لا نتصور الاسلام في بلد يلتزم بتعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، دون العقيدة . فانه أيضا لا يمكن أن تتصور الاسلام في بلد يقوم أهله بالصلوة والصيام وسائر العبادات ، بينما يغفل تعاليم الاسلام السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، التي تكفل الشورى وتقرر المساواة وتضمن حد الكفاية لكل فرد . فالالتزام الشرعية – لاسيما تعاليمها الاقتصادية – هو الذي يساعد على صفاء العقيدة وعلى خلق

<sup>(\*)</sup> مجلة العربي – العدد 169 د. محمد شوقي الفنجري .

المجتمع الاسلامي ، مجتمع المتقين - بل ان غاية العقيدة والتعبد في الاسلام هي سلامة السلوك الاجتماعي وشرعية النشاط الاقتصادي «فالدين العاملة» . وإننا نعجب لهؤلاء الذين يركزون على العقيدة دون الشرعية ، أو هؤلاء الذين يَحْمُّون أصواتهم بالمواعظ الدينية والدعاوي الأخلاقية ، دون أن يَشْعِلُوا أنفاسهم بتوفير أسبابها الموضوعية .

**الاسلام يدفع بالعامل المادي الى الصداره :**

أكثـر من ذلك ، جعل الاسلام العامل المادي في القمة والصدارة ووضع المشكلة الاقتصادية - وذلك منذ البداية وقبل أن تتطور الاحداث وتفرض المشكلة نفسها - حيث يجب أن توضع في الأساس وفي المقدمة . ومن قبيل ذلك :

أ - أنه اعتـبر المال زينة الحياة الدنيا وقوام المجتمع ، وأنه نعم العون على تقوى الله ، وأن طلب المال الحلال فريضة وجihad في سبيل الله ، وأن من الذنوب ذنوبا لا يكفرها إلا السعي في طلب العيش ، وأن من فقه الرجل أذ يصلاح معيشته ويتألق في حياته ، وأن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده .

ب - أنه يساوي بين الفقر والكفر ، ولم يستعد الرسول من شيء بقدر استعادته من الفقر ، فيقول عليه السلام (كاد الفقر أن يَكُوَن كُفراً) ويقول (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفُرِ وَالْفَقْرِ) ، قال رجل أىعد لـان ، قال : نعم .

ج - أنه حين طالب الناس بالعبادة وذـكر الله يـتـنه في القرآن بقوله تعالى : (فَلَيَقْبَدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ)<sup>(1)</sup>

فأساس العبادة في الاسلام والسبيل إليها ، هو تأمين الناس في حياتهم المعيشية حتى إن موسى عليه السلام حين دعا الله تعالى بقوله : (قَالَ رَبَّ

(1) سورة تراث ( 3 - 4 ) .

أشَرَّحْ لِي صَدْرِي . وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي )<sup>(2)</sup> قرنه بقوله: (كَيْ نُسْتَحْكَ كَثِيرًا . وَنَذْكُرْكَ كَثِيرًا )<sup>(3)</sup> ،

د — أنه اعتبر مجرد ترك أحد أفراد المجتمع ضائعاً أو جائعاً هو تكذيب للدين نفسه فالله تعالى يقول : (أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالِّدِينِ ، فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتَيمَ . وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ) <sup>(4)</sup> . وجاء في القرآن (مَا سَلَكْتُمْ فِي سَفَرٍ قَاتَلُوا لَمْ تَكُنْ مِنَ الْمُصْلِينَ . وَلَمْ تَكُنْ نَعِيمَ الْمِسْكِينِ) <sup>(5)</sup>

وقوله تعالى : «وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ . فَكُلْ رَبَّةٌ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْعَبَةٍ . يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ . أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَشْرِبَةٍ» <sup>(6)</sup> . وقد سئل الرسول ما هو الأفضل في الإسلام ؟ فقال : «إِطْعَامُ الْجَائِعِ وَنَجْدَةُ مَنْ تَعْرَفُهُ وَمَنْ لَا تَعْرِفُهُ».

### العمل والانتاج عبادة في الإسلام :

وعلى أساس تصور أن الإنسان خليفة الله في أرضه ، جاءت تعاليم الإسلام حائنة على العمل والانتاج فالله تعالى يقول : «وَقُلْ اعْمَلُوا فَسَيَرِي اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ» <sup>(7)</sup> ، ويقول الرسول : «إِاعْمَلُوا فَكُلُّ مُيَسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ» . بل إن العمل وزيادة الانتاج في نظر الإسلام عبادة ، والفرد العامل قريب من الله ومثاب على عمله الصالح في الدنيا والآخرة ، فالله تعالى يقول : «وَيَسِّبِحُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» <sup>(8)</sup> . ويقول الرسول : «الْعَمَلُ عِبَادَةٌ» ويقول : «مَنْ أَمْسَى كَالاً مِنْ عَمَلٍ يَكِيدُ أَمْسَى مَغْفُورًا لَهُ» ، وقبل الرسول يداً ورمت من كثرة العمل وقال : «هَذِهِ يَدٌ يَجْبَهُهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ».

<sup>(2)</sup> سورة طه (20 - 26) <sup>(3)</sup> سورة طه (33 - 34) <sup>(4)</sup> سورة الماعون (1 - 3)

<sup>(5)</sup> سورة المدثر (40 - 44) <sup>(6)</sup> سورة البلد (12 - 16) <sup>(7)</sup> سورة التوبه (105)

<sup>(8)</sup> سورة الشورى (26)

كذلك اعتبر الاسلام السعي على الرزق وخدمة المجتمع أفضل ضروب العبادة ، فقد ذكر للنبي رجل كثیر العبادة فسأل: مَنْ يَقُولُ بِهِ : قالوا : أخوه ، قال : «أَخُوهُ أَعْبُدُ مِنْهُ» ، وقد أراد أحد الصحابة الخلوة والاعتكاف لذكر الله ، فقال له الرسول : «لَا تَفْعَلْ ، فَإِنَّ مَقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفَضَلُ مِنْ صَلَاتِهِ فِي سَيِّئِهِ سَبْعِينَ عَامًا» . ويقول : «لَأَنَّ يَمْشِي أَحَدُكُمْ مَعَ أَخِيهِ فِي قَضَاءِ حَاجَتِهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يَقْتَكِفَ فِي مَسْجِدِي هَذَا شَهْرَيْنِ» .

ولقد حدد الرسول مفهوم الایمان بقوله : «لَيْسَ الإِيمَانُ بِالشَّمَائِلِ ، وَلَكِنَّ الإِيمَانَ مَا وَقَرَ فِي الْقُلُوبِ وَصَدَقَهُ الْعَمَلُ». ولخص سيدنا عمر بن الخطاب نظرة الاسلام الى العمل والاتاح بقوله : «وَالله لئن جاءت الأعاجم بالأعمال وجئنا بغير عمل فهم أولى بسالم منا يوم القيمة» .

#### بعض تعاليم الاسلام في معارضة الاتاح :

ولقد أوجب الاسلام إتقان العمل والاتاح ، واعتبر ذلك أمانة ومسئولة ، فالله تعالى يقول : «وَلَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ»<sup>(9)</sup> . ويقول الرسول : «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يَتَقَبَّلَهُ» ، وهذا يستوجب اتباع أدق وأحدث الأساليب العلمية في الاتاح . وصدق الله العظيم : «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ»<sup>(10)</sup> !

كما أوجب الاسلام تنويع الاتاح بحيث يشمل كافة الحاجات البشرية : ذلك أن القاعدة في الاسلام أن كل ما لا يتم الواجب إلا به يصير واجبا ، وما لا يقوم به الأفراد من النشاط الاقتصادي كالصناعات الثقيلة والمرافق العامة يصبح شرعا (فرضيا) على الدولة القيام به .

<sup>(9)</sup> سورة النحل (93) . <sup>(10)</sup> سورة الزمر (9) .

وقد تكلم الاسلام عن الزراعة وضرورتها فقال الرسول : «ما من مُسلِّمٍ يُعرِّشُ غَرْسًا أو يُرْزَعُ زَرْعًا فَإِنَّكُلَّ مِنْهُ ظَلِيلٌ أو إِنْسَانٌ أو بَيْتَمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»<sup>(11)</sup>

ولكن حين سئل الرسول : (أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ)  
بيده وَكُلُّ يَمْبُودِ» . وفي ذلك إشارة الى الصناعة والتجارة ، والى أنها أطيب الكسب وأهم أوجه النشاط الاقتصادي .

ونهى الرسول عن احتكار السلم : فيقول الرسول : «مَنْ اخْتَكَرَ حِكْرَةً يُرِيدُ أَنْ يُعْلِيَ بِهَا عَلَى الْمُسْلِمِينَ فَهُوَ حَاطِيٌّ» . ويقول : «الْجَالِبُ مَرْزُوقٌ وَالْمُحْتَكِرُ مَلْعُونٌ»<sup>(12)</sup> ويقول : «الْجَالِبُ فِي سُوقِنَا كَالْجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَالْمُحْتَكِرُ فِي سُوقِنَا كَالْمُلْحَدِ فِي كِتَابِ اللَّهِ» .

كما نهى الاسلام عن اكتناز المال وحبسه عن الاتاج فالله تعالى يقول : «وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْدَّهْبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَبَشِّرْهُمْ بِعَدَابٍ أَلِيمٍ»<sup>(13)</sup> ويقول الرسول : «مَنْ جَمَعَ دِينَارًا أوْ تِبْرًا أوْ فِضَّةً وَلَا يُنْفِقَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، فَهُوَ كَنْزٌ يَكْنُوَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» ومن ثم يقول الرسول : «اَتَتَّهِرُوا فِي مَالِ التَّيْتِيمِ حَتَّى لَا تَأْكُلَهُ الرِّكَادُ» ، ويقول : «لَيْسَ لِمُحْتَجِزٍ حَتَّى يَعْتَدَ ثَلَاثَ سِنِينَ» فتنزع الأرض ولو كانت مواتاً أو بوراً من مالكها اذا انقضت عليها ثلاثة سنوات بدون استثمار وهو ما دعا عمر بن الخطاب أن يقول للبلاء وقد أعطاه الرسول أرض العتيق : «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقْطِعْكَ لِتُحِجزَ عَنِ النَّاسِ إِنَّمَا أَقْطَعْكَ لِتُعْمَلُ ، فَخُذْ مَا قَدِرْتَ عَلَى عِمَارَتِهِ وَرُدَّ الْبَاقِي» بل لقد بلغ حرص الاسلام على الاتاج وتعير الدنيا ، أن قال الرسول : «إِنَّ قَامَتِ السَّاعَةَ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَيُسَيِّلُهُ – أَيُّ شَتَّلَةٍ – فَأَسْتَطَاعَ أَلَا تَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا ، فَلَيَغْرِسَهَا فَلَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ»<sup>(14)</sup> .

(11) رواه البخاري ومسلم . (12) رواه ابن ماجه . (13) سورة التوبة (34) .

• (14) خرجه ابن حجر المقلاني .

## اسئلة حول المحور :

- 1) العلاقة وثيقة بين : تنمية الاقتصاد ، وأهمية العمل والانتاج ، وحل المشكلة الفدائية في الوطن العربي ، فعلى أي حد أوضحت نصوص المحور هذه العلاقة ؟ بين رأيك فيما تقول .
- 2) تناول النص الاول ، والثاني : بيان أهمية العامل المادي في حياة الفرد والمجتمع . وازن بينهما في هذا المجال موضحا وجهة نظرك .
- 3) التحدي الذي يواجه الدول النامية ، يكمن في كيفية استثمار الطاقات البشرية ، واستغلال الموارد الطبيعية ، ومعالجة المشكلات الاجتماعية وضح ذلك على ضوء هذا المحور ، مستعينا بمعالعاتك و المعارف في هذه الميادين .





## «و» العلوم والاكتشافات

في هذا الباب يطالعك مؤلف الاسلام من العلم ، وحشه عليه ، وجبله ميزانا للتفاصيل بين الناس ، وائزه في التنمية ودعم استقلال الشعوب ، وتدرس ظاهرة التضخم المالي التي ما فتئت تزعزع قواعد الاقتصاد في ثبيه من الدول بين العين والعين ، لتقدم الدليل على اختلال معايير المدنية القرية المعاصرة ، وفي الختام نقرأ نصا يدعو كاتبه الى الاستفادة من «الحاسب الالكتروني» في خدمة الحديث النبوى الشريف جما وتصنيفا وتحقيقا .

تمهيد :

مجد الاسلام العلم ، وحث على تحصيله والتسع فيء ، وكرم اصحابه ، وهيا لهم اسبابه ، وزاد على ذلك ان عد تعلم المسلم ثم تعليم أخيه المسلم الفضل صدقة ، وتلقى بعد ذلك من ينكر هذه الحقيقة او يتذكر لها ، متعلقاً بسبب واه هو ما يراه من تخلف المسلمين في حاضرهم ، متعاماً عما بلغوه في ماضيهم من تقدم بمعنه اتباعهم ما هداهم اليه دينهم من العلم ، وما حثهم عليه من المعرفة ، فهم مدعاون اليوم الى تدارك ما فات ، ووصل ما انقطع . . . فكيف السبيل الى بلوغ هذا الهدف ؟

النص :

الاسلام رسالة إلهية دينية ، ولكنه في الوقت نفسه رسالة عقلية فكرية ، أي انه يساير العقل ، ويوافق العلم ، ويؤمن التفكير السليم . والقرآن كتاب العقل ، فهو يحتكم الى هذا العقل ، ويشير للبحث في كل مناسبة . واذا كانت هناك امور يستعصي على عقولنا فهمها في أول الأمر وإدراك وجه الحكمة فيها ، فليس ذلك راجعا الى تناقض بين الاسلام والعقل ، بل لأن الوسائل قليلة ، أو لأن الجهد ضئيل ، واتساع البحث كفيل بتحقيق التوفيق .

والاسلام يمجد العلم في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، وهناك فريق من الناس جهلاً يحسبون أن المراد بالعلم في القرآن والحديث هو العلم الديني فقط ، وبعض المستشرقين قد حاولوا بئث هذا الفهم الخاطئ ، ولكن العلم في الاسلام بمفهومه العام يشمل علوم الدين وعلوم الدنيا ، وفي القرآن والحديث مواضع جاء فيها ذكر العلم مرادا به علم الحياة الدنيا ، وذلك كقوله تعالى : « أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُحَدَّدٌ يِضْ وَمُخْنِثٌ مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهَا وَغَرَبِيبٌ سُودٌ . وَمِنَ التَّأْسِ وَالدَّوَابَاتِ وَالْأَنْعَامَ مُخْتَلِفُ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ

<sup>(١)</sup> د. أحمد الشريبي . من كتابه : وسائل تقدم المسلمين - سبق التعريف بالكتاب .

إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَلَمَاءُ<sup>(١)</sup> فالعلماء هنا هم العلماء بأمور الماء والنبات والجبال والانسان والحيوان وألوان الأحياء ، كما يفهم ذلك من السياق .

وكذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «أُطْبِسُوا الْعِلْمَ وَأُؤْرِكُوا الصِّنْفِينَ» . وال المسلم لا يطلب من الصين علمًا دينيًا ، فعندئذ من هذا العلم الدينى ما يكفيه ويشفيه ، فلا بد أن يطلب من الصين علمًا آخر له صلة بالحياة ، وماذا كان في الصين يوم قال الرسول ذلك من علم الدين وهي وثنية يوم ذلك ؟

ومن هذا نفهم أننا مأمورون باسم الاسلام أن نَعْتَبْ من العلم ما نستطيع ، وأن نطلب في كل مكان نستطيع الوصول اليه ، ومن أي شخص نستطيع الأخذ عنه ، لأن الحكمة ضالة المؤمن كما يقول الحديث ، فainما وجدها فهو أَوْلَى بها وأحق .

لن يكون المسلمين أقوباء سعداء إلا إذا فتحوا أبوابهم للعلوم على اختلاف أنواعها ، وفتحوا أذهانهم لهذه العلوم كلها ، ونافسوا غيرهم في البحث العلمي والتثقيف في آفاق الكون . ولقد مضى ذلك الزمن الكثيف الذي كان يقال فيه : إن طلب العلوم الدنيوية أمر لا يليق بالمتدين ، أو إنه يلفت الإنسان عن العبادة وعلوم الدين ، فان التوسع في العلم يؤدي إلى تقوية الإيمان وتأكيد الاحساس بأن للكون خالقا سبحانه ! ..

على أن هناك من يحاول تحويل آيات القرآن الكريم مala تطبيق من النظريات العلمية ، بدعوى أن القرآن قد تحدث عن كل مسائل العلم ، وهذه خطة غير قوية ، لأن القرآن في أساسه كتاب هداية وتشريع ، وليس هو في أساسه كتاب علم وفکر ، وإن كان هذا لا يتعارض مع ما جاء في القرآن

<sup>(١)</sup> - «سورة فاطر» : (27) - (28) .

الكريم من حقائق علية ، أو مع أنه لا ينافي العلم الثابت . . ومن الواجب علينا في هذا الباب أن نتجنب تعریض القرآن الكريم للتأویل العلمي المسرف ، لأن هذا يؤدي إلى الاغریب في التأویل من جهة ، والى إخضاع النص القرآني لتطور النظريات العلمية والى إخراج الكتاب الالهي عن مداره الأساسي ، وهو مدار الهدایة والارشاد .

ويجب علينا في طلبنا العلم أن تكون شرهين منهومين ، ففي الأثر : «منهومان لا يشعان : طالب علم وطالب مال». ويجب ألا يكون علمنا علماً مبتوراً أو قصوراً ، لأن الجهل مع صفاء الفطرة قد يكون خيراً من المعرفة المشوهة التي تجعل من صاحبها مسخاً معوجاً متأرجحاً فلا هو مع الجاهلين قد بقي ، ولا هو بين العلماء قد صار ..

والحديث عن العلم يجرنا إلى الحديث عن التعليم والى الحديث عن المعلم . فمن واجب المسلمين أن يُعْتَنَى كل العناية بنشر التعليم في أرجاء بلادهم ، لأن المؤسف المخزي أن بلاد المسلمين ما زالت آخر بلاد الدنيا في نسبة التعليم .

ومن واجب المسلمين كذلك أن يعنوا باعداد المعلم الثقافى الوعي ، البصير الرشيد ، لأن هذا المعلم هو الذي يبني العقول ويشيد النفوس ، ورحم الله أمير الشعراء حين أشار إلى ضعف المعلم ، وأنه سبب الضياع ، وأن قوة الحياة تكون بقوة العقول ، فيقول :

يَا أَرْضُ مَدْ فَقَدَ الْمُعْلِمُ نَفْسَهُ  
يَئِنَ الشَّمُوْسِ وَيَئِنْ شَرْقِكِ جِلَا  
ذَهَبَ الَّذِينَ حَمَوا حَقِيقَةَ عِلْمِهِمْ  
وَانسَغَدَبُوا فِيهَا الْمَدَابَ وَبِلَا  
فِي عَالَمٍ صَحَّتِ الْحَيَاةَ مُقَدَّداً  
صَرَعَتْ دُنْيَا الْمُسَيَّدِ كَمَا هَوَتِ  
سُقَراطُ أَغْطَى الْكَاسَ ، وَهِيَ مَيْنَةٌ ،  
عَرَضُوا الْحَيَاةَ عَلَيْهِ وَهِيَ غَيَاةٌ  
إِنَ الشَّجَاعَةَ فِي الْقُلُوبِ كَثِيرَةٌ

وَحِينْ قُوَّةً بِخُطُورَةِ السِّعَةِ الَّتِي يَنْهُضُ بِهَا الْمُلْعُمُ ، فَقَالَ فِيمَا قَالَ :

رُوحُ الْغَدَائِقِ فِي الشَّبَابِ ضَيْلًا  
جَاءَتْ عَلَى يَدِهِ الْبَصَائرُ حُولًا  
وَمِنْ الْفَرُورِ فَسَبِّهِ التَّضْلِيلًا  
رَضْعَ التِّرْجَالُ جَهَالَةً وَخَمْلًا  
هَمَّ الْحَيَاةَ ، وَخَلْقَاهُ ذَلِيلًا  
وَبِخُنْنِ تَرْيِيَةِ الْحَيَاةِ بَدِيلًا  
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ  
فَأَصَابَ بِالْدُنْيَا الْحَكِيمَةِ مِنْهَا  
لَيْسَ الْيَتِيمُ مِنْ اتَّهَى أَبُوهُهُ مِنْ

— وأبيات شوقي هذه تذكرنا بأن بعض البلاد الإسلامية ما زالت تقف حجر عثرة في سبيل تعليم المرأة ، وهذا ضلال في الرأي كبير ، وتعطيل لقوة هائلة في الأمة وهي قوة المرأة ، ولست أدري كيف صُمت آذان هؤلاء عن قول حافظ وقد مضى عليه حين طويل من الزمن :

الْأَمْ مَدْرَسَةٌ إِذَا أَغْدَثَهَا      أَغْدَثْتُ شَعْبًا طَيْبَ الْأَعْرَاقِ

لا يمكن للسلمين أن ينهضوا ويتقدموا إلا إذا اتشر تعليم المرأة في سائر بلادهم ، لأن تعليم الفتاة أهم في النهضة والتقدم من تعليم الفتى . . .  
لقد كانت المرأة المسلمة في عصورها الزاهرة واسعة العلم والثقافة ، ولذلك استطاعت أن تلد الرجال ، وأن تُخْرِجَ الأبطال ، وأن تسبق في ميادين المنافسة القوية الحكيمية ، ولا بد للمرأة المسلمة المعاصرة أن تسير على سَنَنِ أختها في عصورها الناضرة ، وليس من العقل ولا من الحكمة أن تقصر على ترديد ما كان عليه أسلافنا من مجد وعزّة ، ظافرين أن تردّد مفاخر السابقين وحده يكفي ، بل لا بد أن يكون لنا من العمل والأثر مثل ما كان لهم أو أكثر ، ورحم الله الشاعر الذي قال :

فَإِذَا افْتَحَرَتْ بِأَغْظِيمِ مَقْبُورَةٍ      فَالنَّاسُ بَيْنَ مَكَبِّ وَمَصْدِيقٍ  
فَأَقِيمْ لِنَفْسِكَ فِي اتِّسَابِكَ شَاهِدًا      بِحَدِيثِ مَجْدِ الْقَدِيمِ مَحْقِيقٍ

## مع النص

- 1 - ما الفكرة العامة التي يشتمل عليها النص ؟
- 2 - ما موقف الاسلام من العلم ؟ وإلام يرجع الكاتب استعصار بعض الامور على افهامتنا بادئ الأمر ؟
- 3 - ما المراد بالعلم في القرآن الكريم والحديث الشريف كما وضحه الكاتب ؟ استشهد ببعض محفوظك منها في دعم إجابتك .
- 4 - ما المدى الذي وصل اليه الاسلام في الحث على طلب العلم ، والمعي اليه ؟
- 5 - ما النتائج التي تتحقق من تفتحنا لكل انواع العلم ؟ وما جدوى التوسيع العلمي بالقياس الى الإيمان والعتقد الديني ؟
- 6 - ما راي الكاتب في محاولات التأويل العلمي المسرف لآيات الذكر الحكيم ؟
- 7 - هل ثمة حدود يكتفي بها العالم في طلب العلم ؟ وضح مضمون ما جاء في الآثر: «منهومان لا يشعان ..» في هذا الشأن .
- 8 - ما واجب المسلمين إزاء تأخر نسبة التعليم في اقطارهم ؟ وضح رأي «شوفي» في اسباب هذا التأخر ، وفي خطورة التيمة الملقاة على عاتق المعلم في هذا السبيل .
- 9 - ما الآثار المترتبة على إهمال تعليم المرأة في رأي «شوفي» والكاتب ؟ وما الدور الذي قامته به المرأة المسلمة في الماضي ؟

## نقويم النص

### ١ - الأفكار :

- 1) القرآن كتاب توافقه المقول المستبررة التي يحثها على البحث والاكتشاف.  
- وضح هذا القول في معرض إثبات موافقة الاسلام للعلم والعقل ، والكشف عن حقيقة الدوافع الكامنة وراء ما يزعم من وجود تناقض بين الاسلام والعقل .
- 2) ما رأيك فيما يزعمه بعض المستشرقيين من ان المراد بالعلم ، في القرآن والحديث ، هو العلم الديني وحده ؟ وما غرضهم من هذا الادعاء ؟

(3) يرى الكاتب ان قوة المسلمين وسعادتهم رهينتان بفتح أبوابهم للعلوم على اختلاف أنواعها .

- ناقش هذه الفكرة بالاستناد الى امثلة من واقع المسلمين في عهود قوتهم وضعفهم ، وبين رأيك .

(4) ما منشأ الفكرة التي تسلّي ان طلب العلوم الدنيوية امر لا يليق بالمتدينين ؟ وما الذي تستنتجه من اقتصار هذه الفكرة على العصور المتأخرة دون عصور الاسلام الاولى ؟

(5) يقول حافظ ابراهيم :

اعددت شعبا طيب الاعراق  
الام مدرسة إذا اعددتها  
استخرج من ابيات «شوقي» بيتاً مشابهاً في المعنى ، ثم اذكر أيهما اجمع وأوقع .

(6) يقول الرصافي :  
وَخَيْرُ التَّائِسِ ذُو حَسَبٍ قَدِيمٌ      أَفَأَمَ لِتَغْيِيرِهِ حَسَبًا جَدِيدًا  
في النص بيtan يشير معناهما الى معنى هذا البيت . اذكرهما ، وبين موافقتهما له في المعنى .

### ب - الاسلوب :

(1) في بعض فقرات النص إجمال يليه تفصيل ، دلّ عليه في موضعه .

(2) تعدد مجالات الأفكار في النص ، خصوصاً في جزئه الثاني ، بحيث يمكن استقلال كل فكرة بموضوع خاص . فهل ثمة من خطأ عام يؤلف بينها ؟

وضع ما ترى بالاستناد الى مفهومك عن الكتابة ومقاييسها المحددة .

(3) اي الاساليب يغلب على مقال الكاتب ؟ وما مدى ملاءمته لموضوعه ؟

(4) وردت بعض الجمل المسجوعة في النص ما هي ؟ وما هدف الكاتب منها ؟

(5) اختر من النص اسلوباً إنسانياً ، وبين دلالته .

### استئثار النص

#### ا - سجل في كراسك الخاص :

- «قل هل يستوي الدين يعلمون والذين لا يعلمون».
- «يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات».

- «أفضل الصدقة أن يتعلم المرأة علمًا ثم يعلمه أخاه المسلم».
- يجب الا يكون علمنا علما مبتوراً أو قشوراً ، لأن الجهل مع صفاء الفطرة قد يكون خيراً من المعرفة المشوهة .
- إن الشباعة في القلوب كثيرة ووجدت شجعان العقول قليلاً
- ب - لاحظ كلمة «فَتَحُوا» - الواردۃ في النص - وما لها من وجوه استعمال متعددة :

فتحوا أبوابهم للعلوم على اختلاف انواعها ، وفتحوا اذانهم لهذه العلوم كلها . فتح الله عليه : علمه وعرفه ونصره . فتح سره على فلان : باح له به . وفتح القناة : فجرها ليجري فيها الماء . وفتح القائد البلاد . وفتح الله عليهم فتوحاً كثيراً : أمطارهم أمطاراً . ويقال : فلان لا تفتح العين على مثله .

## ح - طبق :

- 1 - بين ما لكلمة (أنْهَض) - الواردۃ في النص - من معانٍ ووجوه استعمال أخرى في جمل من عندك .
- 2 - انسج على منوال العبارتين الآتيتين :

  - لن يكون المسلمون أقوىاء سداداً إلا إذا فتحوا أبوابهم للعلوم على اختلاف انواعها .
  - لا هو مع الجاهلين قد بقي ، ولا هو بين العلماء قد صار .

- 3 - حرر : «أفضل الصدقة أن يتعلم المرأة المسلم علمًا ثم يعلمه أخاه المسلم».

اكتب موضوعاً في معنى هذا الحديث الشريف ، مستدلاً به على مدى عناية الإسلام بالعلم والتعليم ، ومبرزاً الجهود التي تبذلها الجزائر في هذا السبيل .

النص :

ليس في إمكان أي بلد من بلدان العالم الثالث خوض معركة التنمية بمجرد نقل المعلومات الفنية أو استيرادها؛ إذ لا بد من استقلال فعلي مدعوم بتحرير اقتصادي، وذلك بالقضاء على التبعية والاستغلال بكل أشكاله، ثم تجديد موارد الوطن جميعها في مجال البحث العلمي الذي هو في جوهره أداة التحرر الاقتصادي والتقدم الاجتماعي.

#### مكانة البحث العلمي في التنمية الوطنية :

والتنمية هي اختيار سياسي قبل كل شيء، وهي تجسد إرادة الشعب وعزمها على خوض معركة البناء والتخلص من التبعية للخارج، وإرادة المسؤولين في مواجهة الحقائق الوطنية. والتنمية تحدد بأهدافها، وباستراتيجية البلد في بلوغها، وأهداف الجزائر في هذا المجال واضحة، وهي ترمي إلى رفع المستوى الاقتصادي والثقافي والاجتماعي للشعب الجزائري كله. ولهذا لا يمكن أن توضع الاستراتيجية العامة للتنمية، أو أن تحدد، بصورة مجردة وغفوية، لأن لها جذوراً عميقة ترتبط بالمراحل التاريخية التي مررت بها دول العالم الثالث، ومن بينها الجزائر، لهذا يجب أن تجري دراسة الأوضاع الراهنة وتحليلها على مستوى البلد، في جميع المجالات، حتى تتضح الأولويات والأهداف.

والسؤال الذي يعرض في هذا السياق هو : ما المكانة التي يحتلها العلم والتقنية في «استراتيجية» التنمية؟ في الجواب عن هذا يعرض لنا

(١) للأستاذ مخلوف عبد الحميد . (مجلة الجيش مارس 1977 )

## تساؤلان :

أولهما : مادور العلم والتقنية في مسار التنمية ؟

وثانيهما : ما المكانة التي أوليت لمجهودات التنمية العلمية والتقنية في الاستراتيجية العامة ؟

إن أية تنمية لا يمكن لها أن تتم من غير استغلال الاكتشافات العلمية الحديثة وتطبيقاتها ، في إطار حل المشكلات التي تواجهها شعوب العالم الثالث ، أو أي شعب آخر ... وعلى هذا فإن الاستعمال المكثف لمكتسبات العلم (والเทคโนโลยيا) ضروري لسير التنمية ، أما كيفية استغلالها والاستفادة منها فتطلب التفكير والشّرقي ، لأن المهم ليس هذه التقنيات أو تلك ، وإنما هو دلالتها وأبعادها المختلفة التي تتعذر الحدود الداخلية لترتبط بعده من العناصر التي يمكن أن تؤثر فيها وتحدد تائجها ، ذلك لأن العلم والتقنية غير محابيدين في أية تنمية ، ولهذا فإن البحث العلمي في الجزائر وفي الدول السائرة في طريق النمو ، يتطلب تعبئة الموارد البشرية والمالية تعبئة واعية منظمة ، لتحقيق أهداف محددة ، ذلك لأن دلالتها تستمد من المشكلات التي يراد حلها ، والتي يواجهها المجتمع .

## التعبئة التكنولوجية :

لا يخفى على أحد دور العلوم والبحث العلمي وأهمية ذلك في حياة الأمم ، وإن أهم العلامات التي يقاس على أساسها تقدم بلد من البلدان ، في عصرنا الحاضر عدد الباحثين والمهندسين والفنين فيه .. . وإذا كان العالم الرأسمالي وعدد كبير من البلدان الاشتراكية تحكم بدرجات مختلفة في العلم (والเทคโนโลยيا) فإن شعوب العالم الثالث عامة ، وبينها الجزائر ، متخلفة كثيراً في هذا الميدان ، وما تزال حتى اليوم تستورد «التكنولوجيا» والعناصر الفنية التي تسير الآلات ، مما يجعلها في «تعبئة تكنولوجية» تعد أخطر

التبعيات ، وتمثل هذه التبعية ، بالقياس الى الجزائر ، بالمبانى الكبيرة التي تنفقها في كثير من الأحيان بالعملة الصعبة لشراء العقود ، أو بمعنى آخر لاستيراد «التكنولوجيا». وقد كلف الجزائر عملية إنجاز بعض الدراسات حوالي 1600 مليون دينار خلال المخطط السباعي الأول ، وكانت حصة الدراسات الاقتصادية وحدها 500 مليون دينار .

والسؤال الذي يعرض في هذا المجال هو : كيف يمكن أن يكون موقف الدول السائرة في طريق النمو ؟ أترضى بهذا الوضع وتستمر في استيراد «التكنولوجيا» من الدول المتقدمة ، أم تبذل محمودا وطنيا لإنشاء هذه التكنولوجيا في الداخل أو تبنيها ؟ الحق أن المشكل ليس في الخيار بين استيراد التكنولوجيا أو بذل جهد على الصعيد المحلي في مجال البحث ، ذلك أن عملية نقل التكنولوجيا لا يمكن لها أن تحل المشكلات الزراعية وغيرها من المشكلات الكثيرة التي تعاني منها شعوب العالم الثالث . ولقد تأكد هذا في عدد من الدراسات التي أجريت بهذا الصدد ، إذ أن النقل الأفقي للتكنولوجيا لا يتم على أساس صحيح ما لم تحضر البلدان المستقبلة لها فرقاً وعناصر قادرة على توجيهها وجهة تماشى وأهداف البلد ، والتصرف بها بكل كفاية . .

### الفرق بين المعارف الفنية والقدرة التقنية :

ونقل «التكنولوجيا» ليس نقل فنون في مجال معين فحسب ، وإنما هو أيضا نقل المعارف والتجارب ، كما أن استيراد الآلات وتسويتها بعناصر وطنية لا يعني أن هذه العملية أصبحت في مجلتها وطنية بحثة ، إذا لم تستوعب هذه العناصر الوطنية التكنولوجيا وتعقاداتها ، لأن نقل التكنولوجيا لا يتم بصورة حقيقة إلا بعد أن تكون العناصر التي تستقبلها قد استواعت الطرق الفنية التي تسكنها من صنع الآلات التي أعدت للعمل عليها وتسويتها ، وإلا فإن العملية سُتمّ بكل بساطة كنقل معلومات ضرورية

لتسيير الآلات وتعلمها ، ولهذا يجب التمييز بين المعارف الفنية والقدرة التقنية . زد على ذلك أن نقل التكنولوجيا الى دول العالم الثالث يكلف اقتصادياتها تكاليف باهظة ، فضلا عن أن إطاراتها ليست دائما في المستوى الذي يؤهلها لاختيار التكنولوجيا التي تقيدها في مجال التنمية الاقتصادية على الوجه المرجو ، مما أدى في كثير من الأحيان وفي كثير من البلدان المستوردة لها ، الى زيادة تعبيتها للدول المصدرة للتكنولوجيا بدلا من أن تتحرر منها . والأخطر من ذلك أيضا أنها أدت بطائفة من البلدان النامية الى أن تستورد «تكنولوجيا» ذات صبغة استهلاكية ، متناسية المجالات الأساسية في تمييزها الوطنية .



النص :

ليس حديث غالب على أحاديث الناس جميما ، كالحديث عن الأسعار . كل شيء ارتفع سعره ارتفاعا بالغا ، إلا اثنين : الهواء والماء ، ومن فضل الله أن الهواء لا يزرع ولا يصنع ، ولا يزرع ولا يصنع الماء .. إنهم هبة الله المطلقة ، لا تكاد تمسمها إرادة انسان .

أحس بهذا الغلاء قابعا في وطنه ، وأحس به مرتدًا لغير وطنه يطلب الراحة من عناء ، وأستمتع بكل عائد فلا أحد منه إلا الشكوى .

لعبة الأرجوحة :

تحدثت الى انكلزي - في لندن - عن هذه اللعبة ، لعبة الأرجوحة ، التي شاعت في هذا العصر الحديث . قلت : أي لعبة هذه ، وأي أرجوحة ؟ قال : أرجوحة الأسعار والأجور : تزيد الأسعار فيطالب العمال بزيادة الأجور . ويزيد أجراهم عن رضى أو غضب ، فيكتثر المال في السوق ، فتقل قيمة كل تقل دائمًا قيمة الكثير ، فتزد الأسعار في البلد (الحر) كبلدنا ، وترتفع الأسعار فوق ما ارتفعت الأجور فتشكو الأجور انخفاضها ، فلا تلبث أن ترتفع .. وهكذا ، رفع وخفض ، يتلوه خفض ورفع . أرجوحة !

\* الدكتور أحمد ذكي كاتب مصري معاصر ، وعالم جمل العلم في حوزة الجنال ، تولى تدريس الكيمياء في جامعة القاهرة ، ثم أصبح مديرًا لتلك الجامعة ، وتولى تحرير مجلة «الملال» وأخيراً مديرًا لمجلة «العربي» في الكويت ، وكان في جميع موافقه وجل المعلم والمرففة الذي يُتَّخذ كلامه حجة وهدبا . توفي سنة 1976 . من آثاره : «قصة المكروب وكيف كشفه رجاله» و «مع الله في السماء» والنص الذي بين يديك مقتبس من مجلة العربي - المدد : 192 .

## العلة في التضخم :

وتحدثت الى رجل آخر ، فقال : إن علة العلل التضخم . قلت : تضخم أسعار ، وتضخم أجور . قال : بل أعني التضخم الثالث . التضخم المالي . انه الورم الذي يحبسه الناس سنتا الى حين .. وهو داء الأمم جميعا .

وراح يقول : «إن حاجات الانسان لم تَعُلُّ ، وإنما المال الذي نشتري به هذه الحاجات هو الذي رَخْص ، الدولار الأمريكي ، والجنيه الاسترليني وعملات أخرى كثيرة هبّطت قيمتها . ولهذا أسباب كثيرة ، ومحاورات ومداولات بين الأمم كثيرة . . ». ».

ولم أجد بي حاجة الى أن أسأل صاحبنا عن التضخم المالي المفتوح ، ذلك المطلق الذي لا ينتهي عند حدود ، فقد عشناه أو عاشه منا بعض هذا الجيل الحاضر ، وعاصره معاصرة أليمة بعد الحرب العالمية الأولى ، ذلك التضخم الذي وقع في المانيا عقب هذه الحرب .

## القروض . او زيادة صنع النقد :

إن الدولة ، في الحرب وهي قائمة ، تتتكلف نفقات باهظة لا تغطيها الضرائب المفروضة ، فتجنح الى القرض او زيادة صنع النقد .. وهي من بعد حرب تحتاج الى اصلاح ما افسدت الحرب ، ويصبح فرض الضرائب على الشعب أقسى بعد أن عانى في الحرب ما عانى من الشنة والقطط . وادأً فلابد من وسائل هي القروض تواجه بها النفقات الزائدة ، ومع القروض زيادة النقد .

والنقد الذي كان متداولا في المانيا قبل الحرب العالمية ، بلغ عام 1914 نحو من ألفي مليون من (الماركات) ، وهي من ورق ، فما جاء عام 1923 حتى كان النقد المتداول فيها خمسماة مليار مارك .. وعندئذ صارت (القوة الشرائية) لكل مليون مارك من الورق تساوي قوة شراء

كانت للمارك الألماني الواحد من قبل الحرب ! وبلغ طابع البريد مائة ألف مليون مارك . وبسرعة تقلب الأسعار كان العاملون يتناولون مرتباتهم يومياً ولا يمضي اليوم حتى يكونوا قد سبقو إلى شراء شيء تخلصاً من التخفيض في قيمة المارك في الغد . وألغى المارك القديم ، وحل محله مارك جديد في عام 1924 ، فأعاد الثقة الجديدة في اقتصاد البلاد !

وأذكر فيما أذكر أنني في ذلك العام ، وبعد التضخم الذي كان في ألمانيا ، طلبت الذهب صيفاً — وأنا طالب في إنكلترا — إلى ألمانيا في أسرة لقضاء الصيف بها ، فجاءني خطاب من أستاذ جليل في جامعة ألمانية ، يرحب بي أن أنزل في أسرته ضيفاً ، ضيفاً يدفع ، وعلمت أن هذه الحال هي حال الكثير من الأساتذة ، ضاع ما اقتضدوا في لمح بصر ، وكانت هذه الدعوة من ذلك الأستاذ مزعجة لي أشد الازعاج .

### الإنتاج سبيل الخلاص

إن علاقة التضخم المالي بالإنتاج علاقة وثيقة ، فالإنتاج هو سبيل الخلاص للأزمة إذا استطاعت الزيادة في إنتاجها . إنها كالرجل الذي وقع في ضائقه من دين ، يستطيع أن يُسدّد دينه بزيادة غلة أرضه ، أو مردود مصنعته ! قال لي أحد العارفين في حديث ، إنه مع الاتاج وزيادة الإنتاج ، لا يبالي أن ترتفع الأسعار أو ترتفع الأجور ، فالإنتاج يزيد غلة الدولة فتستطيع أن تغطي نفقاتها وتزيد حتماً مدخولها .

ورحت أطبق هذا على الدول ذات التخلف ، فوجدت أكثرها دول زراعية ، ليس لها غير الأرض مصدر إيراد . لا صناعة فيها ، والصناعة اليوم المورد الأكبر والأوثق لإيراد الدول .

ويزيد الطين بلة في الدول الزراعية المختلفة أنها تطلب الترقى ، وليس أمامها مثل تحديه للترقي غير الدول الصناعية ، وهي تهدف أول ما تهدف من الترقى إلى ثماره تعطف منها قبل أن يصبح الترقى عندها حقيقة ، وذلك

باستيراد ما صنعت الدول الصناعية من أشياء هذه الحياة الجميلة المريحة التي هي أزهى مظاهر المدينة الحاضرة . . تستورد السيارة ، وتستورد الطيارة وتستورد شتى الأنسجة من قطنية وصوفية وحريرية كساء ، وشتنى مواد البناء والمرافق مساكن وقصورا ، وتستورد من وسائل الرفه وغير الرفه ما لم يكن لها نصيب ولو كان صغيرا في صناعته ، وتدفع ثمن ذلك كلها مما تبيع من قمح أو ذرة ، أو عدس أو سسم ، فلا يفي بكل ذلك ما تدفع ، ولا يكون لها مخرج من مأزق هي فيه الا ممارسة التضخم في داخل البلاد وخارجها على السواء .

أكاد أقول إن البلد التي لم تصنع ليس من حقها أن تشتري من هذه المدينة الصناعية ما تشاء بغير حساب ، لاسيما في البلد التي إذا اشتريت فيها سيارة ذهب ثمنها بطعم مائة أو ألف من الناس ، لاسيما سيارة لا يركبها راكبها إلا ليتني ظاهرا إلى المدينة الحاضرة ، وهو ليس منها ، وهي ليست منه . .

### الإنتاج - لا الذهب - هو الأساس

في زيارة قمت بها لمطاحن الدقيق في إنكلترا ، مَسْنَ الحديث ما كان من تضخم وقع عقب الحرب العالمية الثانية . . قلت : إن اتخاذ الذهب أساسا للنقد خطأ فيرأيي بالغ ، فالذهب لا يؤكل ، وتفعل الحوادث فعلها في الورق عامة رفعا وخفضا . والرأي عندي أنه مع تضخم النقد ورخصه ، تبقى مواد العيش ثابتة القيمة منسوبا بعضها إلى بعض بوجه عام . وإنّا ، أقترح أن يُرِدَّ الحساب كله إلى مادة من مواد العيش ثابتة ، وأولى المواد بهذا مادة يُصنَع منها الرغيف ، وذكرت لهم أنه في بلادنا يدعى الرغيف (بالعيش) ، لأصالته في تزويد الجسم بالطاقة ، فالحياة . وادأً ترد كل الحسابات إلى قيمة الطين من القمح . .

وابتسم أصحاب ضيافي ابتسامة عريضة . . ولست أدرى هل ابتسموا اقتناعا ، أم ابتسموا لتحية توجّهت بها على غير قصد إلى القمح وهم طاحنوه !

النص :

إن المشتغل بعلم الحديث الشريف تغريجاً وتحقيقاً وفقها واستنباطاً تعرضه الكثير من الصعوبات لوعورة مسالك هذا العلم وتشعب خصائصه وفصوله ، من معرفة ترجمة الرواة (1) وعدالتهم (2) وضبطهم (3) وخلوّهم (4) من الشذوذ (5) والملل (6) ومعرفة الناسخ (7) من الحديث الأسانيد (4) من الشذوذ (5) والملل (6) ومعرفة الناسخ (7) من الحديث من مسوخه، وجمع طرق الحديث من أمهات كُتبه ، وأقوال نَقْدَة الرجال جَزِئاً (8) وتعديلًا، إلى غير ذلك مما هناك من مصطلحات هذا العلم الآخر . لهذا فقد دفعت هذه الصعوبات وغيرها إلى التفكير بالاستفادة من الحاسب الالكتروني في ميدان هذا العلم الشاق لخدمة الحديث النبوى جمعاً وتصنيفاً وتحقيقاً إن أمكن .

- (1) **الرواية** **رج راو** : وهو من يروي الحديث أو الخبر عن غيره .
- (2) **العدالة** : هي استقامة الراوى .
- (3) **الضبط** : ضبط الراوى : دقة ملاحظته ، وقوة ذاكرته ، وأمانته في الإداء ، وموافقته للثقات في روایتهم !
- (4) **الاسناد** : أن يذكر كل راو اسم من روى عنه حتى يبلغ النبي صلى الله عليه وسلم
- (5) **الشذوذ** : الحديث الشاذ : هو حديث ينفرد بروايته ثقة من الثقات .

والحاسب الالكتروني هو مجموعة الآلات القادرة على استقبال البيانات واجراء عمليات محددة مُسبقاً على هذه البيانات ، واستخلاص تائج مفيدة من ذلك في بضعة أجزاء من المليون من الثانية بدلاً من بذل جهود مجموعة من العلماء المختصين طيلة سنوات عديدة . ولقد رأينا للحاسب الالكتروني أعمالاً مدهشة في ميادين كثيرة من العلم والاقتصاد والزراعة والصناعة والقضاء بصورة خاصة . ولكن علينا أن لا ننسى أنه من صنع الإنسان والانسان مخلوق الله عز وجل .

هناك مجموعة كبيرة من المجلدات المتنوعة ، التي تحوي الأحاديث النبوية مع أسانيدها ، وأسماء الرجال وطبقاتهم ، وقول المحققين فيهم وتاريخهم ، ومصطلح الحديث،<sup>(9)</sup> وعلمه،<sup>(10)</sup> وشواهده،<sup>(11)</sup> وغريبه،<sup>(12)</sup> وآحاده،<sup>(13)</sup> ومتواتره،<sup>(14)</sup> ومجموع كلمات هذه الكتب لا تصل الى خمس وعشرين مليون كلمة أي ما يعادل خمسين مليون «بait» (البait هو الرمز المستعمل لستة ذاكرة الحاسب الالكتروني). وبذلك يلزمها حاسب من الحجم المتوسط ، وهو يحتاج الى عامين لبرمجته وإدخال جميع المعلومات السابقة الى ذاكرته . وإذا استطاع المسؤولون تغذية ذاكرة الحاسب بجميع الكتب والمخطوطات . فسيكون أعظم وأوثمن مكتبة في علم الحديث في العالم . ويمكن الاستفادة من الحاسب الالكتروني بفائدة :

الأولى : أن نوجه له السؤال البسيط التالي : اذكر لنا أين نجد حديث «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلَيَسْبُوا مَقْعَدَهُ مِنَ التَّارِ»<sup>(15)</sup> وما هي جميع أسانيده وألفاظه ، وما قاله العلماء في روايته جرحه وتعديلاته واذكر لنا اسم كل رجل

9) الغريب : الحديث الذي اشتهرت 11) المتواتر : هو ما رواه جمع من روایته في موضوع . الناس يمتنع اتفاقهم وتواطؤهم

10) الأحاداد : ما رواه واحد فقط . على الكذب <sup>(16)</sup> رواه مسلم .

ورد في أسانيده . وإن هي إلا لحظات حتى نرى الإجابة قد ظهرت مطبوعة أمام عيني السائل ، عندها يأتي دور السائل في التحقيق والاستنتاج .

ويمكن أن نطرح عليه السؤال التالي : ما هي الأحاديث التي روتها الإمام البخاري عن شيخه علي بن المديني فنجد الجواب بعد لحظات . ونوجه له سؤالا آخر : ما هي الأحاديث التي رویت من طريق ابن شهاب الزهري ؟

وبذلك يستطيع طالب العلم والمشتغل بالسنة أن يوفر الوقت والجهد والمثال وأن يصل إلى الحق والصواب مطمئنا إلى النتائج والمعلومات المعطاة له من الحاسب ، فيحكم بها على الحديث من خلال مناقشة أحوال سندِه ورجاله .

الثانية : و إذا أدخلنا معلومات أصول علم الحديث إلى ذاكرة الحاسب وأدخلنا آراء أئمة الحديث في المسائل مع نسبة كل رأي إلى قائله لأمكنتناأخذ الجواب من صحة أو ضعف الحديث من الحاس卜 اعتمادا على ما أثبَّتَ عليه من معلومات ، وبذلك يتحقق نصر كبير طالما حلم به الناس قديما وحديثا لمعرفة صحة الآثار من ضعفها .

ويمكن للحاسب أن يذكر اتفاق المحدثين على حديث ، أو اختلافهم بحديث . وإذا كان علماء الحديث يتخوفون من الحكم على الأحاديث بواسطة الحاسب الإلكتروني بحجة أنه ربما يخطئ ، فإن نسبة خطأ الحاسب أقل من خطأ الإنسان ، بل تكاد تكون معدومة ، وعلى فرض أنه أخطأ فان هناك أجهزة إنذار تنبه عند حدوث الخلل والخطأ فهو يعترف بذلك بل يحدد النقطة التي أخطأ فيها ، ويمكن عندئذ محو المنطقة المشكوك فيها ، والحصول على الجواب الصحيح . وفوق هذا كله ، فإن سهولة استعمال

الحاسب تُعرِّي طلبة العلم المسلمين في أنحاء الدنيا كلها ، لأن ينادوا بصوت واحد على وجوب إيجاد مثل هذا الحاسب في بلد مثل المدينة المنورة أو مكة المكرمة ، ويمكن لأي طالب علم أو عالم أو فقيه أو محدث أن يرسل سؤاله بواسطة البريد ويرسل له الجواب بالبريد ، وهذا عمل في غاية السهولة ، وهو من الأهمية بمكان .

وقد آن للMuslimين أن يخدموا سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم باستخدام مثل هذا الجهاز خاصة أنه لا يزال بين الأحياء من المسلمين بقية من علماء الحديث والمختصين به وحْفاظه يستطيعون الإشراف على برمجة هذا الحاسب ، وبوفاتهم يضعف الأمل جداً بالاستفادة من هذا العلم وتختسر الأمة خسارة لا تتوارد .

إن فكرة الحاسب الإلكتروني والاستفادة منه في علم الحديث فكرة رائعة حقاً وهي فكرة واقعية ممكنة التطبيق ، نرجو من المولى جل وعلا أن يعمي لها الرجال والممال والمكان والزمان اللازم ، وأن يؤجر العاملين على تنفيذ هذه الفكرة خير الأجر والجزاء إنه خير مسئول ، والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على محمد وآلـه وصحبه وسلم .

### [ خالد كزير ]

عن «مجلة : العلم والإيمان» العدد 22 و 23

## أسئلة حول المحوّر

- 1 - لكي نجني الثمار الصحيحة من العلم ينبغي أن يكون اخذنا منه كاملاً غير مبتور ، وأن نعنى بالباب دون القشور .  
-- وردت هذه الفكرة في أكثر من نص من نصوص هذا الباب ، أجمع شتات ما تفرق منها في هذا الموضوع ، وناقشها موضحاً ذلك بالأمثلة .
- 2 - متى يكون الانتماء الى المدنية ظاهراً -- كما يفهم من مقالى «البحث العلمي» و «التضخم المالي» ؟ وكيف يكون الانتماء الى المدنية حقيقة وواقعاً ؟
- 3 - تحدث أكثر من كاتب ، في هذا الباب ، عن البحث العلمي ، بين موقف الاسلام من ذلك ، مستشهاداً ببعض الآيات الكريمة الداعية الى الاخذ بأسباب العلم والتدبر والبحث .
- 4 - تناول كل من الكاتبين (مخلوف عبد الحميد) (والدكتور احمد زكي) موضوع استيراد الأشياء الاستهلاكية ، ما النتيجة التي خلص اليها كل منهما ؟ وما الاضرار التي تنجم عن هذا النوع من الاستيراد ؟
- 5 - هل تجد في الموضوعات العلمية سعة لتقبل قسط مقدور من التعبير على نحو ما رأيت في مقال «التضخم المالي» للدكتور احمد زكي ؟ ووضح ما ترى من خلال ما قرات من نصوص علمية مختلفة في هذا المحوّر .





»(ز)

## الوطن العربي والإسلامي

لقد عانت أمتنا - بالشرق وبالغرب - مأسى الاستعمار الغربي الحديث حقبة طويلة من الزمن منذ أوائل القرن السادس عشر . حيث سلبت حقوقها في العيش ، وحرمت نعمة العربية . فاصيبت في جميع مقوماتها المادية والروحية ، حتى كادت تفقد احساسها بالعزّة والكرامة .

من بين يسهل اللوان عليه  
ما لجرح بيت ايلام

ولكن الله سلم ، فقيض لها من ابنتها من ينفع فيها روح الجهاد ويعنثها من مرقدها ، حتى تحررت شعوبها الواحد تلو الآخر . ولم يبق الا جزءٌ غالٌ غزيزٌ عليها ، هو فلسطين التي يخوض شعبها منذ ثلاثين سنة كفاحاً مميراً ، سيتوج باذن الله بالنصر المبين .

وإذا كانت مشاكل وطنك الكبير مشتركة ، ومصيره واحد ، فمن الضروري أن تطلع على ما يجري في أرجائه ، من حركات فكرية ، وأحداث سياسية .

تمهيد :

يعد بعض الكتاب الأجانب - حين يتناولون قضية الثورة الجزائرية وعلاقتها بال القومية العربية - إلى التفصيل وطمس الحقائق ، فعد ابعاد الجزائر عن ساحة النضال العربي ، واغفال دورها التاريخي في حركة التحرر العربي في المنطقة .

فقد روج الغربيون على الصعيدين : التاريخي والسياسي فكرة : ان الثورة الجزائرية (الأطيمية) لا صلة لها بعروبة او اسلام . وقد نسي هؤلاء بل تجاهلوا : ان الجزائر عام 1830 كانت جزءاً من العالم العربي الاسلامي ، وان الاحتلال الجزائري كان بداية استعمار الغرب للعرب ، وان المقاومة في الجزائر حركة قومية دائمة نابعة من اصالتها في العروبة والاسلام :

النص :

سباب دعواني الى كتابة هذا البحث : الاول : هو الخطأ الكبير الذي وقع فيه مؤرخو القومية العربية من عرب وأجانب ، حين تناولوا أسباب ظهور هذه الحركة وزمانها ومكانها . والثاني : هو النزعة الغربية التي تروج الآن في الجزائر لأقلمة الثورة الجزائرية .

في المنطق التاريخي :

يقوم هذا البحث أساساً على المقدمات والنتيجة التالية :

- (1) ان الوطن العربي كان دائماً يمثل وحدة متكاملة .
- (2) ان هذا الوطن كان الى عام 1830 يخضع للنفوذ الروحي للخلافة الاسلامية .

- (3) وانه الى ذلك التاريخ لم تظهر أية حركة قومية عربية بالمفهوم الحديث للقومية .

- (4) ان قومية أية امة هي رد فعل ضد خطر أجنبي سواء كان حقيقة أو تصورياً .

(\*) من كتاب : منطلقات فكرية للاستاذ أبو القاسم سعد الله - ص 109 وما بعدها - بتصرف

5) ان الجزائر كانت أول جزء من الوطن العربي يتعرض لمثل هذا الخطر الأجنبي .

والنتيجة : هي أن مقاومة الشعب العربي في الجزائر منذ 1830 تعتبر أول مظهر من مظاهر القومية العربية بمعناها الحديث .

وهكذا يمكن التوصل الى هاتين المعادلين :

**المادلة الأولى :**

- أ — كانت الجزائر عام 1830 جزءا من الوطن العربي .
- ب — كل اعتداء على جزء من هذا الوطن يعتبر اعتداء عليه كله .
- ج — إذن فالاعتداء على الجزائر اعتداء على الوطن العربي .

**المادلة الثانية :**

- أ — المقاومة في الجزائر التي تلت الاحتلال الفرنسي كانت رد فعل ضد الخطر الأجنبي .
- ب — كل حركة مقاومة عربية ضد الخطر الأجنبي هي حركة قومية .
- ج — إذن فالمقاومة العربية في الجزائر حركة قومية .

ومن هنا يظهر أن الجزائر كانت مرکز ميلاد القومية العربية وأن عام 1830 كان عاما حاسما في التاريخ العربي الحديث . ذلك أن المقاومة العنيفة المستمرة التي واجهها الاحتلال ، كانت مقاومة عقائدية وشعبية . فمن الناحية العقائدية كانت تمثل الصراع بين حضارتين مختلفتين وقوميتين لا يمكن التعايش بينهما . ومن الناحية الشعبية كانت مقاومة الشعب العربي في الجزائر تمثل القيمة العاطفية (الوطن ، الشرف ، الملكية ، الكرامة) للنضال . وهكذا يمكن اعتبار أفكار حمدان خوجة ، وكفاح الأمير عبد القادر تمثل الاتجاه العقائدي ، بينما تمثل ثورات الفلاحين ، والأدب الشعبي الاتجاه العاطفي .

ولكن لابد من تحذير حول هذه النقطة . ان المقاومة العربية في الجزائر كانت تعبيرا عن القومية الإسلامية والعربيه معا . فالنظر الى أن الدين قد أدى دورا هاما في توجيهها وأن قادتها قد نادوا بالتضامن الإسلامي لصد المدوان ، تعتبر حركة رائدة للجامعة الإسلامية ، وبالنظر الى أن من قاموا بها كانوا عربا ، وأن هدفها كان تحرير جزء من الوطن العربي ، تعتبر حركة رائدة للقومية العربية . والحقيقة أن هذا الدور الثنائي للمقاومة الجزائرية قد استمر الى أن انفصلت القوميتان الاسلامية والعربيه بعد الحرب العالمية الأولى . بل من الممكن القول بأنه استمر الى يومنا هذا حيث يصعب الان الفصل بين القوميتين في الوثائق الجزائرية التي صدرت بعد الاستقلال .

#### معنى القومية العربية :

من الممكن تعريف القومية العربية بأنها حركة ايديولوجية ، وعاطفية وثقافية وسياسية ، تستهدف توحيد جميع العرب باعتبارهم ينتسبون الى أمة واحدة تشتراك في التاريخ واللغة والحضارة والمصالح والمصير .

إنها حركة «ايديولوجية» لأن لها مضمونا فلسفيا وانسانيا ، وهي حركة عاطفية لأنها تقوم على رد فعل جماهيري ، وغيره على التراث القومي ، وحماس روحي لتحقيق رسالتها . وهي حركة ثقافية لأنها تؤمن بایجادية الحضارة العربية ماضيا ومستقبلا ، وتعتمد على لغة أثبتت قدرتها على ترجمة الأفكار الانسانية في شتى صورها وعصورها . وأخيرا فهي حركة سياسية لأنها ترمي الى الوحدة الشاملة بين أجزاء الوطن العربي ، وتدافع بكل قوة عن تراث وشخصية وحدود الأمة العربية . ومن الواضح أن القومية العربية بهذا المعنى ، ليست حركة عنصرية ولا طائفية . إنها ببساطة واختصار : حركة ، قومية ، دفاعية ، إنسانية .

ولكن ما الوطن العربي ؟ انه ليس المنطقة الجغرافية التي حددها السياسيون فقط ، وليس الحدود التي تظهر في الشعار (من الخليج الى

المحيط) فحسب ، ولكنه يشمل جميع المناطق (الناطقة بالضاد) التي يؤمن أهلها بالقومية العربية ، بناء على التعريف السابق ، باعتبارها حركة قومية نضالية إنسانية .

غير أنه من الواضح أن القومية بمفهومها الحديث ، لم تظهر إلا بعد الثورة الفرنسية ولم تنتشر وتنتوى في أوروبا إلا بعد وحدتي ألمانيا ، وإيطاليا ، ولم تتخذ شكلًا إيجابياً في العالم الثالث إلا بعد الحرب العالمية الأولى . أما القومية العربية فقد ظهرت على الأقل ، بناء على التعريف السابق ، في مقاومة الشعب العربي في الجزائر للاحتلال الفرنسي ، أي منذ سنة 1830 .

إن أهم تأثير هذا البحث تتلخص في النقاط التالية :

- 1) ضرورة مراجعة النظرية الشائعة عن تاريخ القومية العربية .
- 2) وجوب بحث القضايا العربية بطريقة شاملة متكاملة ، سواء حدثت في الشرق أو في المغرب العربي .
- 3) حتمية تفسير القومية العربية على أنها رد فعل عربي ضد الخطر الأجنبي سواء كان هذا الخطر شرقياً أو غربياً .
- 4) ما دامت الجزائر أول جزء يقتطعه الأجانب من جسم الأمة العربية فإن مقاومة الشعب العربي هنا تعتبر أول مظاهر من مظاهر القومية العربية بمفهومها الحديث .
- 5) ضرورة وضع حركة النضال السياسي لـ «حمدان خوجة» ، والنضال العسكري للأمير عبد القادر في مكانهما من تاريخ القومية العربية ، على أساس أن حركة كل منها رائدة على الصعيدين : العقائدي والجماهيري .

بذلك تتظهر الحركات العربية الثورية من زيف الاستعمار الذي أعطى لكل حركة لوناً ، وتلتقي جميعاً على المستوى القومي مجتازة كل العواجز المكانية والزمانية المصطنعة لكي تساهم في بناء الأمة العربية الموحدة وتوادي رسالتها الإنسانية الخالدة .

## **مع النص**

- 1 - ما الفكرة العامة التي يعالجها النص ؟
- 2 - ما دور الثورة الجزائرية في نشأة القومية العربية كما وضحتها الكاتب ؟
- 3 - متى ظهرت فكرة القومية بمفهومها الحديث في أوروبا والعالم الثالث ؟
- 4 - ما مفهوم القومية العربية في الجزائر ، في نظر الكاتب ، والأسس التي تقوم عليها ؟
- 5 - عرض الكاتب تعاريف للوطن العربي . ما هي ؟
- 6 - يرى الكاتب : أن المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال مظاهر القومية العربية . وضح ذلك من النص .

## **تقدير النص**

### **ا - الأفكار :**

- 1 - أورد الكاتب (معادلة) لابيات : ان الجزائر جزء لا يتجزأ من الوطن العربي .
  - ما عناصر هذه المعادلة ؟ وما رأيك فيها ؟
- 2 - ما الفرق بين (الإقليمية) و (القومية) و أيهما أنفع للأمة العربية في نضالها ضد الاستعمار والتخلف ؟
- 3 - يرى الكاتب : أن عام 1830 كان حاسما في التاريخ العربي الحديث كيف ذلك ؟
- 4 - ما مركز ميلاد القومية العربية من وجهة نظر الكاتب ؟ أتفاقه ؟
- 5 - ما الطابع الذي كان يسود الثورة الجزائرية ؟ اعتقادى ام شعبي ؟ وضح ذلك .
- 6 - ما الحقائق التاريخية التي تناولها الكاتب ؟ وما الهدف الذي يرمي اليه .
- 7 - ما عوامل الوحدة العربية ؟ اهناك عوامل أخرى تضييقها ؟ بين وناقش .

### **ب - الأسلوب :**

- 1 - به يتسم أسلوب الكاتب في هذا النص ؟ وما رأيك فيه ؟
- 2 - في أي لون من الوان الأدب يندرج هذا النص ؟ ولماذا ؟

## استئثار النص

### ١ - سجل في كراسك الخاص :

- ١ - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لَيَسْتِ الْعَرَبِيَّةُ بِأَنْ لَأَحِدٍ مِنْكُمْ أَوْ أُمُّ ، وَلِإِنَّا هِيَ اللِّسَانُ ، فَمَنْ تَكَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ فَهُوَ عَرَبٌ» .  
٢ - (ان الوطن العربي كان دائماً وحدة متكاملة).  
٣ - (ان هذا الوطن كان في عام 1830 يخضع للنفوذ الروحي للخلافة الاسلامية).  
٤ - (ومن الواضح ان القومية العربية ليست حركة عنصرية ولا طائفية .  
انها بساطة واختصار : حركة قومية دفاعية . انسانية).  
**ب - لاحظ :** كلمة (وحدة) وانها تستعمل لاوجه مختلفة منها :  
الانفرادية : ضد الكثرة . الوحدة الفلكية او النظام الشمسي : معدل  
بعد الأرض عن الشمس .  
النمساك والترابط والاتحاد بين اثنين او جماعة او امة .  
ومنه : وحدة القصيدة . وحدة الانتاج . وحدة الصف . الوحدة  
العمالية . الوحدة السكنية . الوحدة الحرارية .

### ج - طبق :

- ١ - بين : الملكية - النفوذ - الشرف - الكرامة - النضال .  
استخرج من هذه الكلمات افعالها . واذكر ما لهذه المصادر من اوجه  
استعمال ، مستعينا في ذلك بخبرتك اللغوية وبالقاموس .
- ٢ - انسج على منوال العبارة الآتية :  
مادامت الجزائر اول جزء يقتطعه الاجانب من جسم الامة العربية ،  
فإن مقاومة الجزائريين تعتبر اول مظاهر القومية العربية بمفهومها  
الحدث .
- ٣ - حرر : . . .  
اكتب موضوعاً تبين فيه مدى ارتباط الجزائر وعلاقتها بالوطن العربي  
والاسلامي : تاريخياً وحضارياً وسياسياً .

تمهيد :

عقد السيد عبد الرحمن الكواكبي<sup>(\*)</sup> فصلاً في كتابه «أم القرى» عالج فيه أسباب ضعف المسلمين وتاخرهم ، فتحدث فيه عن جمعية من المسلمين عقدت في مكة ، حضرها مثل او اكثر لكل قطر اسلامي . ويتلخص برنامج المؤتمر ، في بحث موضع الداء في المسلمين واعراضه وجرائمه ودوائه وكيفية استعماله .. الخ ..

النص :

قال الرئيس : إن أوضح عَرَض من أعراض مرض المسلمين *فتورُهم* ، وهو فتور عام شامل لجميع المسلمين في جميع أقطار الأرض ، لا يسلم منه إلا أفراد شذاذ ، حتى لا يكاد يوجد إقليمان متباينان ، أو ناحيتان في إقليم ، أو قريتان في ناحية ، أو بستان في قرية ، أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين ، الا والمسلمون أقل من غيرهم نشاطا واتظاما ، وأقل إتقانا من نظرائهم في كل فن وصنعة – مع أن المسلمين في جميع العواصم تميزون عن غيرهم من غيرهم في المزايا الخلقية ، مثل الأمانة والشجاعة والبسالة – حتى توهم كثير من الحكماء ، أن الإسلام والنظام لا يجتمعان ، فما هو السبب ؟

وقد لفت ظهره العضو الهندي الى أنه مع تسليمه بما قال الرئيس ، يود أن يستثنى بعض حالات فيها المسلمون خير من غيرهم ، كبعض الوثنيين في الهند ، والصادمة في العراق ، فوافقه الرئيس وشكره على دقة ملاحظته .

(\*) مفكر سودي ورائد من رواد النهضة العربية الحديثة . توفي سنة 1902 م . ومن آثاره : «غادة أم القرى» و «طابع الاستبداد».

ثم أخذوا — بعد التسليم بوجود — العرض — يبحثون في الأسباب . وذهبوا في ذلك كل مذهب ، فالشامي رأى أن سبب الفتور يرجع إلى ما أصاب المسلمين من عقيدة جبرية ، فهذه العقيدة في القضاء والقدر على هذا النحو آلت إلى الرهد في الدنيا ، والقناعة بالسيير والكافف من الرزق ، وإيمانة المطالب النفسية كحب المجد والرياسة ، والأقدام على عظام الأمور ، فأصبح المسلم كميت قبل أن يموت . والعقيدة بهذا الشكل مثبطة معطلة لا يرضها عقل ، ولم يأت بها شرع .

وال المقدسي رأى أن السبب تَحُوّل نوع السياسة الإسلامية من ديمقراطية إلى استبدادية فأفقدت العقول وأمامات الأخلاق .

ورد التونسي بأن بعض الأمم الأوروبية محكومة بحكومة استبدادية ولم يمنع ذلك من تقدمها وإنما السبب في نظره الأمراء المترفون الذين لم يرعوا للأمة حقوقها .

وقال الروسي : إن تحصيل الأمراء التبعية كلها غير سديد ، فما هم إلا نفر قليل من الأمة . والسبب الحقيقي في نظره فقدان المسلمين الحرية بجميع أنواعها : من حرية التعليم ، وحرية الخطابة ، وحرية البحث العلمي ، ففقد الحرية فقد الآمال ، وتبطل الأعمال وتموت النفوس ، وتختل القوانين وتسأم الأمة حياتها فيستولى عليها الفتور .

ورأى التبريزي أن السبب تَرَكُ المسلمين أَضَلَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فاسترسل الأمراء في أهوائهم وشهواتهم ، وعدمت المراقبة عليهم .

وقال الفاسي : إن السبب هو إهمال الناس الاهتمام بالدين ، حتى لم يبق له أثر إلا على أطراف الألسن ، وأمرؤهم مثلهم لا يتراءون بالدين إلا بقصد تمكين سلطانهم على البيطاء من الأمة ، هذا إلى ظلمهم وجحودهم . وقد كان المسلمون أعزاء يوم توقيت بينهم الرابطة الدينية ، فلما انحلت ضاعت الأخلاق ففتروا وحمدوا . \*

وأجاب المدني بأن فقد الرابطة الدينية والوحدة الخلقية لا يكفي سبباً لهذا التصور العام ، وعنه أن السبب تدليس رجال الدين وغلة المتصوفين والذين لوثوا الدين بلون سمع فاضاعوه وأضاعوا أهله ، وذلك أن العلماء العاملين أهل لكل تجلة واحترام ، فلما حسدتهم من لا يستحق هذه المزلة سلكوا مسلك الزاهدين . ومن العادة أن يلجأ ضعيف المقدرة إلى التصوف كما يلجأ فاقد المجد إلى الكبر، وقليل المال إلى التظاهر بزينة اللباس والأثاث، فأفسد هؤلاء الدين بما أدخلوا فيه ما ليس منه ، كالعلم اللدني<sup>(١)</sup> وترتيب المقامات ، ووراثة السر ، والرهبة<sup>(٢)</sup> والتظاهر بالعفة ، والتبرك بالأثار ، والكرامة على الله ، والتصرف في القدر . فسحرعوا عقول الجهلاء ، واختلبوا قلوب الضعفاء كالنساء ، والنساء بذرن هذه البذور الضارة في أبناءهن وبناتهن ، فماتت النفوس وخرفت العقول . وهؤلاء المتألسون وجدوا في بغداد ومصر والشام وغمروا السوق في الآستانة ، وسرى التدليس من هذه العاصم إلى جميع الأفاق فأصبح المرض عاماً .

وانضم الرومي إلى هذا الرأي وزاده إيضاحاً ، فقال : إن داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين والجهال المتعلمين ، وبلغ أمرهم في البلاد العثمانية أن صارت الألقاب العلمية منحة رسمية تُعطى للجهال ، حتى للأمين والأطفال (كمشيخة الطرق عندنا). فقد يكون طفلاً ويُمْتنع بالوراثة لقب «أعلم العلماء المحققين» ، ثم «أفضل الفضلاء المدققين» ، ثم .... حتى يوصف بأنه «أعلم العلماء المتبحرين» ، وأفضل الفضلاء المترعرعين ، وينبعو الفضل واليقين» وأكثرهم لا يحسنون حتى قراءة ألقابهم . وطبعيًّا أن هؤلاء يقابلون السلطان بالمثل ، فهو صاحب العظمة والإجلال ، المزه عن النظير والمثال مهبط الالهامات ، مصدر الكرامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين . وأصبح التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة

(١) العلم اللدني : العلم الرباني عن طريق الالهام .

(٢) الرهبة : الرهد في الدنيا .

وسائل الخدم الدينية سلعاً تباع وتشترى ، وتوهّب وتورث . وتسلط هؤلاء المتصممون على المجالس والأدارات واتخذ الأمراء من ذلك وسيلة يعتذرون بها عند الدول الأجنبية بأن الرأي العام — وعلى رأسه المعمون لا يقبلون الاصلاح المدنى .

أجاب الكردي بأن هذا الداء خاص ببعض الولايات : ولكن عَرَض القبور عام في الولايات الإسلامية التي فيها هذا الشأن وغيره ، فلابد أن يكون السبب شيئاً أعم من ذلك . وعندي أن السبب هو أن المسلمين أصبحوا باقتصرارهم على العلوم الدينية وأهملتهم العلوم الدنيوية ، كالبرائحة والطبيعة والكيمياء ، على حين أن هذه العلوم نَتَتْ في الغرب وترَقَّتْ وظهر لها ثمرات عظيمة في جميع الشؤون المادية والأدبية ، حتى صارت عندهم كالشمس ، لا حياة لهم إلا بنورها ، وأصبح المسلمون في أشد الحاجة إليها في جميع أمورهم : من تربية الطفل إلى سياسة الدولة ، ومن عمل الإبرة إلى عمل المدافع والبوارج ، ومن استخدام اليد إلى استخدام الأسلاك والبخار — فابتعد المسلمين إلى الآن عن هذه العلوم النافعة الحيوية ، جعلهم أحاط من غيرهم من الأمم ، وكلما تمددت الأيام بعُدَتْ النسبة بينهم وبين جيرانهم .

أجاب الاسكندرى : إن هذا يصلح سبباً ، ولكن ليس كل السبب ، لأن فقد العلوم لا يصلح سبباً لفقد الاحساس الشريف والأخلاق العالية ، وإنما السبب نومنا وأيأسنا .

قال التترى : إن هذا شكاية حال لا شرح أسباب . إنما السبب عندي فقدان القادة والزعماء ، فلا أمير حازم يسوق الأمة طوعاً أو كرها إلى الرشاد ، ولا زعيم مخلص تققاد له الأمراء والناس ، ولا رأي عام يجمع الناس على غرض نبيل .

والافغاني يرى أن سبب الفتور الفقر ، وهو قائد كل شر ، ورائد كل فساد ، فمنه الجهل ، ومنه الانحطاط الخلقي ، ومنه تشتت الآراء حتى في الدين ، فليس ينقصنا عن الأمم الحية إلا القوة المالية ، ولكن المال لا يأتي إلا بالعلوم والفنون العالية ، وهذه لا تنشر في الأمة إلا بالمال . وبهذا تحدث مشكلة الدّور ، ويجب أن نبحث عن حلها .

أجاب المسلم الأنجلزي : إن الفقر في المملكة الإسلامية ليس طبيعيا ،  
 فهي بلاد غنية ، لو تقدّت تعاليم الإسلام فيها من تحصيل الزكاة والكافارات<sup>(3)</sup> .  
 وما إلى ذلك وصُرِفتْ في وجوهها لَحْقَتْ وَطَأَةَ الفقر وإنما سبب الفتور في  
 نظره فقد الاجتماعات والمفاسدات وتبادل الآراء ، ففي المسلمين حكمة  
 تشريع الجمعة والجماعات والحج ، وصارت الخطب التي تُلْقَى تافهة لا قيمة  
 لها ، وكان الغرض منها التحدث في الأحوال الطارئة . وبلنف من سوء رأيهم  
 أنهم عدوا التحدث في الأمور العامة فضولا ، والكلام فيها في المساجد لَعْواً ،  
 فلما انعدم الكلام في المصالح العامة أصبح كل شخص لا يهتم الا بنفسه ،  
 ولا اهتمام له بالصالح العام ولا بغير ذلك من الشؤون ، حتى لو بلغتهم خبر  
 تغريب الكعبة – لا قدر الله – ما زادوا على أن يُقطِّعوا جَيْنِيهِم لحظة وينتهي  
 الأمر . والأمم الحية في الوقت الحاضر تهبيء الفرص للجمعيات ومباردة  
 الآراء ما أمكن ، بكثرة النوادي والمجتمعات ، وتنظيم الرحلات والسياحات ،  
 وكثرة الخطب والمحاضرات حتى في المنتزهات ، وعقد المؤتمرات المناسبات ،  
 وتذكيرهم بتاريخهم وأهم أحداثهم ، وبثهم في الأغاني والآناشيد ما يبعث  
 على حب البلاد والحرية ويحسّن للخير العام .

<sup>(3)</sup> الكفارات : ج . مفرد كفارة : وهي ما يستغفر به الآثم من صدقة وصوم  
 ونحو ذلك .

ورأى الصيني أن السبب هو تَكْبِيرُ الأمراء، وميلهم للعلماء المتكلمين المافقين ، الذين يتصاغرون لديهم ، ويذلّلون لهم ، ويحرفون أحكام الدين ليوافقوهم على أهوائهم ، فماذا يُرجِي من علماء دين يشترون بدينهم دنياهم ، وَيُقْتَلُونَ يدَ الْأَمِيرِ لِتُقْتَلِ الْعَامَةُ أَيْدِيهِمْ ، ويحقرون أنفسهم للعظماء ليتعاطلوا على أَلْوَفِ مِنَ الْفَضْلَاءِ ، فأفضل الجهاد عند الله الحط من قدر العلماء المافقين عند العامة ، وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاملين ، وعندنا في الصين رجال حكماء نبلاء ، لهم نوع من السيادة حتى على العلماء ، وهؤلاء هم الذين يُسْمَونَ فِي الْإِسْلَامِ أَهْلَ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ<sup>(4)</sup> ، وهم خواص الطبة العليا في الأمة الذين أمر الله نبيه بمشاورتهم .

وتاريخ المسلمين يدل على ارتباط القوة والضعف بنزلة أهل الحل والعقد في الأمة . والخلاصة أن سبب الفتور استحكام الاستبداد في الأمراء، وانعدام أهل الحل والعقد من الأمة » .

[ عبد الرحمن الكواكبى ]

---

<sup>(4)</sup> أهل الحل والعقد : أهل الشورى من العلماء وغيرهم .

النص :

مرحلة ما بعد الاستقلال هي أصعب مراحل الاتقال ، والوطن العربي جزء من العالم الثالث الذي واجه التخلف والفقر والاستغلال بسبب الاستعمار في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وعلى الرغم من انحسار الاستعمار الغربي في القرن العشرين ، فإن مشكلات التخلف ما تزال التحدى الأساسي أمام المجتمع العربي . فهل ستتمكن الأمة العربية من التغلب على هذه المشكلات والانطلاق إلى مرحلة البناء الجديد ؟

إن أهم مصادر قوة الوطن العربي الطاقة البشرية ، بالإضافة إلى النفط والماء ، فإن الطاقة البشرية أهم المصادر التي لم تستغل بعد في مرحلة البناء الجديدة . ولقد أثبتت تجارب بعض شعوب العالم الثالث وخاصة الصين وفيتنام وكمبوديا ، أن الطاقة البشرية هي أساس مرحلة التحرر والتحول الجذري في المجتمع .

ويضخم بعض الكتاب الغربيين والعرب دور التقنية الغربية في حل مشكلات الوطن العربي ، ويعدوها بعضهم العامل الأساسي لحل مشكلات التخلف ، ولكن القوة الأساسية في الوطن العربي هي الطاقة البشرية ، وهي اليوم مبعثرة ، مقيدة ومقطوعة ، ولو نظمت وعثت لكان البديل للمساعدات الأمريكية والخبرة الغربية .

إن الإرادة البشرية هي التي توجه الآلة الغربية لاعكس ، فإن انعدمت الإرادة العربية والتنظيم الجماهيري فلا يمكن الاستفادة من التقنية الغربية .

ومن هنا تأتي أهمية دور المثقفين والعلماء العرب ، فهم جزء أساسي من الطاقة البشرية ، بل أهم مقوماتها ، وهم يمثلون الفئة المدربة والخيرة التي ستتحمل عبئاً رئيسياً في عملية البناء الجديد .

ان العالم الثالث والعالم العربي في أمس الحاجة الى مثقفيه وعلمائه ولقد صرفت الأقطار العربية ملايين الدولارات على بعثتها العلمية، لذلك تُعد هجرة الكفاءات العربية خسارة مزدوجة ، فهي ضياع لاستثمارات هامة ، كما أنها خسارة لطاقات مطلوبة في المجتمع النامي .

لا شك أن (الكفاءات العربية) مهملة في الوطن العربي ، ولكن الكتاب يطلقون تعبير «الكفاءات العربية» على العلماء العرب في الخارج ، بينما يجب أن يشمل هذا التعبير العلماء والكفاءات خارج الوطن العربي وداخله .

إن الكفاءات العربية داخل الوطن العربي طاقات هامة أيضاً ، ولعل إهمال هذه الطاقات والكفاءات في الداخل هو أحد الأسباب الرئيسية لهجرتها . والانسان العربي هو الطاقة الأساسية في المجتمع واهتمام هذا الانسان هو أحد الأسباب الرئيسية لعدم تمكن الوطن العربي من مواجهة مشكلاته الحاضرة ، فالفلاح والعامل العربي هما جزء من الطاقات العربية المهملة ، ولا يمكن للمثقف أو العالم ان يؤدي دوراً فعالاً في مجتمع يضطهد فيه الفلاح والعامل .

كما أن المرأة العربية التي تمثل نصف الطاقة البشرية في الوطن العربي، ما تزال محرومة من المشاركة في عملية البناء الجديد . وفي بعض الأقطار العربية تمنع المرأة من العمل .

فالمسألة اذا ليست كيفية استعادة الكفاءات العربية من الخارج فقط ، وإنما هي كيفية توفير الظروف الملائمة للاستفادة من الطاقات والكفاءات البشرية في الداخل ، وما يتبع ذلك من القضاء على أسباب هجرة الكفاءات العربية الى الخارج .

وقد ركزت بعض الدراسات على العوامل الخارجية التي تؤثر في هجرة هذه الكفاليات ، ولكن العوامل الداخلية أهم كثيراً من العوامل الخارجية ، ولو استطاع الوطن العربي حل بعض مشكلاته الداخلية وتوفير الجو السياسي والاقتصادي والاجتماعي المناسب ، لما هاجرت هذه الكفاليات مهما كان اغراء العوامل الخارجية .

فما العوامل الداخلية التي تعوق الاستفادة من الطاقات البشرية في العالم العربي ؟

#### العوامل السياسية (والبيروقراطية) :

إن الوضع السياسي هو الاطار الأساسي لعملية الاستفادة من الطاقات البشرية ، ففي المراحل التي تزدهر فيها الديموقراطية والحرية والاستقرار السياسي ، يزدهر فيها أيضاً العقل البشري ، ويشترك في عملية بناء مجتمعه ..

ويواجه المثقفون العرب أجهزة مكتبية (بيروقراطية) خلفتها عصور الحكم الشماني والاستعمار الغربي. تقف هذه المكتبة الحكومية – بقوائينها وأحكامها ومؤسساتها – عائقاً رئيسياً في وجه التغيير الجذري المطلوب في المجتمع العربي ، ويجد العالم والمثقف العربي نفسه مقيداً لدى هذه المؤسسات الحكومية ، ويفقد القدرة على الاتاج والإبداع في مجاله العلمي والثقافي .

لذلك يحتاج الوطن العربي إلى تغيير جذري يقتلع هذه المؤسسات القديمة ، ويعيد بناء المؤسسات الحكومية بشكل يتلاءم مع متطلبات المجتمع الجديد ، ويفتح المجال أمام العقل والفكر العربي للقيام بدوره المطلوب . كما أنه لابد من إنشاء مؤسسات علمية وثقافية جديدة بعيدة عن المكتبة الحكومية ، لتكون مراكز بعث للنهاضة العربية الجديدة .

## **العوامل الثقافية والاجتماعية :**

يواجه الوطن العربي ، بسبب مروره بمرحلة تطور اجتماعية مشكلات وأزمات ثقافية واجتماعية عديدة تؤثر تأثيراً مباشراً في المثقفين العرب ، وفي دورهم في المجتمع العربي .

إن أشد هذه الأزمات ما يواجهه المثقف والعالم الذي قضى فترة في المجتمع الغربي ، واستمد ثقافته وعمله من هذا المجتمع .. فهو يواجه لدى عودته إلى الوطن العربي مجتمعاً له تقاليده وعاداته التي تصطدم بالتربيّة والتنشئة الغربية للمثقف . وتزداد حدة هذه الأزمة بسبب الصراع الدائر في الوطن العربي حول هذه القضية خصوصاً في مرحلة الاتصال التي لم تتضح فيها معالم (الهوية) <sup>(1)</sup> العربية المعاصرة ، أو الاتماء <sup>(2)</sup> العربي .

وأزمة الهوية مرتبطة بأزمة أساسية أخرى هي أزمة الفكر العربي .. تؤثر هذه الأزمة على العالم العربي ، فلابد أن يوضح موقفه من التيارات الفكرية المطروحة ولكن في الوقت نفسه يرغب في التفرغ لعمله العلمي الموضوعي ، لذلك يقف العقل العربي مشتاً بسبب هذه الأزمة الفكرية ..

إن إعادة بناء المعاهد التربوية العربية ، وإعطاءها الأولوية في خطة التنمية، جزء أساسي من عملية حل مسألة الهوية، ولابد أن تلتزم المؤسسات التعليمية بالبرنامـج المرتـبط بعمـلية التـغيير والـبناء الجـديـد في المجتمع العربي . إن ربط المدارس والجامعات العربية بشكلـات المجتمع العربي يساعد على توجيه الفكر والعقل العربي نحو الاهتمام بحل مشكلـات المجتمع الجديدة ، عن طريق البحث العلمي والموضوعي .

---

(1) الهوية : مميزات الشخصية .

(2) الاتماء : الاتساب .

ويواجه المثقفون العرب مشكلات ذاتية عديدة تؤثر في مشاركتهم في العمل بالوطن العربي ، فمن واقع ثقافته الغربية المادية يتطلع المثقف إلى التقدم السريع في المجتمع ، فالشهادة بالنسبة إليه هي وسيلة للوصول إلى المناصب العالية ، لذلك يلجأ بعض المثقفين إلى التقرب من السلطة والتخلي عن المبادئ والقيم العلمية ، في سبيل الوصول إلى المناصب الكبيرة ..

#### العوامل الاقتصادية :

يعتقد بعض الكتاب العرب أن توفير المكافآت المالية المغرية يساعد على عودة الكفاءات <sup>(3)</sup> الغربية واستقرارها في الوطن العربي . إن توفير الموارد المالية هام ولكنه ليس في أهمية العوامل السياسية والاجتماعية والفكرية . إن المشكلات المالية ثانوية بالقياس إلى العوامل الأخرى التي سبق بحثها ، والمثقف الملزوم مستعد للتضحية المالية إذا توافرت الظروف الأخرى المذكورة .

والخلاصة أن العقل البشري وطاقة الإنسان العربي هما الباعثان الأساسيان للنهاية العربية ، فلا يمكن بعث حضارة ونهضة جديدة بدون تحرير الإنسان العربي ، وتمكينه من المشاركة الفعالة في بناء مجتمعه الجديد ، ولا يمكن تحرير العقل العربي إلا عن طريق تحرير الإنسان العربي ، لأن العقل هو جزء من الإنسان .

[**الدكتور حاتم الحسيني**]  
«مجلة الشورى - ماي 1977»

(3) الكفاءات : القراءات .

النص :

كلامكِ كان أغنية  
 وكنتُ أحراول الانشاد  
 ولكن الشقاء أحاط بالشقة الريعيه .  
 كلامك ، كالبنيونو ، طار من يتي  
 فهاجر باب منزلنا<sup>(٢)</sup> ، وعيتنا الغريفيه  
 وراءك .. حيث شاء الشوق ..  
 وانكسرت مرايانا<sup>(٣)</sup>  
 فصار الحزن ألفين  
 وللنفنا شظايا الصوت ..  
 لم تُقْنِ سوى مَرْثِيَّة الوطن !  
 سنزرعها معًا في صدر قيثار  
 وفوق سطوح نكتبنا ، سننجزقها  
 لأقمار مشوقة ، وأحجار  
 ولتكن نَسِيتُ .. نسيت يا مجهرة الصوت  
 رحيلك أضدًا القيثار .. أم صمتني ؟  
 رأيتكِ أمشي في الميناء<sup>(٤)</sup>

(١) محمود درويش : شاعر فلسطيني معاصر . 2) انكسرت مرايانا : فقدنا حياة الامن

(٢) هاجر باب منزلنا : أي آل منزله والطمانينة

(٣) الميناء : رمز الغربة .

مسافرةً ، بلا أهلٍ .. بلا زاد  
رَكَضْتُ إِلَيْكَ كَالْأَيْتَامِ ..  
أَسْأَلُ حِكْمَةَ الْأَجْدَادِ .. :

« لِمَاذَا تُسْبَحُ بِيَّارَةُ الْخَضْرَاءِ »<sup>(4)</sup>  
إِلَى سِجْنٍ ، إِلَى مَنْفَى ، إِلَى مِينَاءٍ ؟  
وَتَبَقَّى ، رَغْمَ رَحْلَتِهَا  
وَرَغْمَ رَوَاحِ الْأَمْلَاحِ وَالْأَشْوَاقِ<sup>(5)</sup> تَبَقَّى دَائِمًا خَضْرَاءً ؟

وَأَكْتُبُ فِي مُفْكَرَتِي :  
أَحْبُّ الْبَرْتَقَالَ ، وَأَكْرَهُ الْمِينَاءَ  
وَأُرْدِفُ فِي مُفْكَرَتِي ..

وَقَفْتُ .. وَكَانَتِ الدُّنْيَا عِيُونَ شَتَاءً<sup>(6)</sup>  
وَقَسَرَ الْبَرْتَقَالَ لَنَا .. وَخَلَفَ كَانَتِ الصَّحَراءِ<sup>(7)</sup>  
رَأَيْتُكَ فِي جَبَلِ الشَّوْكِ<sup>(8)</sup>  
رَاعِيَةً بِلَا أَغْنَامِ<sup>(9)</sup>  
مَطَارَدَةً ، وَفِي الْأَطْلَالِ ..  
وَكُنْتَ صَدِيقَتِي ، وَأَنَا غَرِيبُ الدَّارِ  
أَدْقَّ الْبَابِ يَا قَلْبِي  
عَلَى قَلْبِي ..  
يَقُومُ الْبَابُ وَالشَّبَاكُ ، وَالْأَسْنَتُ وَالْأَحْجَارُ !

7) قشر البرتقال لنا : اشارة الى نهب الصهيونيين للارض .

8) يقصد الاهوال التي تقاسي منها

9) راعية بلا اغنام : اي ارض بلا اهل

4) اشارة الى اغتصاب الارض .

5) الاملاح : رمز العذاب واللام

6) عيون شتاء : عيون باكية .

رأيتِكِ في خوابي الماء والقمح <sup>(10)</sup>  
 محطة . . رأيتِكِ في مقاهي الليل خادمةً <sup>(11)</sup>  
 رأيتِكِ في شعاع الدمع والجُرح . . <sup>(12)</sup>  
 وأنتِ الرئة الأخرى بصدرى . . <sup>(13)</sup>  
 أنتِ أنتِ الصوتُ في شفتي <sup>(14)</sup>  
 وأنتِ الماء ، أنتِ النار ! <sup>(14)</sup>  
 رأيتِكِ عند باب الْكَهْفِ . . عند الغار  
 مُعلقةً على حَبْلِ الفسيل ثيابِ أيتامك  
 رأيتِكِ في المَوَاقِد . . في الشوارع . .  
 في الزرائب <sup>(15)</sup> . . في دم الشمس  
 رأيتِكِ في أغاني اليُسْرِ والبُؤسِ !  
 رأيتِكِ ملءاً ملح البحر والرمل  
 وكانتِ جميلة كالأرض . . كالأطفال . . كالنُّفل <sup>١</sup>  
 وأقيمتِ :

من رموش العين ، سوف أُخيط مُندِيلاً <sup>(16)</sup>  
 وأنقشُ فوقه شِعْرًا لعينيك ،  
 واسماً حين أُسقيه فَوَادًا ذابَ ترتيلًا . .  
 سأكتب جملة أغلى من الشهداء والقُبَيلَ :  
 « فلسطينية كانت . . ولم تزول » <sup>١</sup>

- 10) يقصد الآثار الباقية من أرضه . 13 ، 14) أي لا حياة له الا بأرضه
- 11) اشارة الى حياة البؤس والشرد التي هي بمعناها الرئة والماء والحرمان
- 15) يرمز الى حياة البؤس والشقاء .
- 12) شعاع الدمع : الامل الذي يلمع 16) اشارة الى تعلقه بأرضه وجده لها من وراء الدمع .

## أسئلة حول المحور

- 1 - نجحت الثورة الجزائرية في صراعها مع الاستعمار الفرنسي .  
ما أثر ذلك على الحركات التحريرية في العالم الثالث ؟ وكيف يمكن  
للثورة الفلسطينية أن تحقق أهدافها فتحرر الأرض المحتلة ؟
- 2 - إننا في عصر التكتلات : سياسياً واقتصادياً وعسكرياً .  
فما على العرب والمسلمين أن يفعلوا ليكون لهم مكانهم في الوجود ؟



## «ح» نوابع وشخصيات

ان تاريخ الامة الاسلامية ، حافل  
بالامجاد التي حققها علماء الرجال ،  
في مختلف المجالات : العلمية ،  
والادبية ، والدينية ، والערבية ،  
وهيئاتي نماذج لشخصيات يجد فيها  
شبابنا القسوة والسل .

## قوة رجل

تمهيد :

هذه فقرة أولى من فصل كامل عن «الأمير عبد القادر» من كتاب «الفرنسيون في الجزائر» للكاتب «لوبي فويو» الذي زار الجزائر والعرب الجزائرية الفرنسية على أشدهما سنة 1841 م ، وقد أشار إليه الأعمي محمد ، في كتاب «تحفة الزائر» وتولت طبع الكتاب «مكتبة الشبيبة المسيحية» بموافقة أسقف مدينة «نور» بفرنسا . وقد قال مؤلف الكتاب عن هذه من تاليه : «ان تثقيف الناس فليلاً والتوجه بالدعاء والصلة الى الله أحياناً هو الهدف الوحيد الذي ارساه لنفسه كلما امسكت القلم بين أصابعها ووضعت ورقة بيضاء أمامي» وليس في نصي أن انقل هنا هذا الفصل برمه ، رغم أهميته وامتناعه . لأن الكتاب كله يستحق أن ينقل الى العربية لما يلقيه من الأضواء على فترة خاصة من التاريخ دقت فيها يد «المدينة» الاوربية على باب المغرب العربي والغربياً بيد حمراء . وهذه بعض فقرات من الفصل المذكور .

النص :

« ان فرنسا هي التي خلقت هذا الرجل الذي وجدت فيه العدو الشريف . وهذا صحيح لأن كل عدو عندما يغزو بلاداً أجنبية يجدها قد تجمعت في رجل ووقفت على رجليها تدفع العدو عن الأرض التي يجتاحها ومع ذلك فان العدو الغازي لا يخلق الرجال بهذه الصورة إلا عندما يكونون هم جديرين بطبعهم أن يكونوا رجالاً وأن يكونوا عظماء .

والحق أن نصيب فرنسا في عظمة الأمير عبد القادر نصيب ضئيل لا يكاد يذكر ! انه نال عظمته ليس فقط بوقوفه في وجه فرنسا وصدتها عن غزو بلاده ، بل لقد اكتسب عظمته من شجاعته ومهاراته معاً . نالها بتلك المهارة التي جمع بها حوله القبائل المتنافرة . ليجاهدها بها دولة كبرى وهو ما يزال في الثالثة والعشرين من عمره ! بل كان هو في تلك السن قد فرض نفسه بأنه هو الممثل الوحيد للأمة العربية في الجزائر . ولم نستطع نحن لأن نعرف به كذلك .

لقد عرف كيف يحول الخصومات الداخلية بين القبائل والعروش الى حرب ضارية ضد المسيحيين ! والواقع أن المهارة وحدها لم تكن لتكتفي في هذا المجال وإنما أضيفت الى خصال أخرى هي ثقافته وطهره ، وبلاعنته وسحر يانه ، وفروسيته التي بلغت حد الكمال ، والشجاعة التي كانت أقرب الى الجسارة .

بدأ حياته كقائد لشعب بدأية بسيطة متواضعة . ولكنه ظل دائماً بسيطاً متواضعاً في حياته ! بدأها بأن بايعته بعض القبائل ، ثم توجه الى معسكر فطلب من أهلها محلاً فقط يستقبل فيه الوفود . وبعد بضعة أيام أشعرهم بأنه من المناسب أن يكون هذا المحل مؤثثاً بأثاث بسيط . فكان له ذلك ! ثم أخذ يهتم بالشيخوخة ورجال الدين فيفاوضهم في حالة البلاد ، فكانوا يصفون اليه وهم مأخوذون بصدق لهجته . ثم أخذوا يأتون جموعاً الى بيته ، وعندما يدخلون عليه يجدونه جالساً على سجادة بسيطة والمسحة في يده فلا تبدو عليه أي علامة من علامات التعاظم ، أو القيادة والحكم ، أو البذخ والمال . ويجلسون اليه فيحدثهم طويلاً عن ضرورة توحيد الصفوف للجهاد ، مستشهداً في كل مناسبة بالأيات القرآنية .

ثم يتطرق بعد ذلك الى وضعيته هو شخصياً ، فيصارحهم بأنه بoyer لللامارة لأن مواطنيه أقنعواه بأنه أخلص رجل للدفاع عن الدين ، وأنه شخصياً لا يعني شيئاً لنفسه . كان يحرص بالخصوص على تذكيرهم بأنه لا يفهم السلطة كما يفهمها الحكام الأتراك في البلاد ، وبأنه لم يقبل بهذه الامارة الا للقيام بواجب الجهاد ، وأنه سيخرج منها فور ما تسترجع البلاد حريتها . فكان رجال الدين يخرجون من عنده وهم مقتعمون بحماس أن هذا الأمير الشاب هو الذي سيحكم بالكتاب والسنة حقاً .

ولكنه اذا كان يستولي على رجال الدين بهذه الصورة فإنه كان يسيطر على الرجال الشجعان بشجاعته . كما يسيطر على أصحاب المطامح

والأهواه بذكائه ورقة حاشيته ، وعلى المثقفين بعلمه وسعة اطلاعه ، وعلى بقية الشعب بطهارة أخلاقه التي لا يستطيع أحد أن يلوثها حتى بالدعائية المفرضة .

يضاف إلى هذه الخصال كلها أنه كان شاباً جميلاً الطلة تزيده الفروسيّة فتوة وهيبة ، وهذه الخصال في الرجل جعلت الطبقات الشعبيّة البسيطة تتناقل بشأنه قصص المعجزات . والمعجزات عند العرب كثيراً ما تختلط بالتاريخ أما الأذكياء من الناس الذين اتصلت بهم واستقيت منهم أخباره وصفاته بدقة فيتفقون كلهم في هذه الملاحظة وهي :

أنَّ الْأَمِيرَ عَبْدَ الْقَادِرَ رَجُلٌ تُسْتَطِعُ بِسَمْوَلَتِهِ أَنْ تَفْهَمَ مِنْهُ مَا يَقُولُ .  
وَلَكِنَّكَ لَا تُسْتَطِعُ أَبْدًا أَنْ تَدْرِكَ مَاذَا يَفْكِرُ .

وكل من الطبقات الشعبيّة ، ورجال الدين ، والمثقفين ورجال العرب كانوا يتحدثون في البوادي والمدن عن أميرهم بهذه الكلمات : الله أكبر الله أكبر !

أيها العرب ، اعلموا أنَّ الحاج عبد القادر بن سيدى محى الدين هو إمامنا في الجهاد ضد أعدائنا النصارى . إنه لن يفعل مثل الأتراك . إنه لن يستخلص الضرائب لنفسه ، هو أخوكم ، عربي مثلكم ! إنه منكم واليكم . الله أكبر الله أكبر» . المستمعون يردون عليهم بهذه الكلمة : «الحمد لله يا رب» إنهم يشعرون بالفخر والاعتزاز عندما يعلمون أنَّ العرب أصبح يحكمهم رجل عربي بواسطة مبايعة قام بها العرب أنفسهم . إن شيئاً من ذلك لم يقع منذ أن قدم الأتراك .

كل هذه العوامل يدرك الأمير عبد القادر أهميتها بالنسبة للمعركة . فلا يترك فرصة تمر دون أن يشيرها في المساجد والمجتمعات ويجعل منها مذهبًا عقائديًا ودستوراً لسياسته ولكنّه يفعل ذلك بمهارة تثير حماس

الجماهير . يستشهد بمهارة أيضاً بالأيات القرآنية الداعية إلى الجهاد ، ويكتب بنفس اللهجة إلى القبائل البعيدة، وينذهب بنفسه لزيارتهم، وأثناء كل ذلك لا ينقطع عن مطالعة الكتب. الكتاب هو رفيقه الدائم. وإذا تخلى عنه أحياناً فالى المسبيحة مع الدقة المدهشة في المحافظة على أوقات الصلاة . وهكذا استطاع أن يستولي على شعبه . إنهم يَفْدُونَ عليه من جميع أنحاء البلاد لمبايعته وهم محتارون بين شخصيته الدينية كولي صالح وشخصيته السياسية كملك أو سلطان . لقد كَوَّنَ الشعور الوطني عند الجماهير دون أن يجرح شعورهم باستقلال شخصيتهم وميلهم إلى الفردية ، فيتحدث إلى الفلاحين الفقراء من الشعب ويقربهم إليه ويتقرب منهم ويقول لهم : «إنتي أنا أشدكم فقراً».

والحق أنه كان كذلك . كأنه رجل يعيش دون احتياج إلى شيء . لأن حياته في متنه البساطة . بل أي حياة عنده لنفسه ؟ إن لباسه هو لباس الفقراء . فلم يشاهد يوماً لابساً برونسا مُطَرِّزاً . بل رأى أحد أقاربه لابساً هذا النوع من البرانيس فأصدر ضده عقوبة لأنه يعتبر أن الذهب ينبغي أن ينفق في الحرب لا في التزين . ولا يملك شيئاً جميلاً ما عدا فرسه وسلاحه . وعندما يفصل في الخصومات بين الناس يُظْهِر من الحكمة والظهر والضمير الحي ما يُقنع كُلَّ المخاصمين بأحكامه فلا يخرجون من عنده إلا وهم يرددون «أن هذا الرجل مبعوث من الله».

وهو يحرص على أن يطبله الأقوياء قبل الضعفاء . فأنت لا تجد قويًا يجرؤ على عصيانه وإن وجد من بين هؤلاء الأقوياء الأغنياء من يشعر بالمهانة من جراء ذلك فيحاولون أن يتآلبو أو يتآمروا . وتعلم هو ذلك فلا يتردد في قطع الرؤوس الكبيرة ، فيعلم الآخرون أن ليس هناك مائة سلطان في البلاد ، بل يوجد واحد فقط يقوم بالحرب ضد المسيحيين ، وبالسلم بين الجزائريين . والقوة التي أصبحت عنده اليوم حقيقة لا تنسى أن صاحبها بذل عاماً كاملاً في إعدادها وصيانتها والعنابة بها آناء الليل وأطراف النهار .

ان الجنرال دي ميشال عسكري شجاع . ولكن دبلوماسي رديء . قواتنا في وهران لا تستطيع مغادرتها . فلا نجد مناصا من الاتصال بالعدو . ولكن عبد القادر يعرف وضعيتنا . نطلب منه التصالح فلا يظهر أي استعجال في إجابتنا . ثم عندما يحب لا يجد الجنرال دي ميشال في جوابه ما يرضيه . بل يجد ما يسخره . الواقع أننا ما زلنا نجهل خصال الدبلوماسية العربية . ولقد قيل إن العرب يولدون فُرساناً ، وكان يجب أن يضاف ويولدون دبلوماسيين أيضاً . أضف إلى ذلك أن اليمود الذين يحيطون بالجنرال يهولون له قوة الأمير الجزائري ويزعمون أنها لا تقل عن سبعة عشر ألف رجل . والأمير عبد القادر يُحسِّن إيفاد الرجل : يرسل إلينا العرب المهدىين الدبلوماسيين المتحدين ليفاوضونا ، ويرسل المتعصبين المتشددين إلى الجزائريين الذين هم في منطقتنا ليثيروهم ضد سلطتنا . وعندما يعودون إليه يسألهم عن كل الدقائق والتفاصيل . وتأتيه الوفود من المغرب الأقصى فيرجعون من عنده متحمسين لأفكاره مأخذين بكرم طباعه وشجاعته وطهر أخلاقه .

والحق أنه رجل تطبق طباعه وتصرفاته على معتقداته . لا بل أعتقد أن أخلاقه وتصرفاته أروع من معتقداته . فهو وفي في حياته الزوجية ، وفي حياته الدينية ، وفي حتى لأعدائه . فإذا توصلنا إلى القضاء على هذا الرجل ، فإن جيشنا يكون قد أحرز على مجد حقيقي ، ولكن الإسلام يكون قد أصيب في الصميم ».

[ د عبد الله شريط ]  
«معركة المفاهيم »

## مع النص

- 1 - ما الظروف التي أبرزت عظمة الأمير عبد القادر في رأي الكاتب ؟
- 2 - كيف بدا حياته قائداً وزعيمًا ؟ وما الصفات التي رشحته للسلطة والأمارة ؟ وكيف كان مفهومه لها ؟
- 3 - ما الأسلوب الذي اتبعه في الاعداد للمعركة ، وفي تكوين الشعور الوطني للجماهير ؟
- 4 - كيف كان تعامله مع الضعفاء والقوىاء من الناس ؟
- 5 - كيف كان منهاجه السياسي مع الاعداء ؟
- 6 - لخص جوانب العظمة في شخصية الأمير عبد القادر على ضوء ما قرأت

## تقدير النص

### ا - الأفكار :

- 1 - ما العوامل التي تسهم في تكوين عظمة الرجل ؟ وما رأيك فيما ذهب إليه الكاتب في هذا الشأن ؟
- 2 - انكفي المهارة وحدها في قيادة الأمة ، أم ثمة عناصر ومقومات أساسية أخرى تضاف إليها في نظرك ؟ وما هي ؟
- 3 - تتبعى عظمة الأمير عبد القادر في عدة جوانب استطاع أن يوفق بينها جميعاً ، الام ترد ذلك ؟ وما تعليله في نظرك ؟
- 4 - يقول الكاتب في نهاية الفصل : « فإذا توصلنا إلى القضاء على هذا الرجل فإن جيشنا يكون قد أحرز على مجد حقيقي ، ولكن الإسلام يكون قد أصيب في الصميم ». ما رأيك في هذا القول على ضوء ما جرت به الأحداث بعد ذلك ؟

### ب - الأسلوب :

- 1 - هل استطاع الكاتب ، في أسلوبه ، أن يوفق بين ترجمة النص ، والغاية السياسية التي يهدف إليها ؟ ووضح ذلك ؟
- 2 - دعا الأمير إلى الجهاد في سبيل الله . اذكر شيئاً من محفوظك في الجهاد ، مبتدئاً بأيات من الذكر الحكيم .

## استثمار النص

- ١ - سجل في كراسك الخاص :
- ٢ - ولو أنا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم ، أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم » (قرآن كريم)
- ٣ - ان كل عدو عندما يغزو بلاداً أجنبية يجدها قد تجمعت في رجل ووقفت على رجلها تدفع العدو عن الأرض التي يجتاحها .

## ب - لاحظ :

كلمة (يُفْصِل) الواردة في النص ، وما لها من اوجه استعمال متعددة :  
فصل الشيء : قطعه وابانه . و فصل بينهما : حَرَزٌ . و الولد عن الرّضاع : فطمته . و الرجل عن البلد : خرج منه . و فصل الكلام : بيّنه . و منه الفيصل : الحكم والقاضي . و الفاصلة : العلامة التي تفصل بين جملتين . و الفصل وج مفاصل : كل ملتقي عظمين من الجسد .

## ج - طبق :

- ١ - بين ما لفظة (يُنْفِق ) الواردة في النص ، من معان ووجوه استعمال في جمل من عندك .
- ٢ - انسج على منوال العبارة الآتية :  
إِنَّكَ تُسْتَطِعُ بِسُهُولَةٍ أَنْ تَفْهُمَ مِنْهُ مَا يَقُولُ ، وَلَكِنَّكَ لَا تُسْتَطِعُ إِلَّا أَنْ تَدْرِكَ فِيهَا يَقْنُوتَكَ .

## ٣ - حدد :

من خطبة للإمام علي في الجهاد : « أَمَّا بَعْدَ : فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِّنْ أَبْوَابِ  
الْحُكْمَةِ ، فَمَنْ تَرَكَهُ أَبْسَأَهُ اللَّهُ تَوْبَةَ النَّذْلِ وَأَشْمَأَهُ الْبَلَاءَ ، وَأَزْمَمَهُ  
الْصُّفَّارَ وَسَامَهُ الْخَسْفَ ».

- ١ - كتب في هذا القول مبينا قيمة الجهاد ودلالته على أصالحة الأمة ، وأثره في الحفاظ على وجودها وبقائها .

النص :

ذات مساء وال الخليفة «هشام بن عبد الملك» عاشر أمراء بني أمية  
جالس في داره ، وإذا ب يريد الشغور يُورِدُ إلى الخليفة نياً أثار فيه العجز  
والغضب والعَيْنة على مقام الإسلام والمسلمين .

لقد اقتحمت جيوش «الترك والديلم» حصنَ المسلمين في «أرمينية»  
و«اذريجان» وأذاجوه عنها ، وحاصرَوا الامير «الجراح بن عبد الملك  
الحكمي» الذي لم يَقُوَّ على صَدِّهم ، وَخَرِّبُهم ، فانزوى في داخل قلعة  
صغيرة متراصة ريشما يأتيه المدد ..

يومئذ .. ذكر «هشام» أخاه «مسلمة» القابع في عُقر داره بأطراف  
دمشق يَجْتَرَّ أحزانه ، ويسترجع أيامه المجيدة محارباً في سبيل الله ، من  
أجل دينه وعروبه ومجاهداً في الدُّرُود عن قوميته ..

.. دخل الخادم على «مسلمة» مهرولاً ينبعه بقدوم الخليفة من قصر  
الخلافة لزيارة سيده ..

وهبَّ مسلمـة من جلسـته وخرج مسرعاً إلى ساحة الدار يستقبل أمـير  
المؤمنـين أـكرم استقبال .. ونسـي مـسلمـة ساعـتـه ما كانـ بينـه وبينـ أـخيـه ،  
وبـادرـه فـاتـحـا ذـراعـيهـ فيـ عـنـاقـ حـارـ وهوـ يـقولـ :

ـ مـرحـباً بـأـخيـ أمـيرـ المؤـمنـينـ مـتفـضـلاـ بـالـزيـارةـ .

ـ قالـ هـشـامـ مـترـددـاـ :

(١) من مجلة «منار الإسلام» عدد 9 رمضان المعلم 1396 هـ الموافق شهر سبتمبر 1976  
ـ دولة الإمارات العربية المتحدةـ .

- إِنِّي وَاللَّهِ أَدْخُرُكَ ذَخْرًا لِلملَمَاتِ وَلِدُفْعِ الشَّدَائِدِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ .
- قَالَ مُسْلِمَةُ وَالدَّمْوعُ تَطَافِرُ مِنْ عَيْنِيهِ :
- إِنِّي وَمَا أَمْلَكَ مِنْ جَهْدٍ وَمَالٍ وَقُوَّةٍ فَدَاءُ اللَّهِ وَلِدِينِهِ وَلِخَلِيفَةِ الْمُسْلِمِينَ .
- قَالَ هَشَامٌ وَقَدْ غَلَبَهُ التَّأْثِيرُ :

- حفظ الله أخي ، وجعله درعاً لدينه وعروبه . إنها والله محنـة لن يقدر على دفعها سواك . غداً يا مسلمة تسير على بركة الله الى «أرمينية» لنجدـة جيوش المسلمين هناك ، وإغاثة أميرها «الجراح» الذي دهمـته جيوش الترك وحاصرـته في القلـعة الصـغيرة ، والله أـسأل أن يـأتـينا بـأنـدـحـرـهم عـلـى يـديـك .

انصرف «هـشـام» من دار أخيه ، وعاد الى قصر الخلافـة بعد أن سـكـنـ جـاهـه ، وهـدـا خـاطـره . لكن مـسـلـمـةـ بـاتـ سـاـهـرـ الـطـرفـ فـي تـلـكـ الـلـيـلـةـ نـهـبـاـ لـخـواـطـرـ مـزـعـجـةـ أـرـقـتـ نـوـمـهـ وـأـقـضـتـ مـضـجـعـهـ ..

حدـثـهـ النـفـسـ قـائـلـةـ : هـاـ هوـ ذـاـ أـخـوـهـ خـلـيـفـةـ الـمـسـلـمـينـ وـأـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ يـسـعـىـ إـلـيـهـ وـيـنـاشـدـهـ مـرـوـءـتـهـ وـصـلـابـةـ عـزـمـهـ بـعـدـ أـنـ كـانـ بـالـأـمـسـ الـقـرـيبـ مـوـضـعـ لـوـمـهـ وـمـؤـاخـذـتـهـ بـسـبـبـ كـيدـ الـوـشـاـةـ حـتـىـ أـلـزـمـهـ دـارـهـ شـهـورـاـ طـوـيـلـةـ لـاـ يـبـرـحـهاـ إـلـاـ يـاذـنـ الـخـلـيـفـةـ بـعـدـ أـنـ أـقـامـ عـلـيـهـ الـعـرـاسـ وـالـعـيـونـ وـالـأـرـصادـ ..

ترـىـ هـلـ يـقـيـدـ «مـسـلـمـةـ» وـقـدـ وـاتـهـ الفـرـصـةـ ، فـيـثـارـ لـكـرـامـتـهـ التـيـ جـرـحـتـ ، وـيـتـرـكـ أـخـاهـ مـخـذـلـوـلاـ لـيـواجهـ المـوقـفـ وـحـدهـ ؟

هل يـغـادـرـ دـمـشـقـ قـبـلـ اـنـبـلـاجـ الصـبـاحـ إـلـىـ حـيـثـ لـاـ يـعـلـمـ أـحـدـ ، لـتـدورـ الدـائـرـةـ عـلـىـ أـخـيـهـ فـيـعـرـفـ قـيـمـةـ الرـجـالـ وـيـقـدـرـهـمـ حـقـ قـدـرـهـ .

وسـوسـ الشـيـطـانـ لـمـسـلـمـةـ فـيـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ وـرـَّيـنـ لـهـ الـخـروـجـ مـنـ عـاصـمـةـ الـخـلـافـةـ مـتـسـتـراـ بـغـلـائـلـ الـلـيـلـ إـلـىـ أـرـضـ الـحـجـازـ لـيـقـمـ فـيـهـ خـلـيـيـ القـلـبـ مـنـ كـلـ ما يـزعـجـ عـيـشـهـ أـوـ يـؤـرـقـ حـيـاتـهـ ، وـهـشـامـ لـنـ يـعـدـ العـثـورـ عـلـىـ قـائـدـ سـوـاـهـ لـهـذـهـ الـحـمـلـةـ ..

وطوح مسلمة بن نافرته الى خارج نافذته ، فأبصر ظلمة الليل تجلوها خيوط الفجر الزاحف فاحس برغدة تسرى في عروقه، ونبي ساعتها وساوس الشيطان التي اصطحب بها قلبه طيلة ساعات الليل، ورأى بعين خياله جيوش المسلمين هناك وقد أحاطت بها جيوش الترك والدبّل وأحدقت بهم لتكسر شوكتهم وتأسر منهم الرجال ، وتنصي النساء والأطفال .

و ساعتها أحس «مسلمه» بدماء حارة ت لمب عروقه ، فلم يلبث العرق الغزير أن سال على جبهة العريضة ، وتهياً له أن هذا العرق إن هو إلا وخزات الحرب المصوبة إلى صدور المسلمين .

وهزَّ مسلمة إلى قصر الخلافة وطرق الباب طرقات شديدة بعصا غليظة فهب رئيس الحراس يستطلع الأمر بنفسه، ومن خلال الفرجة الصغيرة، أبصر بالأمير «مسلمه» يتجلّل فتح الباب فأمر الحراس بفتح مصاريعه على الفور .

ومضت لحظات . . ثم جاء الخليفة من داخل القصر مسرعاً ليستقبل أخاه ولما رأه ، احتواه في أحضائه ، وأخذ يقبل وجنتيه ويهاش في وجهه ، ولما انجابت عنه روعة اللقاء المبكر قال مبهوراً :

— كل شيء قد أُعدّ لمسيرتك وقما تحب . تحت إمرتك اليوم عشرة آلاف مقاتل من أشداء العرب في كامل عدتهم وآلاتهم ومئوتهم ، على أن يلحق بك بعد مسيرتك عشرون ألفاً آخرون والله ناصرك . .

لم يكن «مسلمه بن عبد الملك» من طراز عادي يتلقى الأمر بالمسير والقتال انصياعاً لرغبة خليفة المسلمين المتربيع فوق عرشه هناك في دمشق ، إنما كان «مسلمه» محارباً من طراز آخر فريد . كان انساناً عربياً يحمل بين جنبيه روحًا شحنت بأجل فسائل الإسلام ، عزوفاً عن برج الدنيا وزخرفها، قانعاً من حياته بكسرة خبز وشربة ماء ، لا يرتكب معصية نهى الله عنها ، مع

ما تيسر له ليحوز ما في الدنيا من نعيم وترف وأبهة . ولطالما سنت له فرصة الملك والخلافة بعد موت أبيه « عبد الملك بن مروان » وكانت الطريق معبدة سالكة الدروب حاشدة بالأنصار والمحبين ومن يملكون القدرة العسكرية التي تحقق وصوله الى مركز الخلافة ، لكن « مسلمة » كان يملك روحًا زاهدة في كل شيء الا إرضاء خالقه فيما يُسر أو يعلن ، وكان ينهر كل من يحدثه في شؤون الملك وأمور الخلافة .

نعم . . . كان « مسلمة » يملك قلباً أثيا ونفساً ذات كبراء ؛ ترفض الاغتصاب والعنف ، وطبيعة جُلُّت على القناعة ببساطة العيش وأخذ الحياة بأيسير الوسائل . على أنه اذا جد الجد ، ونودي عليه للدفاع عن دينه ، والذود عن صرح الاسلام الشامخ ، وبنائه الراسخ ، هب كالليث الغضوب ، ملتهب الحس والشعور . . .

بدأ جيش المسلمين مسيرته ذات صباح باكر من أرباض دمشق ، قاصداً إلى ولاية « أرمينية » وكانت روح القائد الكبير تحرك في عروق جنده نبضات النصر والعزيمة والفحار . . . وسبقت جيش مسلمة ، عيونه وأرصاده تحسّن مواقع العدو ، وتلمس مكامن الضعف في صفوفهم ، لينفذ منها جيش المسلمين حتى يتحقق الهدف الكبير . . .

وعلمت جيوش الترك والروم بزحف مسلمة ، فأحكموا خططهم ، وأقاموا سدوداً وتحصينات بالغة المتعة ، حتى بات عسيراً على المهاجمين أن يجدوا ثغرة أو يتقدموا إلى الأمام خطوة . . . أمر مسلمة أن يتوقف الزحف أمام حصن كبير للأعداء بعد أن أطبقت ظلمة الغروب على الكون ، وأفضى إلى قواه أن ينال الرجال حظاً من الراحة حتى مطلع الفجر . . .

وانعقد مجلس العرب داخل الخيمة الكبيرة في تلك الليلة وتدالوْل « مسلمة » مع قواه خطة الهجوم ، واتّهى الرأي بأن يتقدم محارب فدائٍ ليحدث ثقباً في جدار الحصن الكبير .

صوب «مسلم» أظاره الى الجالسين معه ، فأشاروا على أسماء خمسة رجال يختار القائد الأعلى أحدهم ، ييد أن مسلمة لم يرض بأن يكون صاحب الرأي ، وأشار باجراء القرعة تحدد اسم من ينقب الجدار ..

وأمر «مسلم» باستدعاء من وقت عليه القرعة ، فغاب رئيس الحرس لحظة غاد بعدها ليعلن أن الرجل يعاني من وطء حمى عاجلته منذ يومين والطبيب يقف على رأسه ويقوم بعلاجه ..

و قبل أن تجري القرعة بين الأربعه الآخرين ، اقتحم المجلس جندي يلهث ، وطلب أن يتحدث الى مسلمه على الفور ، قال الرجل اللاهث : إنه شاهد أحد زملاء فرقته ينقب جدار الأعداء حتى أحدث فيه ثغرة كبيرة ، ولما اقترب منه نهره وطلب اليه الابتعاد حتى لا يراهما الأعداء ..

سأل «مسلم» الجندي في دهشة : ما اسم زميلك يا أخا العرب الذي أحدث هذا النقب ؟ قال الجندي : الليلة ظلماء أنها الأمير ولم أستطع تمييزه ومعرفته ..

وأصدر «مسلم» أوامره على الفور بالتجهز لاقتحام الحصن ، وإقامة المجانين ..

وفي لحظات محمومة ، كان جيش «مسلم» قد أحاط بالحصن من كل جانب ، ومتات من المحاربين يقتربونه من خلال الثغرة ، ولم يلبث الذعر وهو المفاجأة أن أحلا معسكر الترك الى أتون يغلي بصيحات الجزع والاتصار مختلطة ، ييد أنه كان يعلو عليها بين لحظة وأخرى صيحة عذبة مدوية .. الله أكبر .. العزة لله وللمسلمين .. الله أكبر ..

طلع الفجر كالبسمة الوضاء في جبين السماء ، فأرسل مسلمة ناظريه من موقعه القريب ، فأبصر راية جيشه الظافر تتحقق فوق أعلى أبراج الحصن ، ولم يلبث بابه الكبير أن فتح على مصراعيه وآلاف الأسرى تتدفق منه وتساق الى موقع مسلمه ليري فيهم رأيه ..

كانت لحظة رائعة من لحظات النصر التي اعتادها «مسلم» في كل حملة تحركت بقيادته ، ييد أنه كان يفكر في أمر آخر ..

كان ذهنه مشغولا بأمر ذلك الفارس المجهول الذي لم يدع أحد لاحداث النقب ، وإنما تطوع حاملا روحه على كفه مؤثرا الاستشهاد في سبيل الله ، وفي سبيل نصرة دينه الحق المبين ..

جمع مسلمـة رجالـ جيشهـ في الساحةـ الكبـيرـ للحـصنـ الـذـي سـقطـ بـينـ أيـديـ الـمـسـلـمـينـ ، وـوـقـفـ إـلـىـ جـوارـهـ قـادـةـ الـفـرـقـ يـقـرـأـونـ عـلـيـهـ أـسـمـاءـ الشـهـداءـ منـ رـجـالـ الـحـمـلةـ ، وـكـانـ عـدـدـهـمـ قـلـيلـاـ إـلـىـ جـانـبـ النـصـرـ الـكـبـيرـ ..

وفجأة صاح مسلمـةـ : أـقـسـتـ بـالـهـ رـبـ الـعـالـمـينـ عـلـىـ الـفـارـسـ الـمـجـهـولـ صـاحـبـ النـقـبـ أـنـ يـتـقدـمـ إـلـىـ وـيـعـرـفـنـاـ بـنـفـسـهـ ..

مضـتـ لـحظـاتـ مـهـيـةـ قـبـلـ أـنـ يـشقـ الصـفـوفـ رـجـلـ قـصـيرـ القـامـةـ يـسـيرـ مـتـعـشـراـ فـيـ خـجلـهـ وـلـاـ يـكـادـ يـرـىـ جـزـءـ مـنـ وـجـهـ الدـقـيقـ ، وـلـمـ وـقـفـ يـازـاءـ مـسـلـمـةـ قـالـ يـخـاطـلـهـ :

ـ ماـذـاـ تـبـتـغـيـ مـنـ أـيـهـاـ الـأـمـيرـ وـقـدـ قـامـ بـوـاجـهـ وـلـاـ يـغـيـ جـزـاءـ وـلـاـ شـكـورـاـ؟

ـ قـالـ مـسـلـمـةـ : أـلـتـ صـاحـبـ النـقـبـ يـاـ أـخـيـ؟

ـ قـالـ الرـجـلـ : إـنـ أـرـدـتـ أـنـ تـعـرـفـ وـاـنـ تـقـفـ عـلـىـ أـمـرـهـ ، فـاـنـ لـهـ شـروـطاـ ثـلـاثـةـ :

ـ قـالـ مـسـلـمـةـ : هـاـتـ شـرـوـطـهـ يـاـ أـخـيـ .

ـ قـالـ الرـجـلـ : لـاـ تـذـكـرـوـاـ اـسـمـهـ فـيـ صـحـيفـةـ إـلـىـ الـعـلـيـفـةـ ، وـلـاـ تـأـمـرـوـاـ لـهـ بـشـيءـ ، وـلـاـ تـسـأـلـوـهـ مـنـ هـوـ مـنـ قـبـائلـ الـعـربـ .

ـ قـالـ «ـمـسـلـمـةـ»ـ وـقـدـ بـهـرـهـ حـدـيـثـ الرـجـلـ : ذـلـكـ لـهـ .

— قال الرجل : أنا هو صاحب النقب أيها الأمير .

وأذن لصلاة الظهر جماعة ، فأقسم مسلمة أن يكون إمامه صاحب  
النقب .

ولم يعد «مسلم» يُرى بعد ذلك مصليا ، أو غازيا ، أو محاربا إلا  
ويكون إمامه ذلك الفارس المجهول ..

[حسين الطوخي]



تمهيد :

الجاحظ : يبدو في وسط الحجرة شيخا متهدما مقعدا ، لا تفارقه روح البشاشة والفرح . يشير بيده الى رفوف الكتب التي تعلو الحجرة من حوله ..

الشخص :

في مكاني ، ولا أُسيئُ قعودا  
يَشْكُى رُكَامَهَا مَكْدُودًا  
لَتْ ، وُقِيتَ الأَذَى ، أَكُونُ الشَّهِيدًا  
وَرَقًّا يَأْكُلُ الْحَيَاةَ نَضِيدًا  
قِنَّةُ الْحَلْمِ أَنْ تَكُونَ نَشِيدًا  
طُرْزَةً لَا أَمْلَهَا تَرْدِيدًا  
وَالْتَّمِسُ ، إِنْ وَجَدْتَ ، رُكَنًا بَعِيدًا  
قَتَلَ الْحَرْفُ عَمَرَنَا تَقْنِيدًا

رَحْشَتِي .. فَمَا أُطْبِقُ حَرَاكًا  
أَنْقَلَتْ كَاهِلَ الْجِدارَ ، فَيَسْتَيِ  
الرُّفُوفُ الْجَنْبَى ، وَأَخْتَى إِذَا مَا  
وَرَقًّا قَصَّتِي هَنَا .. وَمِدَادُ  
كُتُبِي .. لَوْ أَيْعَمَا بَشِيدِ  
بِحَدِيثِ حُلْيِو تَقْهِيقَهُ فِيهِ  
الرُّفُوفُ الْجَنْبَى .. تَجْتَبِي أَذَاهَا  
هَذِهِ حُجْرَتِي .. وَأَهْلًا وَسَهْلًا

الشاعر : أنا ضيفُ التاريخ ..

رِيحُ ، لَا تَقْتِحِمْ سُكُونَ الظَّلَامِ  
وَاتَّظَارًا مُرْ وَرَاءَ السُّرُكَامِ  
تِي ، وَحَسْبِي مَا أَرَاهُ أَمَانِي  
مَرَّةً فِي الْأَثَيرِ .. فَوْقَ الْعَامَ  
سِتٌّ » يَجُوزُ الْفَضَاءَ كَالْأَحَلامِ  
، أَمْتَطِي الرِّيحَ فِيهِ ، مِنْ أَيَّامِي

الجاحظ : دَعَكَ مِنَ التَّا  
أَنَا تَسْوِقُ إِلَيْكُمْ وَحْنِينٌ  
أَنَا تَوْقُّ أَمْدَدَ طَرْفِي إِلَى الْأَ  
يَدِفَنُ التَّسْوِقَ فِي الْفَلَّةِ وَخُذْنِي  
أَنْتَ آتَيْتَ عَلَى قَوَادِيمْ « عَفْرَى  
بِجَمِيعِ الْذِي كَتَبْتُ هَهَارَ

(١) قصيدة للشاعر سليمان العيسى من مجموعته الشعرية « أغنية في جزيرة المستبداد » ..

سَنْ لِيُلْحَقُنَ الظَّلَّكَ الْمُسَرَّامِي  
طَارَ خَلْفَ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ  
(م) تَشَقَّ السَّمَاءَ مِثْلَ السَّهَامِ  
سَنْ نَجْوَى أَوْ حَطَرَةً فِي مَنَامِ  
— قَدَسَ الرَّبُّ — مَوْطِئُ الْأَقْدَامِ  
وَفَرَاغٌ كَالْمَوْتِ ، كَالْإِعْدَامِ  
وَيَقُودِي فِي كَهْفِهَا وَقِيمَيِّ؟  
بِالْتَّحَدِي صَرَخْتُ : هَاهُ زَمَانِي !  
كَيْفَ أَنْجَوْ مِنْ هَذِهِ الْأَشْنَامِ؟

ضِي ، يُصْبِيُ الْأَقْلَامَ جِلَّا فَجِيلًا  
لَكَ عِنَادًا يُرَوْضُ الْمُسْتَحِيلًا  
سَتَ عَلَى الْعَقْلِ بُرْجَهُ الْمَجْهُولًا  
عَالَمٌ لَا يَمُوتُ . فَاهْدِأْ قَلِيلًا  
سَيِّتْ أَجْرُ الدَّمَارِ وَالشِّكِيلًا  
مَا تَرَاهُ ضَرَاعَةً وَخُمُولًا  
جِيلَنَا كَيْفَ يُشَعِّلُ الْقَنْدِيلًا  
(م) لَوْ أَنَّ التَّذَكَّارَ يُجَدِّي فَتِيلًا  
وَحَمَلْنَا ضَرِيْحَمَا إِكْلِيلًا

، فَوْقَ أَوْرَاقِي ، السَّمَرِ  
فِي قَمِ الْذَّاءِ يَتَحَضَّرِ  
إِنْهَا دَوْرَةُ الْفَلَكِ  
بِائِعَ الْخُبْرِ وَالسَّكَكِ<sup>(1)</sup>

آه .. مَا أَرَوْعَ السَّحَابَ يَسْخَحُ  
سَبَقَ الْفَكْرُ يَا صَدِيقِي رُؤَانَا  
أَنْبُوْنِي أَنَّ الْمَرَاكِبِ فِي الْجَوَّ  
تَصِلُّ الْأَرْضَ مُثْلِمًا تَصِلُ الْهُدَىَتِ  
أَنْبُوْنِي أَنَّ السَّمَاوَاتِ صَارَتْ  
وَإِذَا الْكَوْكَبُ النَّيْرُ ظَلَامٌ  
سَرَقَتْ عَمَرَنَا الْأَسَاطِيرُ ، مَا جَدَ  
لَوْ تَحَرَّزَتْ سَاعَةً مِنْ قَيْوَدِي  
مَرَحَبًا أَيَّهَا الصَّدِيقِ .. وَقُلْ لِي  
الشَّاعِرُ « فِي صَوْتِ هَادِئِ وَاجْلَالٍ » :  
أَيَّهَا الْكَوْكَبُ الْمُشَيْعُ عَلَى أَرَأِ  
مَا نَزَّلْتُ التَّارِيخَ إِلَّا لِأَنْقَاثِ  
أَنْتَ بَوَابَةُ الْعَصُورِ تَسْقَطُتْ  
عَالَمٌ أَنْتَ مِنْ مِدَادِ وَضَوْءِ  
أَنَا آتَتْ عَلَى قَوَادِمِ عَغْرِيبِ  
لِيْسَ لِيْ مِنْ رَوَائِيجِ الْعَصِيرِ إِلَّا  
الْقَنَادِيلُ فِي يَدِكَّ ، فَعَلَمْتُ  
الْقَنَادِيلُ نَحْنُ نَذْكَارُهَا الْمُرُّ  
قَدْ حَمَلْتُمْ عَبْءَ الْحَضَارَةِ يَوْمًا  
الْجَاحِظُ « يَرِسِيلْ زَفَرَةً عَمِيقَةً » :  
هَدَنِي اللَّيلُ ، هَدَنِي  
أَنَا جَذْعٌ مَهْشَمٌ  
كُلُّ شَيْءٍ إِلَى إِلَيَّ  
لَيَشْتَيِ عُدَدَ سِرَّتِي

(1) كان الجاحظ في حداته بيع الخبز والسلك في البصرة ليكتب قوت يومه ، ويكتري دكاكين الوراقين ليلاً وبيت فيها للطالعة والكتابة .

**كُلُّ صَادِ إِلَى الشَّفَقِ**  
**وَحَوَانِيْتُ لِلْوَرْقِ**  
**وَمَسْكَانِ ، مَا بَذَّلَ تَبْدِيلًا**  
**سِرِّ ، وَظَلَّاً لِلْقَادِمِينَ ظَلَّلَا**  
**سَطَوا ، وَيَنْسَى الْمُقْلِدُونَ الْأَصْيَالَا**  
**لَمَّا ، وَنَبَقَ فِي السَّفَحِ شَيْئًا ضَيْلَا**  
**ءَ ، وَأَغْتَى مُهَمَّدًا مَشْلُولاً**

**الشاعر :** من هُنَا يَنْدَأُ السُّرُّ  
**مِنْ عَيَّاباتِ شَارِعِ**  
**سَنَةِ الْمُبْدِعِينَ ، فِي كُلِّ آنِ**  
**يَسْجُونُ الْعَبَارَ تَاجًا عَلَى الدَّهْرِ**  
**سَنَةِ الْمُبْدِعِينَ .. نَأْخُذُ مَا أَعْ**  
**تَسْمَطَّى ، نَشَدُّ قَامَاتِنَا الْكَسَرِ**  
**أَنْتَ أَقْوَى مَهْشَسًا فِي قِيمِ الدَّا**

**الجاحظ :** «يَبْتَسِمُ كَانَتْ يُرِيدُ أَنْ يُغَيِّرَ الْحَدِيثَ» :

**بُخَلَائِي فِي عَصْرِكُمْ كَيْفَ أَنْسَوْا**  
**الشاعر »بعد لحظة صمت« :**

**وَلَنَتْ فِي دَمِ الْمَلَائِكَةِ أَيْدِيرِ**  
**مَلَكُوا الْأَرْضَ غَاصِبِينَ وَكَانُوا**

**الجاحظ :** مُفْرِغٌ مَا تَقُولُ .. كَيْفَ سَكَتُمْ  
**الشاعر :** مَا سَكَتْنَا

**أَتَرْهَبُونَ الْلِقاءَ**

**الشاعر :** بَعْضُنَا آتَى السَّلَامَةَ وَالصَّمْتَ ،  
**وَبَعْضُهُمْ ، فَمَا يَحْصُدُونَ إِلَّا الدَّمَاءَ . (2)**

**الجاحظ :** وَبَعْضُهُمْ

**تَكَلَّمُوا شَهَدَاءَ**

**الصِّرَاعُ الْعَيْنِيْدُ .. فِي كُلِّ رُكْنٍ**  
**سَاحَةُ فُجُورَتِ ، وَصُبْحُ أَضَاءَ**  
**عَرَفَتْ لَعْبَةَ التِّلَاحِ الْمَلَائِكَةِ**  
**سَنَ، وَفَارَتْ .. لَوْ تَسْمَعُ الْأَنْبَاءَ ا**

**الجاحظ :** عَجَبٌ مَا أَرَى .. تَبَدَّلَتِ السَّدْنِيَا ،

**الشاعر :** وَلَبَّيْ فِيهَا سِوَانَا النِّدَاءَ

(2) يتصور الشاعر بخلاء الجاحظ وقد انقلبوا الى أصحاب الاموال الذين يستغلون البشرية .  
 ويملبون بمصرها في المعر الحديث .

النص :

**ناته :** هو أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني مؤلِّفاً ، العَرَبِيُّ ثقافةً وفكيراً «الغُزْنَوِيُّ» نَسَأَةً ، ويُعتبر من أشهر عباقرة المسلمين الذين عاشوا بين أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الهِجْرِيَّين ، حيث بَرَّ العُلَمَاءُ الآخرين من العرب وغيرهم في شتى العلوم .

وُلدَ في «خيوة» ، وهي إحدى ضواحي «خوارزم» ، في اليوم الثاني من ذي الحجة عام 362 هـ 973 م .

**حياته :** نَسَأَ عَلَامَتَا يَتِيماً فَتَرَبَّى فِي كَنْفِ وِرْعَابِيَّةِ الْعَالَمِ الْفَلَكِيِّيِّ والرِّياضِيِّ أبي نصر منصور الذي كان يَتَنَمَّى إِلَى الأُسْرَةِ الْحَاكِمَةِ فِي مَدِينَةِ خوارزم ، ويمكن تقسيم حياته إلى ثلاثة مراحل :

**المراحل الأولى من حياته :** اكتسب البيروني شهرته كباحث إِيَّاهُ هذه المرحلة فعندما بلغ الثامنة عشرةً من عمره بدأ في بحوثه الفلكية بمرصده الذي أقامه في قرية جَبَلِيَّة صغيرة من وطنه ، واجتهد في تطبيق ما حققه من الارصادات الشمسية التي قام بها أبو الوفاء أستاذ أبي نصر في ذلك العصر .

ثم التحق سنة 390 هـ بيلات أمير جُرجان وطبرستان شمس المعالي قابوس الذي كان بلاطه يَحْفَلُ بالعلماء كابن سينا الذي تُبُودِلُتْ يَسِنُه وبين البيروني مجموعةً رسائل ، وعمل أستاذاً في مجمع العلوم الذي أَسَّسَهُ أمير خوارزم أبو العباس مأمون ، وكان يزامله في نفس المجمع الشيخ الرئيس ابن سينا ، وإِيَّاهُ هذا الدُّورُ من حياته اهتم أبو الريحان بدراسة الفلك

والجغرافية الطبيعية كما أقام مَرْصَداً في القصر الملكي ، ووضع نموذجاً مجسماً لنصف الكرة الأرضية بقُطْر 15 قدماً رسم عليه أطوال البلدان وعروضها ، واشتغل بحساب مساحة الكرة الأرضية ، واتجه إلى البحث في ميل دائرة البروج .

المرحلة الثانية من حياته : قَبَصَ السلطان محمود الغزوي على البيروني ، وكان عمره حينذاك 46 سنة واتَّهَمَه بالكفر والقرْمَة . وظل معتقلًا مع عدد من العلماء ومنهم أستاذه عبد الصمد الحكيم . وقيل للسلطان : «إنَّ البيروني إمام زمانه في علم النجوم ، وإنَّ الملوك لا يَتَسَعَنُونَ عن مثله فَأَطْلِقَ سَرَاحَه وأخْذَه معه عند دخوله بلاد الهند . وهناك اقتبس علومَهم وتعلَّم لغَائِتهم ، وقيل : إنه مَكَثَ نحو 40 سنة في الهند . ويعتبر البيروني أَقْدَمَ مَنْ دَوَّنَ ملاحظاته . وكانت حصيلة دراساته ورِحْلَتِه إخراج كتاب الهند الذي يَعْدُ أَهْمَ كِتَابَ ذلك العَصْرِ في حقل الجغرافية الاقليمية وعالج فيه تأثير العوامل الجغرافية في الظواهر البشرية .

المرحلة الثالثة : وتعد من أهم مراحل حياته العلمية ، وقد قَضَاهَا في غُرَّنَةٍ منصرفًا كُلِّيًّا إلى بحوثه العلمية . حتى وافته المنية بعد عمر نَيَّفَ على الشمرين . وفي هذه المرحلة ألف كتبه : القانون المسعودي ، والتَّفَهِيم ، والجمahir ، والصَّيدَنَة أو الصَّيدَلَة .

صلته (بالعروبة) : والبيروني فارسي الأصل ، ولكنَّه كان عربي الثقافة والتفكير ، يَعْتَزِزُ بالعُرُوبَةِ ويَفْحَرُ أنَّ يُتَّسَبِّبَ إِلَيْها ولا يَقْبَلُ غيرَها بِدِيَلَاهُ . وقد عشق العربية واختارها دون اللغات الأخرى لتدوين بحوثه العلمية . فهو يقول في مقدمة كتابه (الصَّيدَنَة) : «الْهَجُوُّ بِالْعَرَبِيَّةِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَدْحُجِ بِالْفَارِسِيَّةِ» وذلك لحسن أدائها للمعاني . وفي هذا الخصوص يقول المستشرق (ماسينيون) : «لقد فَهِمَ البيروني تمامَ الفَهْمِ الدُّورَ الْعَالَمِيَّ لِلْفَةِ الْعَرَبِيَّةِ بِوَصْفِهَا — بَيْنَ الْلُّغَاتِ السَّامِيَّةِ — أَهْمَّ لُغَةَ حِضَارَةٍ ، وَأَدْرَكَ مَقْدِرَتِهَا عَلَى

التركيز والتجريد، وترأكيمها عن طريق الاشتقاء بدلاً من الزوائد، وقيمتها في توحيد المتكلمين بها» .

وعلى الرغم من أن البيروني عربي النشأة واللغة والتفكير، فانتا نرى الفرس والأزبكتانيين والترك يحتفلون بذلك ، ويصر كل منهم على أن البيروني يُمْتَّ بالصلة اليه . فالفرس يَحْتَجُون بحسب الفارسي وبأنه عاش في إيران رداً من الزمن، بينما يذهب الأزبكتانيون إلى أن مولده في (خيوة) من خوارزم ، وهي الآن في جمهورية أذبكستان السوفيتية . أما الاتراك فان البيروني في اعتقادهم كان تركياً من أواسط آسيا .

مؤلفاته : لإحاطة البيروني بشتى العلوم ، عَدَّ جمهرة كبيرة فيها . كما امتاز بدقة تجاربه ، وصواب آرائه لِجِدَّة ذكائه ، وكثرة مؤلفاته وأصالتها وابتكاره إليها وتدبرها له الغربيون في أكثر علومهم وخاصة الرياضيات الطبيعيات والفلك . فكان (مُبِيِّنًا على تحصيل العلوم ، مُعْنِيًّا على تصنيف الكتب . ولا تكاد تفارق يَدَه القلم ، وعيته النظر ، وقلبه الفكر). قال البيهقي : «زادت تصانيفه على حَتَّلٍ بَعِيرٍ ، صَنَفَ كُتُبًا كثيرة ، رأيت أكثرها بخطه» . وسطر العالم الألماني (سخاو) في مقدمته لكتاب البيروني الموسوم : (الأثار الباقية) العشرات من مؤلفاته ومقالاته ورسائله . وقدر الأب (جاك بوالو الدومنكي) عَدَّ مؤلفاته — بين موجود ومحفوظ ، وبين مطبوع ومخطوط — بـ (180) مؤلفاً . ضاع الكثير منها والباقي موزع في مكتبات العالم . وفي ما يلي أبرز مؤلفاته .

**الأثار الباقية عن القرون الخالية :** وهو أول كتاب يبحث عن التقاويم والشهور عند مختلف الأمم ، مع بحوث رياضية وطبيعية وفلكلورية عديدة . كما يحوي معلومات تاريخية عن ملوك أشور وبابل والكلدان والقبط والروم واليونان . وعُنِي (سخاو) بنشر نَصَّ هذا الكتاب وطبعه في (لييزك) عام 1878 . كما ترجمه إلى الأنكليزية ونشره في لندن سنة 1879 ، وطبع طبعة جديدة مع شرح سنة 1923 .

**القانون المسعودي** : مُصَنَّفٌ ضَخِّمٌ يحتوي على 143 باباً في 11 مقالة ، أَلَّهُ فِي غَزَّةَ ، وَأَهْدَاهُ إِلَى سُلْطَانِهَا ، مُسَعُودُ بْنُ حَمْدَةَ سَنَةَ 421 هـ ، فَسَخَّنَهُ السُّلْطَانُ أَمْوَالًا طَائِلَةً وَلَكَنَ رَدَّهَا إِلَى الْخَزِينَةَ بِحَجَّةِ أَنَّهُ إِنَّمَا يَخْدُمُ الْعِلْمَ لِلْعِلْمِ ، لَا لِلْمَالِ . وَالْكِتَابُ يَبْحَثُ فِي عِلْمِ الْفَلَكِ وَالْهَندَسَةِ وَالْجَغْرَافِيَّةِ . طُبِّعَتْ مَطْبَعَةَ دَارِ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةَ فِي ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ .

**التَّفَهِيمُ لِأَوَّلِ صَنَاعَةِ التَّنْجِيمِ** : أَلَفَهُ فِي غَزَّةَ ، بِالْعَرَبِيَّةِ وَالْفَارَسِيَّةِ ، سَنَةَ 420 هـ 1029 م ، عَلَى طَرِيقَةِ السُّؤَالِ وَالْجَوابِ فِي الْفَلَكِ وَالرِّياضِيَّاتِ ، وَقَدَّمَهُ لِرِيحَانَةَ بْنَ الْحَسَنِ الْخَوارِزمِيَّةَ . نُشِّرَهُ (رَمْزِيٌّ رَايْتُ) مَعَ تَرْجِمَةِ أَنْكِلِيزِيَّةٍ فِي لَندَنِ سَنَةِ 1934 مَعَ مُخْطُوطٍ مَحْفُوظٍ فِي الْمَتْحَفِ الْبَرِيْطَانِيِّ .

**الصَّيِّدَةُ** : اسْتَقْصَى فِيهِ مَعْرِفَةٌ مَاهِيَّاتِ الْأَدوِيَّةِ ، وَأَسْمَائِهَا وَالْخَلَافَ آرَاءِ الْمُتَقْدِمِينَ ، وَمَا تَكَلَّمُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَطْبَاءِ وَغَيْرِهِمْ فِيهَا ، وَقَدْ رَتَبَهُ عَلَى حُرُوفِ الْمَعْجَمِ . نُشِّرَهُ مَعَ تَرْجِمَةِ مُقْدِمَتِهِ فِي بَرْلِينِ عَامِ 1932 مَعَ «مَاكِسِ مَا يَرْهُوف» وَيَقُومُ الآنَ بِتَحْقِيقِهِ الْمُسْتَشْرِقُ السُّوْفِيَّيُّ الْكِيمِيَّيُّ «عَبْدُ اللَّهِ كَادِ يَمْوَفُ» مِنْ «كُلِّيَّةِ الْدِرَاسَاتِ الشَّرِقِيَّةِ» «بِجَامِعَةِ الْبَيْرُونِيِّ» وَقَدْ أَطْلَقَ عَلَيْهَا الْرُّوسُ اسْمَ الْبَيْرُونِيِّ تَمْجِيدًا لَهُ .

**الْجَمَاهِرُ فِي مَعْرِفَةِ الْجَوَاهِرِ** : وَهُوَ يَبْحَثُ فِي عِلْمِ الْجَيْوِلُوْجِيَا وَالْمَادِنَ وَالْأَجْبَارِ الْكَرِيمَةِ ، قَامَ بِتَحْقِيقِهِ الْمُسْتَشْرِقُ السُّوْفِيُّ (كَرْمُوكُوف) ، كَمَا طَبَعَهُ دَائِرَةُ الْمَعَارِفِ الْعُثْمَانِيَّةَ .

**تَحْدِيدُ نَهَايَاتِ الْأَماْكِنِ** : يَحْوِي مَعْلُومَاتٍ دَقِيقَةً فِي عِلْمِ الْجَيْوِلُوْجِيَا أَيْضًا ، تُوجَدُ مِنْهُ نَسْخَةٌ مَكْتُوبَةٌ بِخَطِّ الْمُؤْلِفِ فِي مَكْتَبَةِ اسْتَانِبُولِ ، وَيَعُودُ تَارِيْخُهَا إِلَى سَنَةِ 416 هـ وَقَدْ نُشِّرَ (زَكِيٌّ وَلِيْدِيٌّ) بَعْضُ أَقْسَامِ هَذَا الْكِتَابِ فِي مجلَّةِ مَسْحِ الْآثارِ الْقَدِيمَةِ الْهَنْدِيَّةِ (مَذْكُورَةُ رقمِ 93 ، صِ 58 وَمَا بَعْدُهَا) . وَطُبِّعَ النَّصُّ الْكَاملُ سَنَةِ 1962 مَعَ أَنْقَرَةَ بِتَحْقِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ تَازِيْتِ الطَّنجِيِّ وَقَامَ الْمُسْتَشْرِقُ السُّوْفِيُّ (دُ. بُوكَاكُوف) بِتَحْقِيقِهِ حَدِيثًا .

**رسائل البيروني :** طُبِّعَتْ بمطبعة دار المعرف العثمانية بجيَّار أباد سنة 1948 . وت تكون من رسائل في الرياضيات ، وعلى الأخص الهندسة ، وهي :

- 1 — استخراج الأوتار في الدائرة .
- 2 — افراد المقال في أمر الظلل .
- 3 — تمهيد المستقر لمعنى المير .

ومن مؤلفاته الأخرى (مقالة في النسب) ويتضمن خلاصة أبحاثه في الوزن النوعي و (الاسطراطاب) وقد وردت فيه نظرية لاستخراج محيط الأرض (وتقسيم الاقاليم) الذي كتبه بخطه سنة 422 هـ .

**عقريته :** كان البيروني شعلة من ذكاء ، فاقت عقريته عباقرة المسلمين في عصره . وهو قوي الذاكرة غزير العلم ، وفيه الاتاج . برب في مختلف العلوم والفنون حتى لُقبَ بالاستاذ . وهو لقب لا يحصل عليه الا المتعقون في شتي العلوم . وكان همّ البيروني التحرّي عن الحقيقة ، فألتزمَ بالذهب التجاري العلمي ، ولم يكن يُسلِّمُ بما يقال من آراء ، بل كان يعتقد الى إجراء التجارب بنفسه . وبعد أن يطعن الى صحتها يعتكف على تثبيتها وتدوينها . لذا فاتنا نجده دائمًا (يُدَعِّمُ أقوالَه بالبراهين المادية والحجج المنطقية) . وفيما يلي خلاصة باليادين التي برب فيها أبو الريحان :

**اللغات والفلسفة :** ومن مظاهر ذكائه اتقانه عدة لغات كالسريانية والخوارزمية واليونانية والهنديّة والفارسية والعبرية والسينكريتية اضافة الى العربية . وأشار بالفلسفة اليونانية ، ورأى أن العلم اليقيني يحصل من احساسات مختلفة يؤلف بينها العقل تأليفاً منطقياً ، وأن الحيلة تقتضينا فلسفة علمية تميز بها العدو من الصديق . وكان له الفضل الأكبر في تغيير المفهوم الاغرقي الاستاتيكي للكون الى المفهوم الإسلامي الديناميكي .

**الرياضيات** : والبيروني من الذين بحثوا في تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية . وكان ميلتاً بعلم المثلثات ، وتدل كتبه على أنه عرف قانون تناوب الجيوب . وقيل : إنه وبعض معاصره عملوا الجداول الرياضية للجيب والظل .

ومن ابتكاراته في الرياضيات : المطاليات الهندسية ، وثلاثي الزوايا ، وحل كثير من مسائل الهندسة ، والتي أصبحت تعرف «بالمسائل البيرونية» . ووضع نظرية لاستخراج محيط الأرض أسمها العلماء الغربيون بـ (قاعدة البيروني) . وقد نشر معهد الدومينيكان للدراسات الشرقية بالقاهرة في السنوات الأخيرة بحثاً بلغ ما يخص الرياضيات (24) مؤلفاً ، منها :

**الفلك** : واهتم بالفلك وعمل الجداول الفلكية وصحح الجداول التي وضعها سابقوه ، وصنع الاسطرباب الاسطوانى لرصد الكواكب .

**الطبيعتيات** : وفي ميدان العلوم الطبيعية ، أدرك البيروني : أن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت بقدر هائل . وقام بتجربة لاستخراج الوزن النوعي ، واستطاع إيجاد الوزن النوعي لـ (18) عنصراً ومركباً ذكرها في كتابه الموسوم بـ (مقالة في النسب التي بين الفلزات والجواهر في الصحيح) . واستعمل في تجاربه العلمية ، لاستخراج الوزن النوعي آلة المخروطية التي صنعها . والبيروني وابن سينا من الذين شاركوا ابن الهيثم في رأيه بأن شعاع النور يأتي من الجسم المرئي إلى العين . وشرح أبو الريحان بعض الظواهر الطبيعية التي تتعلق بضغط السوائل وتوازنها ، وتقسيم صعود مياه الفوارات والعيون إلى الأعلى ، وتجمع مياه الآبار بالرشح من الجوانب حيث يكون مأخذها من المياه القريبة إليها . ومن هنا يستدل – كما يقول قدرى طوقان – على أنه من الذين وضعوا بعض القواعد الأساسية في علم «الميكانيكا والإيدروساتيكا» .

**علم الأحياء :** وفي مجال علم الأحياء شرح بعض حالات شذوذ الخلقة في النبات والحيوان بما فيها حالة التوائم .

**الجيولوجيا :** وفي ميدان علم الجيولوجيا جمع الأحجار والمعادن وصفتها وفحصها ووصفها دقيقاً معتمداً على التجربة . وقد تناولت معلومات لم تكن معروفة في زمانه ، كاعتقاده بحدوث التطورات الأرضية البطيئة . وكان يعتقد بأن وادي الستد (مهران) كان في العصور الماضية حوض بحر قديم ملأته الرواسب التي حملها النهر .

**المفكرون العاليون وأداؤهم في بيروني :** لا شك أن عبقربياً فذا ، وعالماً جليلًا ، ومفكراً كبيراً كالبيروني لا بد أن يتطرق إلى ذكر مآثره عدد كبير من المفكرين والعلماء ، من العرب والمستشرقين قديماً وحديثاً . ذكر أحمد أمين : أنه كان دُرّةً في تاج الدولة الفزنوية كابن سينا في الدولة السامانية . وأشار «فيليب حتى» إلى عظمته حينما قال : (إنه يعد أعظم بحاثة وعالم في الإسلام ، في العلوم الطبيعية والرياضية) . وقال علي أحمد الشحات عنه : (عالم متبحر في علومه وثقافته ، موسوعي في مؤلفاته ، متعمق في أبحاثه، ساهمت قريحته الوضاءة في تقديم علوم الفلك والرياضيات والجيولوجيا والطبيعة ، كما أضفت على علوم التاريخ والجغرافيا والطب مآثر لا تنكر ومجهوداً يشكر) . أما المستشرقون فقد أعطوه حقه إذ نشروا مآثره وذكروا فضله عليهم واقتبسوا تأثير تجاربه واستفادوا من مبتكراته ومؤلفاته . فالعلامة «أدوارد سخا» وصفه قائلاً : (إنه أكبر عقلية عرفها التاريخ . . . وإنه أعظم علماء عصره ومن أعظم العلماء في كل العصور) . والعالم «مايرهوف» يقول : اسم البيروني أبرز اسم في موكب العلماء الكبار واسعى الآفاق الذين يمتاز بهم العصر الذهبي للإسلام) . كما أشاد به العالم سمت وقال : «إنه كان ألمع علماء زمانه في الرياضيات وإن الغربيين مدینون له بمعلوماتهم عن الهند وما تأثر بها في العلوم» .

وقال فيه كراتشكوني فسكي : «فالبيروني هو تلك الشخصية الفذة التي طفت على شرقى العالم الاسلامي فى القرن الحادى عشر فى ميدان العلوم المتصلة بالجغرافيا ، وخاصة الجغرافيا الرياضية» . وذكره العلامه جورج سارتون فى كتابه (المدخل الى تاريخ العلم) بقوله : «ان النصف الأول من القرن الحادى عشر يمثله من وجهة العلم العالمى البيروني أكثر مما يمثله ابن سينا» . وقا أيضا : «كان البيروني باحثا فيلسوفا رياضيا جغرافيا ومن أصحاب الثقافة الواسعة بل ومن أعظم علماء الإسلام ومن أكبر علماء العالم» . أما المستشرق الأميركيكي «أرثر بوب» فيقول : «في أية قائمة تحوى أسماء أكبر علماء الدنيا يجب أن يكون لاسم البيروني مكانه الرفيع ..

لقد كان من أبرز العقول المفكرة في جميع العصور . وأخيرا فان شخصية البيروني الفذة ، ومكانته الريغعة ، وخدماته الجلى تستوجب منا أن نحقق ونطبع مؤلفاته المخطوطة ، وأن نُشَيدَ له تمثلاً يرمز الى عظمته .. منه نستلهم نهضتنا وعليه نُشَيدَ ببنائنا، وبه تُذَكَّرُ العالم أنتا كما تم كأنوا بنا.

【 عباس فاضل السعدي 】  
بغداد

محله العربي عدد 162

النص :

أحد علماء ثلاثة يزدّهي بهم تاريخ العلم ، وهم : ابن سينا ، وابن الهيثم ، والبيروني ، بلغت الحضارة العلمية الإسلامية في عهدهم الذروة ، ذلك من متتصف القرن العاشر إلى متتصف القرن الحادي عشر الميلادي ، أو متتصف القرن الرابع إلى متتصف القرن الخامس الهجري . وهو كأحد علماء الطبيعة (الفيزياء) المسلمين . يعتبر الأرفع شأنًا والأعلى كعباً والأرسخ قدماً . ولعله في مقدمة علماء الطبيعة في جميع العصور والأحقب .

1 — حياته : جلاه لنا أبدع تعجليه ، الأستاذ مصطفى نظيف ، في كتابه الرائع «الحسن بن الهيثم» الذي نُثِرَ منذ نحو ثلاثين عاماً ، وقد عرفته أوربا باسم : «الهازن» ، وهو تحرير لكلمة الحسن ، وهو الحسن بن الهيثم . ولد في متتصف القرن الرابع الهجري (حوالي سنة 354 هـ - 965 م) . عاش أول أمره في البصرة ثم انتقل إلى القاهرة بدعوة من الحاكم بأمر الله ، وخرج الحاكم نفسه لاستقباله خارج مدينة القاهرة . وفيها عاش أغلب عمره وألف معظم كتبه ، وظللت كتبه المرجع الذي يعتمد عليه أهل الصناعة في علم الضوء ، حتى القرن السابع عشر الميلادي ، وكان يسمى علم المناظر .

2 — أخلاقه : وعظمة ابن الهيثم لم تُشبّهْ قطّ شائبة من الغموض أو يمسها ضعف من الخلق ، بل زادها الخلق وجمال التواضع جلالاً وبهاءً . فكان فاضل النفس وأففر التzedه ، محبًا للخير ، وفوق حبه عمل الخير لذاته ، فوق زهده عن المال وترف العيش ، متواضعاً ، مقدراً السابقين من العلماء حق التقدير ، يذكرهم بالفضل والاحسان ، وينصفهم ، وهو إن ابتكر فكرة جديدة ، أو تناول بحثاً لم يسبق إليه أحد ، قتع بالإشارة إلى ذلك بمثل

قوله : «ولا نعرف أحدا من المقدمين ولا من المؤخرين يَبْيَنَ هذا المعنى ولا وجنه في شيءٍ من الكتب» .

أما عيوف ابن الهيثم عن الصغائر وزهده في الترف والمال والسلطان ، فيؤكده انكابه المنقطع النظير على العمل العلمي ، وقصته مع الأمير الذي دفع له أجر تعليمه ، فردها قائلاً : «خذ أموالك بأسرها ، فأنت أحوج إليها مني ، عندما تعود إلى ملوكك ومستقتك رأسك ، وأعلم أنه لا أجراة ولا رشوة ، ولا هدية ، في نشر العلم وإقامة الخير» . وقوله : «يكفيني قوت يوم . فما زاد على ذلك إن أمسكته كنتُ خازنك ، وإن أنفقته كنتُ فهرز ماناك ، فإذا اشتغلتُ بهذهين فمن يَشْتَغِلُ بِعِلْمِي وأَمْرِي؟» .

3 - مؤلفاته : دأب «ابن الهيثم» على تحصيل العلوم الفلسفية والطبية والفلكلية ، والرياضية ، قرأ كتب من تقدمه من العلماء ، قراءة تدبر وتفكير ودراسة ، وعني بتلخيصها وشرحها ، ثم جعل يؤلف فيها .

بلغت عدة ما ألفه في العلوم الفلسفية والطبية ثلاثة وأربعين كتاباً ، وفي العلوم الرياضية والعلمية خمسة وعشرين ، وفي الهندسة واحداً وعشرين كتاباً ، وفي الفلك سبعة عشر ، وفي الحساب ثلاثة كتب . لقد نَيَّفَ مصنفاته ، وكتبه ورسائله على المائتين ، ذاتت بين الناس في عصره ، ضاع كثير منها بل لم يصل إلينا علمه ، فقد ذكر أنه ألف في الهندسة ثمانية وخمسين مصنفاً ، لا نجد منها في مكاتب العالم سوى واحد وعشرين ، وفي الطبيعة أربعة وعشرين لا نجد منها إلا اثني عشر ، وفي الفلك أربعة وعشرين ، لا نعرف منها سوى سبعة عشر ، وفي الطب كتابين ، وفي الفلسفة والمنطق وعلم النفس والآلهيات ، والأخلاق ، واللغة ما يزيد على أربعين مؤلفاً

4 - منهجه العلمي : إن ابن الهيثم في أخذته بالاستقراء ، واعتماده على المشاهدة والاعتبار في مقدمة علماء الطبيعة النظرية ، بما وَضَعَ في ظواهر الضوء من نظريات في الأبصار وقوس قُزْح ، وانعكاس الضوء وانعطافه ،

كما هو في المقدمة بين علماء الطبيعة التجريبية ، بما أُجَرِى من تجارب عن كيفية امتداد الأضواء الذاتية ، التي تبعث من الأجسام المضيئة بذاتها (ضوء الشمس وضوء النهار ، والأضواء العرضية ، التي تشرق من سطوح الأجسام الكثيفة التي تستضيء بضوء الأجسام المضيئة بذاتها ، أو التي تستضيء بضوء عرضي ، يشرق من سطح جسم كثيف آخر ، هو نفسه يستضيء بضوء ذاتي) . وقد تناولت تجاربه ضوء القمر ، وضوء الكواكب والضوء المشرق من ضوء أيض يستضيء بضوء القمر أو ضوء النهار ، واستقصى أحوال الأضاءة الشديدة والاضاءة الضعيفة .

وقام ابن الهيثم على رأس بعثة هندسية ، وتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوبى أسوان ، يدرسه ويعاينه ، إلا أنه لم يجد الأمر متفقاً وفكرة الهندسية .

واذا كانت دائرة المعارف البريطانية تقول : إنه بعد «بطليموس» لم يظهر من يجاريه في علم الضوء الا ابن الهيثم ، فيحوثه ودراساته ومقالاته لا تعد مجرد زيادة اتسعت بها دائرة المعلومات فحسب بل تعد أحداثاً قلبت أوضاع هذا العلم وعدلت مجرياه ، ولا يكفي فيها نشر ما لم يطبع من مخطوطات بل هي جديرة بعمل أبعد غوراً وأشد جهداً .

5 – كتاب المناظر : نشر «رزن» سنة 1572 ترجمة لاتينية للكتاب بعنوان «الذخيرة في الاوبطيقي» للهازن ، وليست هذا الكتاب المقتول عن العربية مرجع أهل أوروبا في علم الضوء خلال القرون الوسطى ، «ولقد تبين على التحقيق أن جلّ البحوث والكشفوف الضوئية التي تسبّب إلى علماء أوروبا حتى عصر النهضة قد وردت فيه وأن كثيرين من علماء أوروبا المشهورين في تلك العصور لم يصلوا إلى مستوى الآراء والتفكير الأساسية التي ذكرها ابن الهيثم . وأنه كان للكاتب أثر عريق في توجيه ودراسة علم الضوء إلى الوجهة الصحيحة ، إن مستوى العلمي بوجه عام قد سما سموا

رفيعاً فوق مستوى كثير من الكتب العلمية التي ألفها الغربيون في تلك الصور ، بما فيها مؤلفات «كيلر» في الضوء ، وثبت أن كتاب «الذخيرة اللاتيني» إنما هو ترجمة لكتاب «المناظر» لابن الهيثم .

ولأيماء في أن ابن الهيثم قد سبق «باقون» في الأخذ بالطريقة العلمية والأخذ بأسبابها ، أن هذه الطريقة التي تعد من مبتكرات العصر الحديث ، هي الطريقة التي لا تتردد في أن تقول إن ابن الهيثم اتبعها في بحوثه وكشوفه الضوئية . وهذه الناحية من نواحي ابن الهيثم لم يتناول بيانها على ما نعلم أحد ، وهي جديرة بالاشارة والتقدير ، فإن ابن الهيثم أخذ في بحوثه بالاستقراء ، وأخذ بالقياس ، وعني بالتمثيل وأخذ بهذه العناصر على المنوال المتبعة في البحوث الحديثة ، وهو في ذلك لم يسبق «فرانسنس باكون» فحسب ، بل سما عليه سموا ، وكان أوسع أفقاً ، وأعمق تفكيراً .

٦ - نظريات الضوء : ليس معروفاً الآن أن أحداً من المسلمين المتقدمين على ابن الهيثم قد أضاف إلى علم الضوء شيئاً جديداً لم يكن معروفاً من قبل ، فهم لا شك قد أصلحوا الكتب التي نقلت عن اليونانية ، وشرحوا غواضتها ، وصححوا أغلاط براهينها الهندسية ولكن ظل علم الضوء عند المستوى الذي وصل إليه ، وبقي كذلك حتى تناول ابن الهيثم دراسته ، وقارنها بالأراء السائدة في عصره ، شرح آرائه في الأضواء الذاتية والعرضية ، والمعكسة ، والتجز ، والشفق ، ونقد رأي أصحاب الشعاع وألوان الأجسام الكثيفة ، والأجسام المضيئة بذواتها ، وأثبت أن انتقال الضوء لا يكون إلا في زمان ، معارضاً السرعة الآتية التي قال بها ابن سينا ، وقام بتجارب لاثبات سرعة الضوء ، والناحية الميكانيكية من نظرية ابن الهيثم في الانعكاس والانعطاف والهالة وقوس قزح والكسوف والخسوف تعد عملاً تجربياً ذات قيمة علمية كبيرة .

7 — آراء العلماء فيه : إن ابن الهيثم أبطل «علم المناظر» الذي وضعه اليونان ، وأنشأ «علم الضوء» بمعنى الحديث . وان أثره في هذا العلم لا يقل عن أثر «نيوتن» في «علم الميكانيكا» ، فان عد «نيوتن» رائدا لعلم الميكانيكا في القرن السابع عشر فان ابن الهيثم رائد علم الضوء في القرن الحادى عشر .

فابن الهيثم في ميدان علم الطبيعة ، إن لم يكن من طراز المحدثين في الجيل الحاضر ، فإنه من غير شك من طراز علماء الطبيعة في القرن التاسع عشر . وبحوثه المبتكرة في علم الضوء تجعله في مقدمة الأعلام الأفذاذ في تاريخ هذا العلم .

وقد استحق ابن الهيثم شهادة سارتون مؤرخ العلم في العصر الحديث «بأن ابن الهيثم أكبر عالم طبيعي مسلم في جميع العصور والأزمان».

ولقد تبحر ابن الهيثم كذلك في العلوم الرياضية والفلكلية ، وان رسائله في الحساب والجبر وحساب المثلثات والهندسة الإقليدية المستوية والجسمة تدل دلالة أكيدة على تضلعه في الرياضيات البحتة وعلو كعبه فيها .

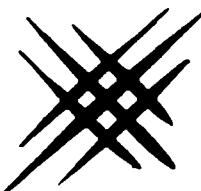
يقول المرحوم الدكتور علي شرفه « ان المطلع على كتاب ابن الهيثم في حل شكوك أقليدس يلمس دقته في التفكير ، وعمقه في البحث ، واستقلاله في الحكم ، كما تتضح له صحة مكان الهندسة الإقليدية من العلوم الرياضية فهو في هذا الكتاب رياضي بحت ، بأدق ما يدل عليه الوصف من معنى ، وأبلغ ما يصل إليه من حدود .

لقد أقام ابن الهيثم في القاهرة الى أن أدركه الوفاة سنة 430 هـ بعد أن عاش ستة وسبعين سنة ، قضاها في شطف من العيش وسعة من العلم .

[عبد العليم منتصر]

## اسئلة حول المحور

- 1 - أبرز الجوانب التي تجلّى فيها صفات الشهامة والمرودة ونكران الذات لدى كل من الامير عبد القادر ومسلمه بن عبد الملك ، كما تراها في النص ، واذكر نظائر لها في تاريخنا القديم والحديث موضحا اثر ذلك في جهاد الامة الاسلامية .
- 2 - وُصف البيروني ( بالموسوعة ) في علمه ومعارفه ، وبمنهجه العلمي والمنطقي . هل تجد مثل هذه الصفات عند ابن الهيثم ؟ وضح ذلك من خلال المقارنة بينهما .
- 3 - تعددت جوانب العلم والمعرفة والاختصاص لدى عدد من العلماء والفلسفه المسلمين . ما مصدر هذا التعدد ؟ وهل تجد له مثيلا في عصرنا الحاضر ؟ ولماذا ؟



## «ط» الطبيعة والسياحة

فترات فيما ملئى نصوصاً شتى في الطبيعة . . وتقسم في هذا الباب نصوصاً أخرى تتناول الطبيعة ومشاهدها ، ويعرض بعضها للسياحة التي غفت في أيامنا هذه موضع اهتمام ووعناء زائدين لما تتيجه للسياحة - على اختلاف اجناسهم ومشاربهم - من تنقل بين مشاهد الطبيعة وشواهد الآثار ، فيبصرون ، وبينظرون ويتذمرون ويجدون إلى ذلك فرضاً للراحة بعد تعب ، وللفرجة بعد فسيق .

وفي الجزائر مجال وحب للسياحة ، يتمثل في طبيعتها الجميلة وأثارها الجليلة . . تجدر فيها المتمة أن شئت ، والمعبرة أن أردت وتنزهة العين والذكر جيئماً إذا ثالتك لذلك نفسك ، واجتمع له خاطرك وحسك .

## الحياة جميلة

تمهيد :

الحياة جميلة ، واجمل منها ان نترك جمالها ونستوحيه .. وللطبيعة جمالها ،  
لماذا يحسه قوم ويغمى عنه آخرون ؟

انها معهم في كل مقدى ورواح ، وكل مصي وصباح ، تنسحب اذا سمحوا ،  
فتفتر منها البراعم ، وتتناثر الفدران ، وتالم اذا الموا ، فتتبدل السحب ويكفر  
وجه السماء ، وتبكي اذا يكوا ، فتتناوح الريح وتتهمر دعو الغمام مدراها .. تتلون  
باليوان هرحم وحزنهم ، وتصطبغ باصياغ رسامهم وسخطهم ، فتارة صافية مشرقة ،  
وآخرى عابسة مطرقة ، فكيف ونحن ابناء الحياة ، ننقها ونعرض عنها وهي بنا بارة  
وعلينا حانية ؟ .

النص :

الحياة جميلة ، وما يُشَوّه جمالها غير هذا الحيوان المسمى بالانسان .  
لم يعش فيها كما تعيش سائر الانواع على رسم الفطرة وهدى الطبيعة  
ووحي الله ، وإنما عاش على قوانين من وضعه استمدّها من أثره وكبرياته  
وهو اه فكان شرًا على نفسه وحربا على غيره .

ربما اقتل الوحش والوحش أو الطير والطير في سبيل القوت أو  
النسل ، ولكنه اقتال الساعة لا يسبقه تدبير ولا يصحبه حقد ولا تلحظه  
جريرة<sup>(١)</sup> ! أما الانسان فهو وحده كَذَرُ السلام وقدِي<sup>(٢)</sup> الحياة . أحيانا لنفسه  
بفضل ذاكرته ماضيا يحفظ الثار ، وخلق لنفسه بفضل بصيرته مستقبلا  
يحمل الخوف ، فكان حاضره يتهمها قاتلا مستحِرا<sup>(٣)</sup> لا ينقطع ولا يفتر ، إنما  
درءاً لثار الأمس الذي يتذكرة ، وأما كَتَبَا لقوت اليوم الذي يتبصره ، وأما  
درءاً لخوف الغد الذي يتتصوره .

1 - جريمة : ذنب ، جنابة .

2 - القوى : ما يقع في العين أو الشراب من ثبة ونحوها ، ويريد ان الانسان مصدر كدر  
وتنفيس .

3 - مستحرا : شديدا .

الحياة جميلة وأجمل منها الحي الذي يدرك هذا الجمال ويتذوقه ويستوعبه ويكتسيه فالطائر أجمل من الروض لأنّه عَرَفَ كيف ينقل ألوانه على ريشه ، ويجمع الحانه في صوته . والأسد أجمل من الغابة لأنّه استطاع أن يجعل رهبتها حية في رهبة ، وعظمتها مائلة في عظمته . والجمل أجمل من الصحراء لأنّه اندمج فيها فسير جلبها في هيكله وصور رملها على أديمه ،<sup>(4)</sup> والحوت أجمل من البحر ، لأنّه قطعة من الحياة صيغت من لين مائه وشدة موجه وسرعة تياره .

وكأنما يدرك الطبيعة ويسايرها ويتأثر بها كل شيء من ناطق وصامت إلا هذا الإنسان فقد خرج عن سنته الله في خلقه حتى اختصه بالأنبياء والرسل والمدارس والكتب وهياكله أن يدخل النور عين الضمير ، ويلغى الصوت أذن الأصم .

الحياة جميلة . وليس جمالها قصرًا على قوم دون قوم ، ولا على طبقة دون طبقة . إنما الجمال وضوء الفن الالهي أشعاع الله في الأرض والسماء ، وهي المدارك للاستفرار فيه والاستمتاع به . فمن كان ذا سمع وبصر وقلب وجده في كل منظر وأحسه في كل حالة .

نهؤلاء الذين يمرون عليه وهم معرضون عنه قد فسدت فيهم طبيعة الحياة ، وتبدلتهم فيهم ملكة الحسن ، فانقطع ما بينهم وبين الوجود الحق والوجودان الصحيح .

إن الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحياة وبقاء النوع ، تجمع به ما شتّت ، وتتولّف به ما نفر . وهو بعد ذلك سرور النفس ونور القلب وسلام الروح ، فمن تملاه<sup>(5)</sup> في صوره الحسية والمعنوية في الكون كان له منه في كل زمان شباب وفي كل مكان ربيع .

---

5 - تحلاه : تمنع به .

4 - الأديم : الجلد .

الحياة جميلة ومظهر الشعور بجمالها المرح والبهجة ، فأينما ترى الحمود والكتابة ترى الشعور الذي أدركه الكلام أو أصداه القبح أو أفسده الشر ، فيموت فيه الوعي ، أو ينعكس فيه الجمال ، أو ينقلب فيه الخير ، فالجمال في الطبيعة لابد أن يجاوبه جمال في النفس . والصفاء في العيش لابد أن يعادله صفاء في القلب . ومن هنا استتر<sup>(6)</sup> الجمال والصفو على ذوي الحس المظلم والضمير الخامد .

كن جيلاً ترى الجمال في كل شيء حتى في الدّمامة . ومتى امتلأت قواط المدركة بمفاتنه وبماهجه حلي الوجود في صدرك ، وساغ المر في فمك ، وسعيت إلى مجاز الجمال في التسلل والعزيرة والريف والجبل ، فشَدَّوْتَ مع الطير ، وطررت مع الفراش ، وسبحت مع السمك ، واستقطعت أن تطاول الأغنياء في العز وتشاهِم<sup>(7)</sup> في الغبطة ، وتقول لهم : إن السعادة بالجمال أضعاف السعادة بالمال ، والمال لكم فجدواه عليكم ، ولكن الجمال لله فجدواه على الناس .

الحياة جميلة ، وأنت يا ابن الحياة وارث هذا الجمال . فلم تزوي عنه وجهك وترسل عينيك بالحسد والحقن إلى المترفين الخافقين<sup>(8)</sup> وهم ينتمون بالقُنْص ، أو يتزلّقون على الجليد ، أو يتمتعون بالسياحة ؟ إن في بلادك من الجمال المبذول والنعيم المشاع ما يكشف ثورتك على الغنى ويُلحف سخطك على الحيلة .

الحياة جميلة . ولكن جمالها يقتضي أن يكون لنا زعماء يصححون إدراكنا للحياة ، ويرهفون أدواتنا للجمال ، ويهيئون قلوبنا للسرور ، ويشغلون أوقات فراغنا بالمسابقات الرياضية ، والمهرجانات الوطنية والسباحات النهرية ، والملابحي الفنية ، والمواكب الشعبية .

من : وحي الرسالة

【أحمد حسن الزيات】

6 - استتر : خَيَّنَ وَاسْتَرَ .

7 - تشاهِم : تسبّهم .

8 - الخافقون : البائعون في عيشهم ، وخص العين : لبته وسمته

## مع النص

- 1 - ما الفكرة العامة التي يشتمل عليها النص ؟
- 2 - ما الذي يُشَوّه جمال الحياة ، في نظر الكاتب ؟ ولماذا ؟
- 3 - ما الفرق عنده بين اقتتال الوحش واقتتال البشر ؟
- 4 - لماذا اعتبر الكاتب الحَيَّ أجمل من الحياة نفسها ؟ وما الأمثلة التي اعتمدتها لدعم رأيه ؟
- 5 - به عرف الكاتب الجمال ؟ وأي الناس يحسونه ، وأيهم يعرضون عنه ؟
- 6 - ما أثر الجمال في نفس مَن يحبه ويقبل عليه ؟
- 7 - كيف نستطيع أن نميز بين مَن يتمتعون بنعمة الشعور بالجمال ، وبين مَن حِرَموا هذه النعمة ؟ .
- 8 - متى يحلو الوجود في نظر الإنسان ؟ وما الذي يلطف سخطه على الحياة في نظر الكاتب ؟
- 9 - ما النتيجة التي يخلص إليها الكاتب في خاتمة مقاله ؟ وماذا يتمنى ؟

## تقدير النص

### ١ - الأفكار :

- 1 - كيف يشوّه الإنسان جمال الحياة ؟ هل تجد في ظروف الحرب العالمية الثانية التي كتب فيها المقال ، سوغاً لاطلاق هذا الحكم على الجنس البشري كله ؟ ولماذا ؟
- 2 - اذا كان الجمال (يلطف السخط على الحياة) ، فكيف يمكنه ان (يكفف الثورة على الفن) – حسب رأي الكاتب ؟  
ناقش هذا القول ، وأبسط رأيك ..
- 3 - ما السر في تعبير الكاتب بقوله : (يا ابن الحياة) ؟ .
- 4 - علام يدل ترديد عبارة (الحياة الجميلة) في عدد من فقرات النص ؟
- 5 - يقول الكاتب : « كن جيلاً تر العجال في كل شئ حتى في الدمامه ». كيف يكون الجمال في الدمامه والقبح ؟ وهل ترى لفكرته هذه صلة بما عناء ابن المعتز في قوله :  

قلبي وثاب إلى ذا وذا  
يَهِيمُ بِالْحَسْنِ إِذَا شَامَهُ  
ليس يرى شيئاً فيbabاه

## ب - الاسلوب :

- 1 - « الجمال وسيلة الطبيعة لحفظ الحياة وبقاء النوع ». فـ في هذه العبارة إيجاز ، ومن شروط الإيجاز الدلالة على المعنى الواسع باقصر لفظ . فهل تجد في العبارة حظاً كافياً من الدلالة والوضوح ؟ غيرَ عما فهمت بأسلوبك ، و وازن لاستخلاص اجابتكم .
- 2 - في بعض فقرات النص [جمال يتلوه تفصيل ، دُلّ عليه في موضعه ، واذكر علام يدل ذلك من اسلوب صاحبه .
- 3 - اختر من النص فقرة اعجبتك ، ووضح سبب اعجبتك .
- 4 - وضح الصورة التي رسماها الكاتب للطير في روضه ، وللأسد في غابته ، وللجمل في صحرائه ، والحوت في مائه .. وبين المدى الذي بلغه الكاتب فيما من عمق الفكرة والخيال والشعور جمعياً .
- 5 - يقال : « إن الاسلوب هو الأديب » فهل ينطبق هذا القول على الكاتب : « الزيارات » ؟ ولأى أي مدرسة ادبية ينتمي : مدرسة المتندين ، أم المحافظين ، أم المجددين ؟

## استئثار النص

- 1 - سجل في كراسك الخاص : .
  - انما الجمال وضاءة الفن الإلهي ، أشاعه الله في الارض والسماء ، وهى المدارك للاستغراق فيه والاستمتاع به .
  - الجمال في الطبيعة لا بد ان يجاويه جال في النفس ، والصفاء في العيش لا بد أن يعادله صفاء في القلب .
  - ان السعادة بالجمال اضعاف السعادة بالمال .
- ب - لاحظ : كلمة « **تشقّ** » الواردة في النص ، وما لها من وجوه استعمال مختلفة : **شقّ الأمر** : صعب . **شقّ عليه** أو قعه في المائمة . **شقّ التّبتُ** : بذًا وظهر ، وذلك اول ما تقطّر عنه الارض . **شقّ البرق** : رُئي مستطيلاً بين السحاب . **شقّ نهرًا** : حفره . **شقّ الارض** : حرثها . **شقّ الشيء** : صفعه . **شقّ عصا الطاعة** : خالف وتصرّد .

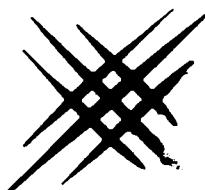
### **ج - طبق :**

1 - بين ما لكلمة (ينقطع) - الواردة في النص - من معان ووجوه استعمال اخرى ، في جمل من عندك .

2 - انسج على منوال العبارة الآتية :  
الحياة جميلة . وليس جمالها قصرًا على قوم دون قوم ، ولا على طبقة دون طبقة .

### **3 - حمرد :**

اكتب موضوعا في مزايا السياحة ، وما تعود به من نفع على الافراد وخير على البلاد .



النص :

ان الجزائر بحكم تأثيرها ووجودها بين عوالم ثلاثة ، عالم الأبيض المتوسط ، والاسلامي والافريقي ، مركز الفن والحضارات ، تعد أرضا للاستقبال والترحاب ، للتبادل وال اللقاءات والتعارف .

وبحكم وضعها الجغرافي والطبيعي تمثل الجزائر أرضا طيبة ، ذات نواح متعددة متفاوتة لكل ناحية طابعها وماضيها . والسائح يقدم في أي فصل من السنة ، يتأكد من وجود غايته : الرياضية الشتوية والصيفية ، والمنشآت المعمارية،والطبيعة تمكّنه من إقامة طيبة ومرحة .

وشواطئ الجزائر تمتد الى ما يزيد على ألف كلم صالحة للإقامة ، فيها السباحة طول السنة ، شواطئ طويلة وقصيرة ، برماليها الجيدة النظيفة ، وأحواضها الصغيرة ، وخلجانها الجميلة تُقللها أشجار رائعة وشواهد ملائمة ، وهي أيضا مهبط عشاق الرياضة والتزحلق والصيد . وإذا كان لكل ساحل أصالته وروعته ، فإن ناحية القبائل الصغرى ومن بجاية الى القل هي - بدون تزاع - أجمل وأروع التواحي وأكثرها رونقا وشاعرية .

وغير بعيد من السواحل تُشرف المرتفعات والقمم المعمرة بالثلوج أسايع طويلة في الشتاء ، تجلب اليها كثيرا من الرياضيين . والمرتفعات المقصودة أكثر هي تكجدة (1475 مترا) من سلسلة جبال جرجرة في القبائل ، والشرسة (1500 مترا) في الأطلس البليدي ، على بعد 70 كلم من العاصمة وعلى بعد ساعات من مختلف العواصم الأوروبية .

\* من كتاب «الجزائر ماض وحاضر» اعداد وزارة الاعلام «ادارة الوثائق».

ثم هناك الطلبات . . مقر المهدوء والسكنينة ، تمتد من جبال تلمسان غربا الى مجرد شرقا ، وفيها يتمتع السائح بالمناظر الخلابة ، وتلك القرى والمدن المطلة في زهو وروعة ساحرين ، تطللها الخمايل وأشجار الفواكه صناعة الأجيال ، ثم تختفي في ذلال بنواحي زكار . . ثم وبمفاجأة لطيفة تبدو هذه الطبيعة الجبارة من مشارف قسنطينة ، مهد القرون والأجيال ، وهناك نوع آخر من الطبيعة . . الهداءة الخجلى — التي تحتمي بالجبال — في ندرة غربا ، وقلعةبني راشد ومازونه في ناحية وهران ، والمدية في قلب الجزائر ، وميلة في ناحية قسنطينة .

وفي نفس هذه المناطق التلية ، يوجد عدد وافر من المحميات والحمامات المعدنية . مجهزة ومربيحة ، مثل حمام بوحنيفية غرب الجزائر ، وحمام رينا في الجزائر ، وحمام المسخوطين شرقا .

وإذا نزلنا قليلا نحو الجنوب تطالعنا الصحراء بواحاتها المتنوعة التي توفر للسائح راحة ساحرة . والمراب بأصالته وفقه العماري الشيق وصناعاته التقليدية وواحاته الخلابة ، وسوف . . البلد الغريب المدهش . . بخيله المحاط بالكتبان الرملية . ثم اذا توغلنا جنوبا يتتصب أمامنا المellar بأسراره وتاريخه العظيم .

وهكذا من الشاطئ والتلل الى قلب الصحراء العظيمة تتعدد الاكتشافات ، وتزداد الرغبة والتطلع . وبالاضافة الى الاعياد المحلية والموسمية التي تنظمها المجالس الشعبية البلدية ، لابراز ثرواتنا الفنية التقليدية والفلكلورية . وهل نحن في حاجة للتذكير بأعياد ؟ وهل يكون من الضروري أن نذكر بعيد الكرز الذي يقام في تلمسان ومليانة، والاربعاء، بعيد الحصاد في الشرق الجزائري ، وعيد الفنتم في الجلفاء . . . والتي تجمع كلها عددا كبيرا من السياح .

الجزائر أرض التراث ، وهي أيضاً أرض اللقاءات ، مهد الماضي التليد الذي ما زال مجهولاً لدى الناس وبعض المثقفين الأجانب . الجزائر بمنشأتها المعمارية الجليلة ، وبلدانها القديمة وعواصمها الإسلامية ، وأحياها الأصيلة من قبل الاحتلال .. كل ذلك وغيره يبين بوضوح مراحل تاريخ متواصل يعود إلى ثلاثة آلاف سنة خلت .

وإذا لم يبق الآن إلا القليل من آثار الحضارات البربرية وبعض الأرضي المتاخمة للأبيض المتوسط ، فإن أرض الجزائر تضع أمام عين الزائر نطاقاً معمارياً ثرياً وآثرياً تاريخية عتيقة ورائعة . وهكذا تمثل الصحراء إحدى المراكز التاريخية لفن قديم قدم العالم . هناك الرسوم النقوشية والزئبية — التي تطلب احتسابها ما يزيد على ستة — نجدها في التاسيلي<sup>(1)</sup> الجبار ، تلك الناحية الجليلة المهولة والشاعرية ، بين واحات جنات وورحات ، قريباً من الحدود الليبية . تلك المناطق التي تقلل مراحل تاريخية مزدهرة .

والشمال الجزائري ، بوجوده على الأبيض المتوسط ، شارك مشاركة واسعة في مختلف الحضارات ، كما تؤكد هذه الحضارات المنتشرة . قبل الرومانية — نتيجة توسيع الاحتلال الروماني — فانتا مع ذلك نجد بعض الآثار التي لم تفقد روعتها ودقتها . ففي قسنطينة نجد آثار «برتا» التي تكاد تكون الوحيدة في العالم ، والتي تذكرنا بعاصمة ماسينيسا ، هذا في الشرق . وغربي الجزائر في تافنة ، على بعد كيلو مترات نجد سيقا — عاصمة سيفاكس<sup>(2)</sup> ، التي ما تزال محتفظة بأسرارها . ومتحف وهران هو وحده الذي نجد فيه نماذج من آثاره الفخارية .

وخلال هذه المرحلة نجد غير بعيد عن تيبازة — في الساحل الجزائري —

---

1) التاسيلي : اسم جبل عظيم في بلاد الولغار .  
2) سيفاكس : من أعظم ملوك البربر كان ملكاً على مصيصيلاً عاش من سنة 230 - 202 ق م .

القبر الشامخ المسيي قبر كليوباترا<sup>(3)</sup> ، ونبر مدراس شمال باتنة ، كلاهما ما زال سرا غامضا على كل بحاثة .. بخصوصهما الضخمة ، وشكلهما الأسطواني وقبتها العجيبة .

أما الحضارة الرومانية ذات الطابع العسكري فقد امتدت عبر البلاد كلها ، وتوغلت في أعماق الصحراء فمن (شرشال) إلى تمقاد في الأوراس ، ومن (تلمسان) غربا إلى (تبسة) شرقا نجد الآثار الرومانية العديدة ، خصوصا في السهول وال الواحي الساحلية ، فعلى الشاطئ نجد سلسلة من الموانئ ، التي حُرّكَ أغلبها إلى شواطئ للسباحة مثل تبازا ، والتي أصبحت مقصدًا ومزاراً للسياح . كما نجد المنشآت الضخمة ذات الطابع الروماني المحسن مثل لمبيري وتمقاد ، ومسارح شرشال ، وتبسة ، وحمامات جميلة ، وكنائس وهيكل ومعابد وساحات الخ . . . ونجد آثاراً أخرى لما بعد هذه الحضارة مثل آثار الجدار التي ترجع إلى الدول والعمود البربرية في القرنين السادس والسابع ، ومثل الأضرحة الثلاثة عشر الواقعة جنوب غربي تيارت ، والتي تمثل وتميز بالطابع البربرى .

ومن هذه المرحلة إلى مطلع العصر الحديث ، أصبح المغرب الأوسط ، من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر ، وبالتحديد تلمسان ، أصبحت عاصمة كبيرة اقتصاديا وسياسيا وثقافيا ، منافسة بذلك كلا من فاس في المغرب الأقصى وتونس .

والى هذه المرحلة يرجع فنها ومنتها وصناعاتها التقليدية التي ما تزال إلى يومنا هذا تحظى بكل عناية وتقدير .

---

(3) قبر كليوباترا : كان يعرف بقبر الرومية ، سماه الفرنسيون بذلك تشوبيها لحقائق التاريخ وبعد الاستقلال غيرت وزارة الاعلام والثقافة اسمه إلى قبر كليوباترا اسمه التاريخي الحقيقي وهي اخت كليوباترا (المملكة المصرية المعروفة) ، وزوجة يوبا الثاني الملك البربرى العظيم الذي وجد له تمثال رائع في متحف مدينة شرشال

## بحيرة لامارتين (1)

النص :

هكذا نُساقُ دائمًا نحو عَوَالِمٍ مجهولةٍ ، ونَضِربُ فِي لَيلِ الأَبْدِ إِلَى غَيْرِ عَوَادِهِ !  
لَيْتَ شِفْرِي ! ! أَلَا نَسْتَطِعُ - فَوْقَ مُجِيطِ التَّسْنِينَ أَنْ تُلْقِيَ الْمَرْسَاهَ يَوْمًا  
وَاحِدًا ، فِي مُحِيطِهَا الْلَّجِي .

أَنْتَهَا الْبَحِيرَةُ : هَانَدًا ، وَقَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَحُولَ بَنَا الْحَوْلُ ، هَانَدًا أَغْبَثَ  
بِمَوْجِكَ الْخَيْبِ ؛ الَّذِي وَدَثَ لَوْ تَعْوُدُ إِلَيْهِ ، أَنْظُرِي ؛ هَانَدًا آتِيَ الْيَكَ  
وَحِيدًا ، أَجْلِسْ فَوْقَ هَذِهِ الصَّخْرَهُ ، عَلَى الصَّخْرَهِ الَّتِي رَأَيْتُهَا تَجْلِسُ عَلَيْهَا .  
هَكَذَا كُنْتَ تَهْدِرِينَ تَحْتَ هَذِهِ الصَّخْرَهِ الْفَائِرَهُ ، وَعَلَى جُوانِبِ هَذِهِ الصَّخْرَهِ  
كُنْتَ تَسْكَنِرِينَ ، وَتَسْتَأْنِرِينَ رَذَادًا ، وَهَكَذَا كَانَ الْرِّيحُ تَرْمِي بِزَبَدٍ مَوْجَاتِكَ،  
عَلَى أَقْدَامِهَا الْحَبِيبَهِ .

ذَاتَ مَسَاءَ - أَلَا تَذَكُّرِينَ - كُنَّا نَسْبَحُ فِي زَوْرَقَنَا صَامِيتِينَ ، حَيْثُ لَمْ يَكُنْ  
يُسْمَعُ مِنْ بَعِيدٍ ، فَوْقَ الْمَوْجَ وَتَحْتَ السَّنَاوَاتِ ، سَوَى اضْطِفَاقِ الْمَجَادِيفِ  
تَحْاكيَ - فِي إِيقَاعِهَا - الْحَانَ مَوْجَاتِكَ الْمُتَبَاغِمَهِ .

ثُمَّ انْتَلَقْتَ الْحَانُ ، لَا عَهْدَ لِلأَرْضِ يَبْثِلُهَا ، تَرِقُ مِنَ الشَّاطِئِ السَّاجِرِ ،  
فَتَضَمَّتُ سَائِرَهُ الْأَصْدَاءَ ، وَيُضَيِّنِي الْمَوْجُ إِلَى ذَلِكَ الصَّوْتِ الْخَيْبِ إِلَى  
نَفْسِي ، عِنْدَمَا فَاهَ بِتِلْكَ الْكَلِمَاتِ :

رَقَقَ أَيْهَا الزَّمْنُ دَوْرَتِكَ ، وَأَنْتِ أَيْهَا اللَّحَظَاتُ السَّعِيدَهُ ، كُنْتِي عَنِ الْمَسِيرِ ،  
وَدَعَيْنَا نَسْتَمْتِعُ بِأُوْيَقَاتِ هَذَا السَّرُورِ الْعَاجِلِ ، الَّذِي تَشَعُّ بِهِ فِي أَسْعَدِ  
الْأَوْقَاتِ .

(1) النقد التطبيقي والموازنات من 280 (طبعة سنة 1972 - الدار البيضاء) • للدكتور عبد العزيز متنيق •

كَلَّا يَا زَمَانُ ، فَمَا أَكْثَرَ الْبَائِسِينَ الَّذِينَ رَفَعُوا أَكْفَافَ الْصَّرَاعَةِ ، لِنُسْرِعَ الْخُطْيَّ ،  
فَأَسْرِعَ يَا زَمَانُ مِنْ أَجْلِهِمْ ، وَفِي غُضُونِ أَيَامِكَ أَخْتَرَمْ آجَالَهُمْ ، وَأَقْنَى مَعْهَا مَا  
يُحَظِّهُمْ مِنَ الْأَوْصَابِ وَغَصَّ الطَّرْفَ عَنِ السُّعَادِ .

لَكِنَّ رَجَائِي أَنْ أَشَتَّمِعَ لِعَظَاتِ أَخْرَى ، ارْتَدَ حَسِيرَا ، لَقَدْ أَفْلَتَ الزَّمَانُ مِنْ  
قَبْضَتِي وَظَارَ .

فَخَاطَبْتُ لِيَلَّتِي : رُؤْيَاكِ لَا تَغْبَلِي ، لَكَنْ سُزْعَانَ مَا أَقْبَلَ الْفَجْرُ ، وَبَدَّ  
الظَّلَامُ .

هَا نَعَاقِقُ الْحُبُّ ، وَلَيُجِبَّ بَقْضَنَا بَعْضًا ، وَلَا تَنَاقَعْنَ وَلَنُسْرِعَ إِلَى اغْتِرَافِ  
الْمُشْعَةِ ، قَبْلَ أَنْ تَقْلِيَ ، لِيَسْ لِلْإِنْسَانِ مَوْفًا فِي رَمْسُو ، وَلِيَسْ لِلزَّمِنِ مِنْ شَاطِئٍ  
إِلَهٌ يَغْرِي ، وَنَحْنُ فِي جَزِيرَهِ نَعْضِي !! .

أَيَّهَا الرَّزْمَنُ الْغَيُورُ أَيْمَكِنُ لِسَاعَاتِ الْحُبُورِ هَذِهِ – وَهِيَ الَّتِي سَقَانَا الْحُبُّ ،  
فِيهَا كُوكُوسُ السَّعَادَةِ ، وَنَحْنُ فَوْقُ الْأَمْوَاجِ ، أَنْ تَنَأِي عَنَّا مُسْرِعَةً ، فِي خَطَاها  
كَمَا تُسْرِعُ إِلَيْنَا أَيَّامُ الشَّقاءِ !

عَجَباً ! أَلَا نَسْتَطِعُ أَنْ تَعْلِفَ بَعْدَنَا آثَرًا ؟

مَا هَذَا ؟ أَمَاضُونَ نَحْنُ إِلَى الأَبَدِ فَلَا عَوْدَةُ ، وَهَذَا الَّذِي جَادَ بِهِ الزَّمْنُ ، ثُمَّ  
مَحَاهُ ، أَلَّنْ يَعُودَ مَرَّةً أَخْرَى مِنْ جَدِيدٍ ؟

أَيَّهَا الْأَبَدِيَّةُ ، أَيَّهَا الْعَدَمُ ، وَالْمَاضِي الْعَابِرُ ، يَا هُوَّةَ سَعِيقَةَ مُظْلِمَةٍ ! مَاذَا  
تَضْنَعِينَ بِالْأَيَّامِ الَّتِي غَابَتْ فِي جَوْفِكَ الْفِطْقِيِّ ! أَتَرَدِينَ إِلَيْنَا تَلْكَ الْمَسَرَّاتِ  
الْعَظِيمَةِ الَّتِي اتَّزَعَتْهَا مِنْ أَيْدِينَا ؟

أَيَّهَا الْبُحَيْرَةُ .. وَالصُّخُورُ .. وَالْكَهْوُفُ ، وَالْغَابَةُ الْمُظْلِمَةُ !  
أَنَادِيكِ ، أَنْتِ الَّتِي أَعْضَى عَنَّا الزَّمْنَ ، وَخَلَعَ عَلَيْهَا الشَّبَابَ مَرَّةً بَعْدَ أَخْرَى .  
احْفَظِي تَلْكَ اللَّيْلَةَ ، وَلَتَعْيَا أَيَّهَا الطَّبِيعَةُ الْجَمِيلَةُ ، أَوْ عَلَى الأَقْلَ : احْفَظِي  
ذَكْرَاهَا .

احفظها في وقت سُكُونك ، وفي ثنائياً فورتك بِهُوج الريح ، أيتها البُحيرة ،  
الجميلة ، وفي مرأى جناتك الباسمة ، وفي أشجار الشَّنَوْبِر المظلمة ، وفي  
تلك الصخور الغاتية التي تُشَرِّفُ على أمواجك .

احفظها في مسرى نسيمك الذي يخطُر هامساً ، احفظها في اصطداب  
شطآنك الذي تُرَدِّد صداؤه هذه الجنَّاتُ وفي لمعان وجهك الفضي الذي  
يتَلَاءِمُ كلما انكسَ عليه ضوء التجم بخيوطٍ من شعاعِه الالامع .

احفظها كلما أنتَ الريح . واليراع الزافر والشَّدَى العَفيف الذي يحمله  
هواؤك العطر مُرى كل شيءٍ تراهُ القَيْنُ ، أو تستمعه الأذُنُ ، أو يتَسَفَّسُهُ  
الأَنفُ مُريها جميعاً لأنَّ تقولَ : إنَّهُمَا كَانَا حَسِيبَينَ .



لَوْلَاكَ لَمْ أَتُرِكَ الْبُحْرَيْةَ وَالْمَغْوُرُ ذَفِيٌّ وَمَا وَهَا شَيْءٌ  
 وَالْمَسْوَجُ مِثْلُ النَّحُولِ مُزِيدَةً تَهْدِرُ فِيهَا وَمَا يَهَا قَطَّاً  
 فُرْسَانَ بُلْقٍ تَخْوُنُهَا اللَّجْمُ كَاهْنَاهَا وَالْتَّرَيَاحُ تَضَرِّبُهَا  
 جِيشَاهَا وَغَنِيٌّ هَازِمٌ وَمُنْهَزِمٌ كَاهْنَاهَا فِي نَهَارِهَا قَمَرٌ  
 حَفَّ بِهِ مِنْ جَنَانِهَا ظُلْمٌ نَاعِمَةُ الْجِسْمِ لَا عِظَامَ لَهَا  
 لَهَا بَشَّاتٌ وَمَا لَهَا رَحْمٌ يَقْرُرُ عَنْهُنَّ بَطْنُهَا أَبَدًا  
 وَمَا تَشَكَّيْ وَلَا يَسِلُّ دَمُ تَعَثَّتِ الطَّائِرُ فِي جَوَانِهَا  
 وَجَادَتِ السَّرْوَضُ حَوْلَهَا الدَّيْمُ فَهِيَ كَمَاوِيَةٍ مُطَوْقَةٍ  
 جُرْدَهَا غَنَمَهَا غِشَاؤُهَا الأَدَمُ

- (1) يزيد بالبحيرة : بحيرة طبرية . والفسود : منخفض بالشام ، بجوار بلد المدوح . والشيم : البارد . يقول : لو لاك لم اترك البحيرة وما ذها بارد وجئت بذلك الدافع الحار .
- (2) الموج : جميع موجة . ومن ثم قال : مثل النحول ، وهدر الفعل : اذا هاج وأخرج زبده وسمع له صوت عند الضراب والاشتماء . ومنى تهدر فيها : تصبح في البحيرة مدبراً مثل هدير الغدول وما بها شهوة الضراب .
- (3) العجب : طرائق الماء عند اختلاف الأمواج . وتقوله فرسان بلق : اراد فرسان خيل بلق ، والبلق التي فيها سواد وبياض . وتخونها اللجم : الضمير للفرسان ، اي تتقطع اعنتها ، فتلذهب الخيال حيث شاءت .
- (4) كانها : اي الطير . والوغي : الحرب . شبه الطيور وهي يتبع بعضها بعضاً على وجه الماء تضربها الربيع ، بعيشين : مازم ومهزوم فالمازم يتبعد المهزوم .
- (5) حف به : احاط به . والعنان : جميع جهة وهي البستان ، شبه ماء البحيرة في صفاته - وقد احاطت به البستانين في خضرتها الضاربة الى السواد - بقمر احاطت به ظلمات ، وغض النهار لأن هذا الوصف لها بالنهار دون الليل .
- (6) قال المكري ، لما وصف البحيرة ،antz فيها فقال . لا عظام لها وهي ناعمة الجسم وبناتها السمك : اي ان البحيرة ماء والسمك بناتها فهي امhen وما لها رحم .
- (7) لما جعلها ناعمة الجسم وجعل لها بناتاً كثي عن استخراج سمكتها وصيدها منها بالبقر وهو شق البطن .
- (8) جادت : من الجؤور - بفتح الجيم- وهو المطر . والديم : جميع ديمة ، وهي المطر الهدام في سكون .
- (9) الماوية : المرأة ، وجعلها مطوفة لما حولها من سواد البستانين . والأدم : الجلد ، وهو بيان للقضاء . شبه البحيرة - مع ما يصدق بها من البستانين- بالمرأة وقد جردت مما تقطعت من الجلد .

## اسئلة حول المحور

- 1 - قرات نصين في الطبيعة ، الاول للزيارات (الحياة جميلة) . والثاني لامرتين في وصف البحيرة . ولكن احدهما يعرض للطبيعة في ثنايا افكار يسيطرها ، وحال ينقدتها ، والآخر يقف حيالها وقفة الماجي المتأمل ، والذاكر المتهمل .  
- بين ايهما اعمق في تصويره ، وانفذ في فكره وشعوره .
- 2 - يبدو من النصين مدى تعلق صاحبيهما بالطبيعة ، واحدهما - وهو لامرتين من أصحاب النزعة (الرومنтика) التي تميل الى الفردية والانطواء والى تحرير العواطف من إسار العقل .  
- هل تجد مثل هذه النزعة عند الزيارات ؟ وضح إجابتك ، مستعيناً بأمثلة من النصين .
- 3 - اذا عدت الى قول امرئ القيس في بيته المعروف :  
*أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ ، أَلَا أَنْجَلٌ يُصْبِحُ ، وَمَا إِلَّا صَبَّاحٌ مِنْكَ يَأْمُلُ*  
وقول لامرتين مخاطباً ليلته في النص :  
*رُوَيْدَكِ لَا تَعْجَلِي      لَكِ سُرْعَانَ مَا أَقْبَلَ الْفَجْرُ وَبَدَدَ الظَّلَامَ*  
ووجدت لكلا الشاعرين موقفاً من الزمان : الاول يستعجله ، والآخر يستمهله . ما الباعث النفسي لدى كل منهما ؟
- 4 - وازن بين طريقيتي المتبني ولامرتين في وصف البحيرة من حيث اثر شخصية كل منها في نصه .

## «ي» الشباب والرياضة

الشباب عدة الوطن وطاقة الأمة ، فهو القوة المحركة ، والإرادة الخلاقة ، المبدعة ، التي تصنف المعجزات ، وتتخطى الحواجز والحدود . هو العلامة البارزة في حياة الشعوب والأمم ، بل هو الحياة مائة في جميع مظاهر الحياة ، وأبرز ما يميز الشباب : الحركة والنشاط ، والحيوية والاندفاع ، والرياضة بجميع فنونها وأنواعها هي من اختصاص الشباب ، وحتى أولئك الذين جاوزوا الستين والسبعين وما زالوا يمارسون الرياضة ، ويساهمون في عملية الخلق والإبداع هم «شباب» أيضا .

تهيء——د:

في الشباب شيخ وف الشيوخ شباب ، فكيف يكون ذلك ، ومتى تم هذه العادلة ؟ ليس في الأمر استحالة او تعقيد ، بالقدر الذي قد يبدو لك لأول وهلة ، ومع ذلك فالموضوع مشير بغيري بمعرفته ، والتعلق اليه ، والكشف عن سره ، والكاتب يتغافل لك بذلك في النص التالي :

النص :

من أحسن ما قرأت لأندرية جيد قوله إن الشباب ليس فترة عابرة من العمر ، تقع بين العشرين والأربعين مثلا ثم تزول . وإنما هو عقيدة يجب أن تؤمن بها ونعمل بمقتضاها حتى ولو بلغنا التسعين . إن الشباب بالحماسة ، واللذونة<sup>(٢)</sup> الذهنية ، والرغبة في الاختبارات الجديدة ، والنشاط ، والسعي ، والمغامرة ، والحب .

وكل هذه الصفات يجب أن يعتقد الشيخ في قيمتها العالية ، فضلا عن الشباب . وقد كان أندرية جيد<sup>(٣)</sup> شابا حين شرع يدرس الانجليزية واللاتينية وهو في الثامنة والسبعين .

ولقد لقيت من الشباب من مارسوا الشیخوخة ، وكأنها كانت عقيدتهم وذلك بالركود والتجمد وتعمّد العادات التقليدية التي يمارسها الهرمون<sup>(٤)</sup> والمهتمون . إذ كانوا يقضون وقتهم قعودا بلا نشاط على كراسى المقاهي أو كانوا يطلقون عيونهم في الفضاء ذاهلين كأنهم نائم أو كانوا يرفضون الاشتراك في المناقشات الذهنية لأنها تعجمهم .

(١) سلامة موسى : كاتب مصرى معاصر ، عنى بالابحاث الاجتماعية والتربوية . من آثاره : «الأدب للشعب» ، «ما هي النهضة؟» ، «التثقيف الذاتي» ، «تربية سلامة موسى» .

(٢) **لَذْنَةً** : كان **لَذْنَةً** (2) اندرية جيد : اديب فرنسي معاصر .

(٣) هرم : ضمف وبلغ أقصى الكبار

وإذاء هؤلاء رأيتُ بل عرَفتُ شيوخاً آمنوا بعقيدة الشباب . فهم يَكْرُّون في الصباح ويقرأون ويستمرون بالتجوال والزيارة ويشتركون في المعارك الذهنية العالية ويدرسون بل ويتطوّرون .

جُحش حين تقدُّم إلى أحدِهم أنه ناهض يستطيع ويستفهم ويستزيد من الاختبارات كي يستقرّ منها حكمة العيش ولدّة الذهن والجسم . وهو متّفّلّ يتحدّث بلجة المنصر الشجاع الذي لا يخشى المستقبل .

والشيخوخة الناهضة هي منظر جميل نحب جميعاً أن نتمعن عيوننا برؤيتها ، ونستمع إلى رواية اختباراتها . شيخ في الثمانين أو التسعين قد احتفظ ببنحافته فلم يستكرش<sup>(4)</sup> ولم يتَّرَّهَل ، وقد عُني بنظافة جسمه وتفسه وعقله ، وهو إلى ذلك مثقف يقرأ الصحف ويشتري الكتب ويزور أوروبا وأفريقيا ويهتم بالتغييرات المتّوالية في عصره . مثل هذا الرجل هو تحفة بشرية عالية لأنّه جعل الشباب عقيدته .

وكما نعتقد نَكُونُ ، فإذا اعتقّدنا أننا شبابٌ عَشنا بإحساسنا وأفكارنا ونظرتنا في جو الشباب بما توحّي اليها فكرته ، وبالعادات والاتجاهات التي يعيشها فينا .

ـ جَبَّادُ الشَّيَّابَ ثُوَّمَنْ بِهِ إِلَى يَوْمِ وَفَاتِنَا وَنَعْلَمُ بِجَمِيعِ مَقْتَضِيَّاتِهِ .

ـ إن الحياة صورة نَرَسُّمُها وليس أرقاماً نجمعها :

ـ وإن من أجمل الكلمات الخالدة التي فاه بها هولمز ، أحدُ القضاة في المحكمة العليا في الولايات المتحدة ، قوله : «الحياة صورة نَرَسُّمُها وليس أرقاماً نجمعها» .

---

(4) استكرش الرجل : عَظُمْ بعنه .

وقد عاش هولمز أربعا وتسعين سنة عَرَفَ فيها المجد ، إذ بلغ أعلى مناصب الدولة ، لأن القاضي في المحكمة العليا يستطيع أن يُلْغِي قانوناً يُصدِّره البرلمان ، أو أمراً يصدره رئيس الولايات المتحدة نفسه .

وقد عرف السعادة حتى إنه قال عقب وفاة زوجته إنه عاش معها ستة وأربعين سنة من شهور العسل .

ولكنه عرف ما هو أحسن من المجد ومن السعادة وهو الخدمة .

فإنه قضى عمره كله وهو يَخْدُمُ ويؤدي عمل الرجل الصالح ، وهو أن ينتفع للعالم أكثر مما يستهلك .

وقوله إن الحياة صورة نرسمها وليس أرقاماً نجمعها هو حكمه قد استقرَّها من عمره المديد الذي أوشك على أن يصل إلى المائة ، ذلك لأن كثريين من المفلين البارعين يقضون أعمارهم مسخرين في اقتناء المال بصورة المختلفة ، سواء أكان أرضاً زراعية ، أو قصوراً ، أو سيارات ، أو مصوغات ، أو نحو ذلك ، وهم ينظرون بالعين الحسائية إلى ماضيهم فقد كانوا قبل عشرة أعوام لا يملكون سوى ألف جنيه ، أما الآن فثروتهم تزيد على عشرة آلاف ، وكانوا قبل خمسة أعوام لا يقتلون سوى سيارة . أما الآن فاز لهم سيارتين . ونحو ذلك من ضروب الاقتناء الذي يُعَدُّ بالأرقام .

ولكن الحياة ليست أرقاماً نجمعها ، وإنما هي صورة نرسمها بحيث  
نعرف قيمتها بما تحوي من ملامح جميلةٍ جليلة ، وألوانٍ زاهيةٍ نَفِرَّة ، وبما  
اخْتَوَتْ من حُبٍ يجعل أيامنا جميعاً «شهر عسل» وبما أتجهه لنا من  
ترى وتنقِيف تمتلىء منهَا عقولنا فوراً وبصيرة .

أجل ، يجب أن تقول آخر العمر : ما أجملَ ما كانت حياتي وليس ما  
أكثر ما حَوَيْتُ من مال وعقار !

[سلامة موسى]  
من كتاب «محاولات»



## مع النص

- 1) ما مقياس (الشباب) عند الكاتب ؟ وما اهم مميزاته ؟
- 2) يرى الكاتب ان في الشباب شيوخا وفي الشيوخ شبابا ، كيف ذلك ؟
- 3) للكاتب رأي في الشيخوخة ، ما هو ؟
- 4) من الرجل الصالح في نظر الكاتب ؟
- 5) تختلف نظرة الناس لمعنى الحياة ، فما وجه هذا الاختلاف ومظاهره في نظر الكاتب ؟

## تقويم النص

### ا - الأفكار :

- 1) للكاتب رأي في معنى (الشباب) ما هو ؟ وهل توافقه ؟ وضح رأيك
- 2) تطالعك في المجتمع نماذج من الشباب تبدو عليهم امارات الشيخوخة قبل الاوان ، ما الصفات التي تميزهم ، والوسائل التي تعيد اليهم حيوية الشباب في رأيك ؟
- 3) يرى الكاتب ان هناك شيئا احسن من المجد ومن السعادة . ما هو ؟ وما رأيك في ذلك ؟

### ب - الأسلوب :

الكاتب من رواد الفكر العربي الحديث ، يتسم اسلوبه بالطابع العلمي التحليلي الذي يشتق العقل ويوجه نحو اسلوب من التربية ، أكثر مما يتسم بالطابع الادبي الفني الذي ينمي حاسة الشعور بالجمال .

- اختصر من النص جملًا تمثل هذه الخصيصة في ادبه .

## استئمار النص

### ا - سجل في كراسك الخاص :

- الحياة صورة نرسمها وليس أرقاما نجمعها .
- المواطن الصالح هو الذي ينتج أكثر مما يستهلك .
- هناك شيء هو أحسن من المجد ومن السعادة وهو الخدمة

## **ب - لاحظ :**

- ١ - لاحظ الكلمة (**شَرِعَ**) في النص ، وما لها من وجوه استعمال متعددة ، وبين المعنى الذي تفيده في كل جملة :
- شَرِعَ** للقوم : سَنَّ لهم شريعة - **شَرِعَ الباب** الى الطريق : انفتح له - **شَرِعَ** في الامر : بدأه .

## **ج - طبق :**

- ١ - بين ما تلخص الكلمة (**بلغ**) الواردة في النص من معان ووجوه استعمال أخرى في جمل جديدة من عندك (مستعينا بالقاموس).
- ٢ - انسج على منوال العبارة الآتية :
- كل هذه الصفات يجب ان يعتقد الشيوخ في قيمتها العالية ، فضلا عن الشباب .

## **٣ - حرر :**

- في الشباب خيال جامع ، وحماسة متدفقة ، وأحلام وثابة ، وأشواق ملتهبة ، ورؤى جميلة ، ولكن الحياة بحقائقها ووقائعها لا تكتفي من الشباب بهذه العدة ، ولا تقنع منهم بهذا السلاح
- اكتب مقالا في هذا الموضوع ، تحدد فيه رسالته الشباب ، وتبيّن واجباتهم ، باسطا رأيك فيه بوضوح .

النص :

فِي أَيَّامِ الْعُطْلَةِ الصِّيفِيَّةِ كَانَ مِنْ حَسْنِ حَظٍ بَعْضُ الْأَسَاَتِذَةِ أَنْ كَلَفْتُمُهُمْ بِوَزَارَةِ التَّرِيَّةِ وَبِوَزَارَةِ الدِّفَاعِ بِالْقِيَامِ بِجُولَةٍ فِي مُخْتَلَفِ الشَّكَنَاتِ وَمِرَاكِزِ التَّدْرِيبِ الَّتِي يَوْجَدُ فِيهَا الطَّلَبَةُ الْمُجَنَّدُونَ وَالَّتِي تَنْتَشِرُ مِنْ بَاطِنَةِ الْأَرْضِ إِلَى شَرْشَالٍ ، وَالْقَاءِ مَحَاضِرَاتٍ عَلَيْهِمْ تَعْلِقُ بِالتَّكْوِينِ السِّيَاسِيِّ إِلَى جَانِبِ التَّكْوِينِ الْعَسْكِرِيِّ الَّذِي يَتَلَقَّؤُهُ مِنْ ضِبَاطِ الْجَيْشِ .

لِيُسَغِّرُنِي هُنَا أَنْ أَسْجُلَ كُلَّ اِنْطِبَاعَاتِي فِي هَذِهِ الْجُولَةِ بِقَدْرِ مَا أُودِيَ أَنْ تَكُونَ مَلَاحِظَاتٍ :

1 — كَافَتْ هَذِهِ الْجُولَةُ بِالنِّسْبَةِ لِي شَخْصِيَا — وَأَعْتَقَدُ أَنَّهَا كَذَلِكَ بِالنِّسْبَةِ لِبَقِيَّةِ الْزَّمَلَاءِ — أَتَيَ اِكْتَشَفْتُ عَالِمًا كَنْتُ أَجْهَلَهُ هُوَ عَالَمُ الْحَيَاةِ الصَّعِبَةِ وَحَيَاةِ الْخَطَرِ : الْحَيَاةُ الصَّعِبَةُ قَالَ عَنْهَا ابْنُ خَلْدُونَ إِنَّهَا هِيَ الَّتِي تَسْكُنُ سُكَّانُ الْبَادِيَّةِ وَالْأَرْيَافِ مِنْ أَنْ يَتَغَلَّبُوا بِاسْتِمرَارِهِ عَلَى سُكَّانِ الْمَدَنِ . لِأَنَّ أُولَئِكَ تَعَوَّدُوا عَلَى مَعْارِسَةِ صَعْوَبَاتِ الْحَيَاةِ مِنْذُ خَشُونَةِ أَظْفَارِهِمْ ، وَهُؤُلَاءِ تَعُودُوا الْحَيَاةَ السَّهَلَةَ مِنْذُ (نَعْوَمَة) عَظَامِهِمْ . وَحَيَاةُ الْخَطَرِ قَالَ عَنْهَا (نَيْتَشِه) إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَشْعُرَ بِالْحَيَاةِ فَلْتَعْشُ فِي خَطَرِ !

2 — اِكْتَشَفْتُ ثَانِيَاً أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةِ الصَّعِبَةِ الْخَطَرَةِ لَا تَخْلُو مِنْ سَعَادَةٍ . لِأَنَّكَ تَسْكُنُ فِيهَا مِنْ اِكْتِشَافِ نَفْسِكَ . تَكَشِّفُ أَنَّكَ تَسْتَطِعُ أَشْيَاءَ كَنْتُ تَظَنُّ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِعُهَا ! تَكَشِّفُ أَنَّكَ تَقْبَلُ نَفْسِكَ يَنِمَا كَنْتُ

(\*) مِنْ وَاقِعِ الثَّقَافَةِ الْجَزَائِيرِيَّةِ ، لِدَكْتُورِ عَبْدِ اللَّهِ شَرِيفِ .

في الحياة المدنية توهم أنك لا تستطيع أن تعيش إلا بالاعتماد على الغير والثقة في كفاءة الآخرين . تكتشف أن عندك ثروة من الامكانيات والقدرات كانت ميّة لأنك لم تحاول أن تستخدمنها أو لم تضطرك الحياة السهلة إلى استخدامها .

3 — حدثني الضباط أن الجيش لو يتطعم بهذه العناصر المثقفة يصبح في سنوات قليلة أكثر من حلم يتجسد في حقيقة ! و قالوا لي إن ما أدهشنا في الطلاب هو قوتهم العقلية وضعفهم الجسمي ، إننا تسأله كيف تعيش هذه العقول التقوية الرهيبة في تلك الأجسام الضعيفة المهملة دون أن يتقطّن أصحابها لهذا الاختلال . لقد كنا في الأيام الأولى نحملهم من الأرض من شدة الاعياء وعدم قدرتهم على تحمل الأتعاب . و وجدنا فيهم من المرضى أضعاف ما نجده في الجنديين الذين يأتونا من البداية ! ومع ذلك فإنهم يتمازلون بخفة الحركة و انتلاقة الأعضاء .

4 — وقال لي الطالب لقد زال منا الشحم وزال عنا كثير من الأوهام . قلت لأحدهم لماذا لم تسجلوا هذا التحوّل الكبير في حياتكم في مذكرات . فقال إن أجسامنا متعبة و عقولنا تفكك في الامتحان . فقلت أليس ما تقومون به الآن هو الامتحان الحقيقي ؟ فقالوا : صحيح . ولكننا تعودنا على الامتحان المدرسي أكثر من امتحان الحياة .

وقال لي طبيب بلغاري : إن الطلاب في كل أنحاء العالم أخوف الناس من حياة الجنديه ولكن ما لاحظته عندهم هنا هو الحماس والتحدي .

5 — قال لي أحد طلاب الشكبة البحريه : أول عقبة كنت أفكّر فيها وأخي أنتي ساقع تحت عبئها هي هذا النعل الغليظ : كيف سأنسى نعومة نعلي اللطيف الذي أمشي به في شارع ديدوش مراد وأمتنعي هذه الدباباة المُنهكة في رجلي . ولكنني لا أدرى كيف أصبح الآن هذا النعل الثقيل

أَخْفَ في رجلي من نعلي السابق اللطيف ؟ فقلت : إن وزن النعل — لا هذا ولا السابق — لم يتغير . ولكن قوة الاحتمال في رجلك هي التي أصبحت أضعاف ما كت عليه في السابق . وتصوّر أن كل ذرة في جسمك قد تضاعفت قدرة احتمالها بهذه النسبة ، فانك ستتجد أنك أصبحت عشرة رجال يعيشون في رجل .

6 — في ثكنة<sup>(١)</sup> «باتنة» قال لي أحد الطلاب بعد المحاضرة : لم أكن أدرى أن تكويننا السياسي ضعيف إلى هذا الحد . فقلت : إن تكوينكم السياسي ضعيف حقاً إذا قيس بتكوين الأجيال التي سبقتكم والتي اضطلعت بمهام الثورة . ولكنكم مع ذلك لستم أتم المسؤولين عن هذا الضعف لأن الأجيال التي سبقتكم كانت تكونها ظروف الكفاح ، أما أتم اليوم فأنكم حُرمتم لذة الكفاح ونعمة المثل العليا والاهداف المقدّسة ، وأصبح هتكم أن تعيشوا مجرد العيش . ولا أدرى هل هذا من حسن حظكم أم من سوءه ، ولكن الذي أدرى هو أن مسؤولية ضعفكם السياسي تقع على كاهلنا نحن الذين أهملنا توجيهكم . وتركناكم طعمة سائفة لرياح الحياة تقلبكم أنى شاءت ! وحتى لقاوئنا بكم اليوم كان نتيجة الصدفة وحدها ، ولو لم أتلق أمراً في إلقاء هذه المحاضرات فيكم لكونت اليوم أنتم بأحد الشواطئ بدلاً من أن تلفحني شمس الأوراس في هذه الجبال . إننا حتى نحن المثقفين لا نسير في طريق البناء الحقيقي الا بالقوة يجب أن نقاد إلى الجنة بالسلسل .

---

(١) الثكنة : مركز الجيش .

## مارس الرياضة .. تكتشف نفسك

النص :

- ★ ما الذي يجعل أشخاصا معينين ينجحون في رياضات معينة ، ويجعل آخرين ، مشابهين في تركيبهم وقدراتهم الجسدية ، يفشلون ؟
- ★ وهل هناك أشخاص رياضيون وأشخاص غير رياضيين بالطبع ؟
- ★ وهل يمكن للإنسان «الرياضي» أن ينجح في كافة الحقول الرياضية ، أم أنه يقتصر على ميدان واحد أو اثنين ؟

هذه الأسئلة تتردد منذ زمن دون أن تجد لها جوابا شافيا نهائيا ، لأنها أعمق من أن توقي حقها بأجوبه قاطعة مبسطة . . وبالاضافة الى المؤثرات العقلية ، هناك عدد هائل من العناصر الجسدية التي تلعب دورها في تحديد القدرات الرياضية للإنسان ، مثل قوة النظر ، والقوة العضلية ، وطاقة الإنسان على الاحتمال . . الخ ، ولكل رياضة حاجة محددة الى نسب معينة للتوافق بين هذه العناصر .

ومعروف أن لاعب كرة القدم مثلا ، قد لا يجيد الملاكمه حتى ولو تدرب عليها لمدة طويلة وأن الملاكم قد لا يستطيع التحكم بضرب التنس مهما بذل من إرادة . . وأن لاعب التنس لن يستطيع بالضرورة ، أن يمارس القفر العالى بنجاح لأنه رياضي .

★ هل يولد الإنسان رياضيا ؟

إن الأمر الأول الذي يجب تأقرره عند كافة الرياضيين ، بغض النظر عن نوع الرياضة التي يمارسون ، هو التنسيق الجيد بين القدرات الذهنية والبصرية والجسدية، بحيث تعمل كلها أثناء التنفيذ كفريق عمل واحد منظم.

★ والسؤال الأهم يصبح هنا : هل يولد الانسان وهو يتمتع بهذه القدرات، أم أنه يتعلمها وتنمو لديه بالتدريب ؟

النقاش الدائر حول هذه النقطة أصبح نقاشا مزمنا ، وهو ما يجعل أكثريه الخبراء تميل الى عدم إنكار أهمية أي من المصادرين ، والى الاقرار بأن للوراثة أهميتها في إعطاء الانسان العديد من صفاتـه الجسدية ، ولكن التعلم والتدريب هما اللذان يرزاـن بعضـهـذه الصـفـاتـ أو يـكـيـنـانـبعـضـهـماـ الآـخـرـ .

وكثيرا ما لا يستطيع الانسان التميـزـ بينـ ماـ اـتـقـلـ اليـهـ وـرـائـيـاـ وـماـ اـكتـسـبـ بـالـتـعـلـمـ إـلاـ بـعـدـ فـوـاتـ أوـانـ الـاستـفـادـةـ منـ هـذـهـ المـعـرـفـةـ . . . قـدـ يـظـنـ الـانـسـانـ أـنـ حـرـكـاتـ رـمـيـ الـكـرـةـ وـالتـقـاطـهـ ، أوـ الـعـدـوـ السـرـيعـ ، هـيـ حـرـكـاتـ مـوـرـوثـةـ ، فـيـ حـينـ أـنـ تـعـلـمـهـاـ فـيـ السـنـيـنـ الـأـوـلـيـ لـحـيـاتـهـ ، كـمـ أـنـهـ كـثـيرـاـ مـاـ يـكـشـفـ أـنـ أـعـمـالـاـ أـخـرـىـ يـقـومـ بـهـاـ ، كـتـوقـيـتـ ضـرـبـةـ كـرـةـ التـنسـ مـثـلاـ ، هـيـ تـاجـ خـلـيـطـ لـأـنـوـاعـ مـتـعـدـدـةـ مـنـ الـقـدـرـاتـ ، مـثـلـ الـقـدـرـةـ الـبـصـرـيـةـ وـالـقـدـرـةـ الـعـضـلـيـةـ ، وـالـقـدـرـةـ عـلـىـ التـنـسـيقـ .

اختصارا يمكن القول : إن القدرة الرياضية عند الانسان تعتمد على ثلاثة قضايا أساسية هي : المظهر الجسدي ، والقدرات الجسدية وطبيعة الانسان .

**المظهر الجسدي لا يكفي .**

ويسكن التعرف جزئيا الى المظهر الجسدي للانسان بواسطة النظر ، من حيث كون الانسان طويلا مثلا ، او بدنيا ، او ثقيل الحركة الخ ، ولكن المظهر الجسدي لا يعتمد كلـيا على الشـكلـ الـخـارـجيـ فقطـ . فهو يـتعلـقـ أـيـضاـ بأـمـورـ دـاخـلـيـةـ ، مـثـلـ نـسـبـةـ الـدـهـنـ إـلـىـ الـعـضـلـاتـ فـيـ الـجـسـمـ ، وـقـدـ يـرـىـ الـرـءـءـ أـمـامـهـ رـجـلـينـ نـحـيلـيـنـ مـتـشـابـهـيـنـ تـمـاماـ فـيـ الشـكـلـ الـخـارـجيـ يـنـماـ تـبـاـينـ طـاقـاتـهـماـ كـلـياـ .

و الواقع أن المظهر الجسدي لا يعطي فكرة كاملة عن قدرة صاحبه ، ولابد منأخذ عناصر أخرى بعين الاعتبار تتعلق بالقدرة ، مثل السرعة والقدرة على الاحتمال والزمن اللازم لرد الفعل ، والقوة البصرية ، وإمكانية التنسيق . وكل هذه عناصر يصعب قياسها وتصعب مقارتها إذ من هو «العداء السريع» ؟ وإلى أية مسافة عليه أن يندو سرعة ؟ فمثلا ، لاعب كرة القدم لا يحتاج إلى العدو بسرعة لمسافة تزيد كثيرا عن ثلاثة مترا ، ولا يهم بعد ذلك أن فقد قدرته على الاستمرار . . في حين أن عداء المسافات الطويلة يحتاج إلى المحافظة على سرعته لمدد زمنية أطول بكثير .

وأهم ما يحتاج إليه لاعب كرة القدم في عدوه هو سرعة رد الفعل ، فإذا ما قرر أن يركض يجب على جسمه — ككل — الاستجابة فورا ، وغالبا ما يكون الفارق بين الرياضي الجيد والرياضي السيء هو الفارق الزمني في استجابة الجسم لرد الفعل ، والوقت الذي يتطلبه اتخاذ القرار . . والرياضي الجيد لا يكاد يشعر أنه يقوم بعملية اتخاذ القرار ، في حين أن الرياضي السيء يشعر بأنه يفكر في الأمر ويناقشه عقليا .

رياضيون . . ولكن .

وإذا كان من الصعب قياس القدرات الجسدية التي تجعل من الإنسان رياضيا جيدا ، فإن قياس القدرات الذهنية التي تساهم في ذلك يكاد يكون أمرا مستحيلا .

ولكن الرياضة تساهم ، مع ذلك ، في فهم الإنسان لنفسه اذا حاول تحليل تصرفاته وهو في الملعب . . والواقع أن كثيرين من الناس يتمتعون بصفات لا تبرز عادة في حياتهم العادية اليومية ، ولا تظهر إلا وهم في أرض الملعب ، وهناك آخرون يتمتعون بصفات وقدرات رياضية ولكنهم لا يمارسون الرياضة . . وهذا النوع الأخير من الناس قد يبرز فعلا في عالم الرياضة اذا وجد من يدفعه الى الممارسة .

## الإنسان في عالم الرياضة :

وهنا تبرز أهمية ما يسمى بـ «طبيعة الإنسان» في عالم الرياضة . فمن يتمتع بالظاهر والقدرات الجسدية الرياضية كثيراً ما يكون «ميلاً» بطبيعته إلى ممارسة الرياضة ويحمل في نفسه الصفات الرياضية أيضاً ، أما الضعفاء جسدياً فَيَتَحَلُّونَ «طبيعياً» عن دخول مجالات الصراع الجسدي ، أي حقول الرياضة ، عن حكمة تتبع من حب البقاء والمحافظة على النفس ، وغالباً ما يتحول هؤلاء ، إذا تمعنوا بـ «طبيعة» رياضية مكبوتة ، إلى مشجعين للرياضيين ومعججين بهم ، أو أنهم يتحولون إلى مبدعين في حقول أخرى تحتاج إلى صفات انسانية مشابهة للصفات الرياضية .

وقد أصبح من المتعارف عليه أن الرياضة البدنية تلعب دوراً هاماً في إبراز عدد من الصفات الإيجابية في الإنسان نادراً ما تستطيع الممارسات الحياتية الأخرى أن تبرزها ، مثل صفات الشجاعة ، والطموح ، والقدرة على اتخاذ القرار بسرعة ، والقدرة على الانطلاق بسرعة إلى التنفيذ في نفس لحظة اتخاذ القرار . . الخ

وكل هذه الصفات الكامنة عند الإنسان الرياضي بطبيعته لا بد لها من الصقل والتهديب ، عبر الممارسة الرياضية ، حتى تصل إلى حد استفادتها أصحابها القصوى منها ، ولكن تدخل ضمن إطار المساهمة في العمل الجماعي، بدلاً من البقاء عليها صفات فردية قد تُصبح مُوجهة ضد الآخرين ، فتحمل طابعاً سلبياً بذلك . .

جريدة : الجمهورية 28/11/1977 العراق [ اوينت برس ]

## سؤال حول المورد

إذا كان الشباب كما وصفناه في أول هذا الفصل ، طاقة ، وقوة وعزم ، وارادة ، ترى ما هي نظرة الشباب الجزائري إلى الخدمة الوطنية ، ومدى فهمه لبعادها ؟ وما هو مفهوم الرياضة عنده وعلاقتها بتكوين الشباب نفسياً وخلقياً وعلقلياً وصحياً ؟ .

# محتويات الكتاب

## مقدمة

5 ..... محمد رسول الله (صلي الله عليه وسلم) للأستاذ / أحمد حسن الزيات

## (أ) الأسرة وال التربية

10 ..... المرأة بين حضارتين . للأستاذ / محمد مبارك  
18 ..... بين الحرية والمسؤولية . د . عبدالله شريط  
21 ..... خذار أن تكون طفلاً في سن الخمسين . للأستاذ / سلامة موسى

## (ب) السياسة والاجتماع

26 ..... الحل الرابع والحل المقيد . د . عبدالله شريط  
33 ..... الموظفون والناس . للأستاذ / أحمد حسن الزيات  
39 ..... الفردية علينا الأصلية . للأستاذ / أحمد حسن الزيات  
42 ..... التعاون . ابن المقفع .....  
45 ..... كيف أحتج لشخصي . ابن عبدربي

## (ج) الحضارة

50 ..... خواطر في بناء الحضارة . للأستاذ / مالك بن نبي  
56 ..... نحن المسلمين . للأستاذ / علي الطنطاوي .....  
62 ..... الهوة بيننا وبينهم . د . عبدالله شريط .....  
67 ..... الحاجز التي منعت أوروبا من فهم العرب . بول بالطا .....  
73 ..... واقعنا الحضاري بين الحقيقة والزيف . د . عبدالله شريط  
77 ..... الفكر العربي . للأستاذ / عبد الكريم غلاب .....  
82 ..... فكرة التطور . للأستاذ / محمد المبارك .....

#### (د) الثقافة

- الثورة الثقافية والأصالة . د. عبد الرزاق قسوم ..... 90  
الثورة الثقافية . من الميثاق الوطني ..... 96  
مشاكل الثقافة في الجزائر . د. أبو القاسم سعد الله ..... 101  
المكتبات طريق الشعب إلى الثقافة . مجلة : أخبار ووثائق ..... 106  
اللغة والشخصية . للأستاذ / عبد المجيد مزيان ..... 113  
محاولة يائسة . للأستاذ / عبد الكريم غالب ..... 118

#### (هـ) الشغل والاقتصاد

- أسلوب في الاقتصاد . د. أحمد الشرباصي ..... 128  
مشكلة الغذاء في الوطن العربي . مجلة : العلم والحياة (الفرنسية) ..... 136  
العمل والاتجاح . د. محمد شوقي الفنجيري ..... 140

#### (و) العلوم والاكتشافات

- الإسلام والعلم . د. أحمد الشرباصي ..... 148  
البحث العلمي والتنمية . للأستاذ / مخلوف عبد المجيد ..... 155  
التضخم المالي . د. أحمد زكى ..... 159  
الحاسب الإلكتروني وعلم الحديث . للأستاذ / خالد كربيرة ..... 163

#### (ز) الوطن العربي والإسلامي

- الجزائر والقومية العربية . د. أبو القاسم سعد الله ..... 170  
حوار إسلامي . للأستاذ / عبد الرحمن الكواكبى ..... 176  
الكتابيات العربية في الوطن العربي . د. حاتم الحسيني ..... 182  
فلسطين . للشاعر / محمود درويش ..... 187

## (ح) نواعٍ وشخصيات

192	قوة رجل . د. عبدالله شريط
199	مسلمة بن عبد الملك . مجلة : منار الإسلام
206	عند المحافظ . للشاعر / سليمان العيسى
209	البيروني . للأستاذ / عباس فاضل السعدي
217	ابن الهيثم . للأستاذ / عبد الحليم متصر

## (ط) الطبيعة والسياحة

224	الحياة جميلة . للأستاذ / أحمد حسن الزيات
230	أرضنا الجميلة ..
234	بحيرة لامارتين ..
237	بحيرة المتنبي . المتنبي

## (ئ) الشباب والرياضة

240	الشباب عقيدة وعمل . للأستاذ / سلامة موسى
246	الخدمة الوطنية والشباب . د. عبدالله شريط
249	مارس الرياضة . عن جريدة الجمهورية العراقية



رابط بديل  
[lisanerab.com](http://lisanerab.com)



أ. علاء الدين شوقي

**www.lisanarb.com**



twitter

مكتبة لسان العرب



facebook



مكتبة لسان العرب



instagram



مكتبة لسان العرب



مكتبة لسان العرب



مكتبة لسان العرب

طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبوعية

وحدة الرغابة — 1985

1986 – 1985



مكتبة لسان العرب

[www.lisanarb.com](http://www.lisanarb.com)

lisanerab.com رابط بديل